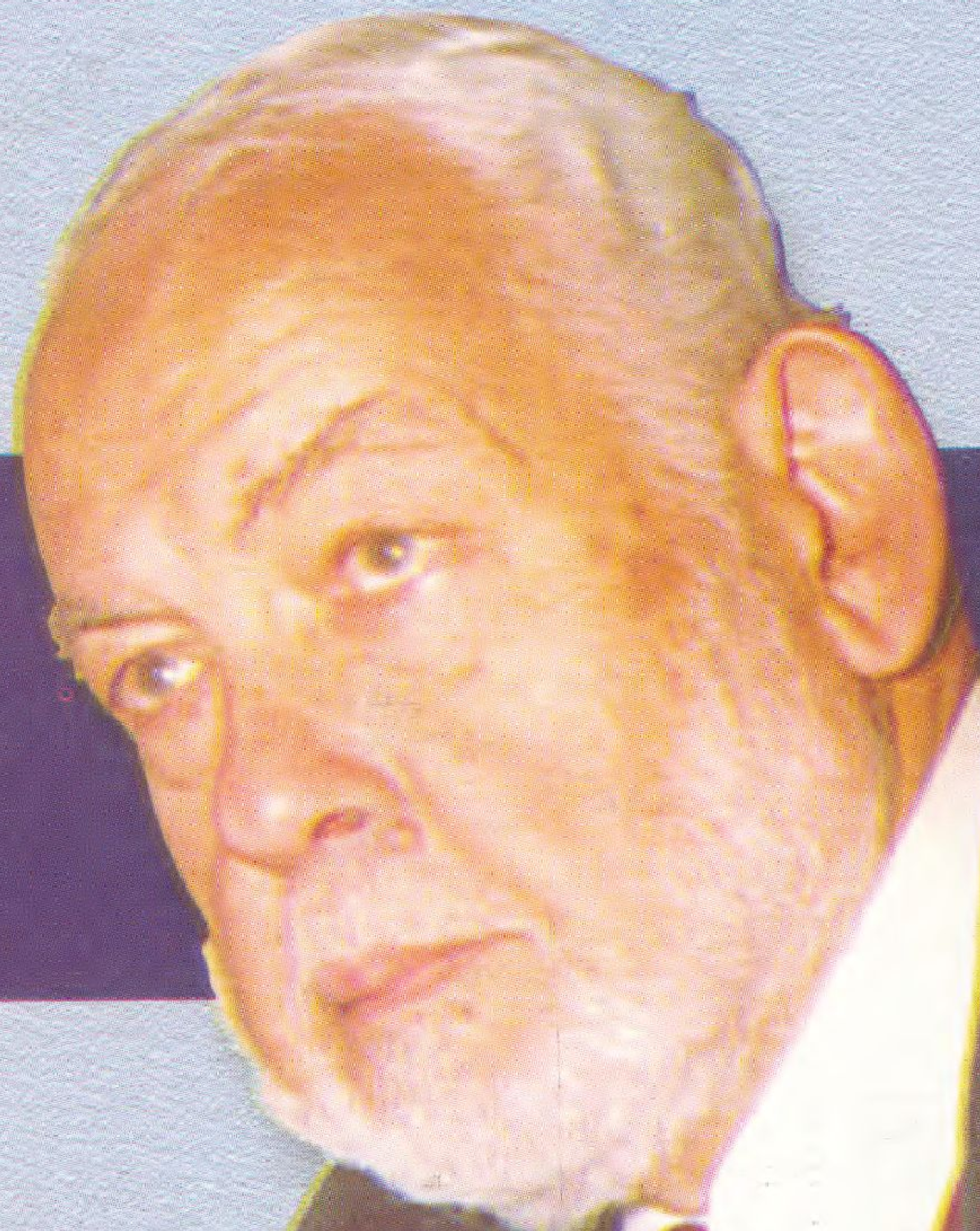
حسين الشافعي

شاهد على ثلاثة عصور



صلاح الإمام

مدبولي الصغير

حسين الشافعى

شاهد على ثلاثة عصور

حسـين الشـافعى
شـاهد علـى ثلاثـة عصور

الناشر: مكتبة مدبولي الصغير
٤٥ شارع البطل أحمد عبدالعزيز
تليفون: ٣٤٧٧٤١٠ ـ ٣٤٤٢٢٥٠
ميدان سفنكس ت: ٣٤٦٣٥٣٥
رقم الإيداع: ٥٦٠٨/٢٠٠٠
الترقيم الدولى: 977-286-089-9

الطبعة الثانية: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

تصميم الغلاف: عاطف منصور
جرافيك: محمد كامل مطاوع
الصف والإخراج الفنى: كريم كمبيوتر

إهـــــداء ٢٠٠٨
أسرة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس
جمهورية مصر العربية

صـــــلاح الإمـــــام

حسين الشافعى

شاهد على ثلاثة عصور

طبعة جديدة مزيدة

الناشر: مدبولى الصغير



﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الأحزاب . أية ٢٣)

الإهـــــداء

- إلى روح قائد وزعيم ثورة يوليو المجيدة..
- إلى روح زعيم العروبة... الخالد خلود بناة الأهرام..
- إلى روح الزعيم جمال عبدالناصر..
- إليك زعيمنا الراحل.. أهدى هذا الكتاب..

وأعاهدك ونفسى إن أظل ماحييت مدافعاً عن أمجادك الشامخة شموخ الجبال.. الساطعة سطوع الشمس.. مدافعاً عن زعامتك التى روّعت الأعداء.. وشخصك الذى ضرب أعظم مثال للشجاعة والإقدام.. والنبل.. والشهامة.. والكرامة.

- إليك معترفاً بفضلك علىّ.. وعلى المصريين كافة.. والعرب.. وعلى العالم الثالث بأسره..
- إليك أهدى كتابى.. شهادة أمينة من صديق عمرك، ورفيق كفاحك ونضالك.. لم ينسك رغم سنوات فراقك.. ولن ينساك أحد.. يامن علمتنا كيف نسبح ضد ومع التيار.. وعلمتنا كيف يكون النضال كراً.. وفراً.. وإقداماً وتضحية.

المعترف بأفضالك

صلاح الإمام

مقدمة الطبعة الثانية

إذا كان هناك من يستحق الشكر على تهيئة الظروف لإعادة طبع هذا الكتاب، فهو صحفي اسمه «إبراهيم سعدة» يعمل رئيساً لتحرير صحيفة أخبار اليوم الأسبوعية منذ ٢١ سنة.. نعم لابد ألا أجحد دوره في تهيئة الرأي العام المصري والعربي لاستقبال طبعة جديدة من كتابي هذا الذي صدر لأول مرة في عيد الثورة عام ١٩٩٣، ونشرت مادته من قبل على حلقات بجريدة «العرب العالمية» التي تصدر يومياً في لندن، وذلك في الفترة من نوفمبر عام ١٩٨٨ حتى يوليو عام ١٩٩٠.

السيد حسين الشافعي شخصية ليست عادية، فهو واحد من صناع تاريخ مصر الحديث، ومثله يكون مطمعاً لكافة وسائل الإعلام على اختلاف أشكالها وانتماءاتها، ويقف على بابه صحافيون من كافة دول العالم، وعدسات كاميرات أكبر المحطات الفضائية في الشرق الأوسط، وأمام إلحاح أصحاب الأقلام والميكروفونات، يرضخ الرجل أحياناً، ومن بين المحطات الفضائية التي تحدث معها السيد حسين الشافعي، قناة الجزيرة القطرية، التي أجرت معه حواراً مطولاً شغل ١٣ حلقة، وامتدت فترة بثه لثلاثة أشهر بمعدل حلقة كل أسبوع، بدءاً من سبتمبر عام ١٩٩٩، وكان قد سبق لراديو وتليفزيون العرب "A.R.T" إجراء حوار معه قبل ذلك بقرابة عام.

ما قاله الضيف الجليل لم يخرج . من حيث الشكل أو المضمون . عما قاله لي قبل ذلك بعشر سنوات، بل كل ما قاله كان بعضاً مما قاله لي، ونشر من قبل بصحيفة «العرب العالمية» بلندن، ثم صدر في كتاب، علقت عليه كل صحف مصر وقتها بما فيها صحيفة أخبار اليوم ذاتها وبقلم أحد نواب رئيس تحريرها

«المحصن» الذى كان وقتها مشغولاً بتهيئة الرأى العام لاستقبال اتفاق إعلان المبادىء، الذى كان يمثل الفصل الثانى من مهزلة أوسلو ضمن خطة الأبالسة لوأد انتفاضة شعب فلسطين على أرضه.

هلّ.. أو قفز.. أو هبّ.. أو أُطلق علينا رئيس تحرير أخبار اليوم فجأة بمانشيت ملون وعلى ثمانية أعمدة بعدد أخبار اليوم رقم ٢٨٧٧ الصادر فى ٢٥ ديسمبر ١٩٩٩ يقول «سكت دهراً ونطق كفراً».. كان مضمون المقال افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان، نسبها الكاتب للسيد حسين الشافعى، معتمداً على أن ٩٩٪ من القراء لم يشاهدوا أو يسمعوا ماقاله السيد نائب رئيس الجمهورية.

وأستأذنك . عزيزى القارىء . فى أن أخرج بك عن صلب الموضوع، وأضيع من وقتك خمس دقائق أحدثك فيها عن «الأستاذ» إبراهيم سعدة الذى بزغ نجمه وعلا اسمه خلال «مولد» التطبيع بين السادات واليهود، دون أن يشهد جنائز الفُرقة العربية.. وآه من تلك الأيام وما أسودها.

كان سعدة يصفق ويزغرد لكل خطوة يخطوها السادات فى اتجاه تل أبيب متوسلاً السلام ورضاءهم.. كان قلمه مِغْزلاً يقوى كل مايرميه اليهود من خيوط للسادات، فى حين أن هذا القلم كان سكيناً تقطع كل الراويط الأزلية التى تربط العرب بمصر.. كان يبحث عن نقاط الخلاف بين نظام السادات والشعوب العربية، ويسكب عليها أطناناً من النابالم لتغدو النار البسيطة كثورات بركانية أحاطت بنظام السادات من كل جانب، إلا جانباً واحداً، هو ذاك الذى يجلس عليه اليهود..

استطاع سعدة أن يقنع السادات بأنه البطل الملهم، الذى لايجب أن يناقش فعله أو قوله أحد، وأنه «السيد» الوحيد بين حكام العرب، وأن كل ملوك وأمراء ورؤساء الأمة العربية «رعاع»، ونعتهم جميعاً بالعمالة، والخيانة، والجنون، والسفه، والهبل، والمجون... و... و... إلخ. مما هو ثابت عليه فى كتاباته.

أمسكت على «الأستاذ» إبراهيم سعدة كل كتاباته، وجمعتها فى كتاب ضخم استغرق إعداده زمناً طويلاً، وانتهيت منه فى فبراير من عام ١٩٩٣، وتعاقدت عليه لأول مرة فى ١٠ مارس ١٩٩٣، إلا أننى فوجئت بعد ذلك بفترة ليست طويلة بأن

الناشر يعتذر عن نشره، ويبدى تنازله عما دفعه لى من عربون!!.. ذهبت لغيره وتعاقدت معه، وبعد فترة كرر مافعله معى الناشر السابق، فتنازل عن العربون وعن نشر الكتاب!!.. ثم تكرر هذا السيناريو كثيراً، حتى أصبحت متيقناً من استحالة نشره، ثم علمت بعد ذلك أن أحد الصحفيين من مؤسسة أخبار اليوم كان يتتبع هذا الكتاب عند الناشرين، ويتدخل لوقفه، وهذا الصحفى كافأه إبراهيم سعدة فجعله رئيساً لتحرير إحدى إصدارات مؤسسة أخبار اليوم الأسبوعية.

وحينما أضرم سعدة النار فى حملته على السيد حسين الشافعى، شعرت بالمرارة من كم الافتراءات التى ينسبها إليه، فهو ينسب إليه أقوالاً لم يقلها، ومواقف هو برىء منها.

استبد بى الغضب وكتبت مقالاً ملتهباً أرد فيه على افتراءات «الأستاذ» وكنت أتحدى بقايا من ضمير لديه أن ينشر ماكتبت، ولم أكن أتوقع على الإطلاق أية استجابة منه..

لكنى فوجئت فى العدد التالى من أخبار اليوم والذى صدر بعد ٧٢ ساعة من إرسال ماكتبت إليه، فوجئت بنشر مقالتى (اقرأها فى الملحق بآخر الكتاب)، لكنه كان دهاء الحية الرقطاء التى أبدت نعومة الملمس، ثم مالبثت أن أسفرت عن أنيابها وسمها ولسانها المشقوق.. إذ خصص «الأستاذ» صفحة كاملة من عدد أخبار اليوم الصادر فى ٥ فبراير ٢٠٠٠ للهجوم على شخصى، ويواصل هجومه على السيد حسين الشافعى، وهو يظن بذلك أنه خلق سابقة عداء بينى وبينه يحتج بها أمام الناس إذا نشرت كتابى عنه، لكن مادة الكتاب مسجلة فى الشهر العقارى بالمنصور تحت رقم ٤٤٠ لسنة ١٩٩٣، وأول تعاقد عليه والذى أبرم فى ١٠ مارس عام ١٩٩٣ مسجل أيضاً بالشهر العقارى، كما شرفنى الدكتور محمد عباس بالكتابة عنه فى جريدة الأسبوع فى نوفمبر عام ١٩٩٨، كما كان هذا الكتاب موضوع المانشيت الرئيسى لجريدة الميدان بأحد أعدادها الصادرة خلال شهر سبتمبر عام ١٩٩٩، بمعنى أن الكتاب ثابت بكافة الطرق أنه جاهز للنشر قبل سبع سنوات من الصدام «الخفيف» الذى حدث بينى وبينه.

أرسلت إلى «الأستاذ» رداً على ما نشر ضدى لكنه امتنع عن نشره، فلجأت لجريدة الشعب التى نشرته بعدد الجمعة الموافق ٢٠٠٠/٢/١٨، وتفتحت أمامى عدة طرق لنشر الكتاب خارج مصر، إلا أننى كنت أبحث عن فرصة لنشره داخل مصر أولاً، والحمد لله، فقد ساق لى المولى سبحانه وتعالى أكثر من «شجاع» يعرض نشر الكتاب الذى هو قيد التجهيز والطبع حالياً.

ومن المفارقات الغريبة، أن السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية اضطرته ظروف المعيشة إلى أن يبيع حديقة منزله عام ١٩٨٢، ورجل الأعمال الذى اشتراها . وهو صاحب شركة للأثاثات المكتبية مشهورة جداً . هو نفسه صهر «الأستاذ» إبراهيم سعدة، وابنة «الأستاذ» إبراهيم سعدة تقطن فى ذات العمارة التى يملكها والد زوجها والملاصقة لمنزل السيد حسين الشافعى، والمقامة على أرض حديقة منزله التى باعها، وهذا الحدث فى حد ذاته يؤكد على طهارة يد الرجل وعفة سيرته.

الخلاصة أن «الأستاذ» إبراهيم سعدة، والذى مازال رئيساً لمجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم، رغم أنه تعدى الستين بثلاث سنوات، قد أفادنا كثيراً، فقدم لكتابنا هذا حملة إعلانية ضخمة لم نكن لنقدر على دفع تكاليف واحد فى الألف من تكاليفها.

إننى أعيد نشر حواراتى مع السيد حسين الشافعى التى صدرت من قبل عام ١٩٩٣، دون زيادة أو حذف حرف واحد، باستثناء عدة هوامش مسبوقة بالعلامة (●)، فضلاً عن الملحق الأخير، ومادون ذلك فهو كما صدر من قبل.

نسأل الله التوفيق لنا ولكم.

صلاح الإمام

١٠ فبراير ٢٠٠٠

يسعدنا سماع رأيكم بالاتصال على تليفون رقم: ٠١٠/١٤٩٧٨٧٦

مقدمة الطبعة الأولى

قال لى السيد حسين الشافعى، وهو يودعنى على باب فيلته بالمهندسين ذات يوم، وبالحرف الواحد: «انت أخدت منى اللى ماحدش أخده قبلك، ولا حد هايخده بعدك»، وأذكر يومها جيدا، كان يوم الثلاثاء ٧ فبراير ١٩٨٩، وكان يوماً ولدت شمسه غاربة.. تائهة وراء كتل السحب الداكنة، والرياح الباردة تصفع وجهى، وأنا أسير فى شارع البطل أحمد عبدالعزيز مستغرقاً فى التفكير فيما قاله لى السيد حسين الشافعى منذ لحظات، فلقد كنت قد سجلت معه فى نفس اليوم حواراً عن علاقة الثورة بالإخوان المسلمين، وأذاع أمام ميكروفون تسجيلى أسراراً تعد جديدة حول هذه النقطة بالذات، وامتد بى التفكير إلى لقاءاتى السابقة معه التى بدأت قبل أربعة أشهر، ظللت أتردد عليه ثلاثة أشهر منها بمعدل مرة كل أسبوع دون أن يفتح فمه بشىء مما أريده، وإذا تحدث كان يرفض رفضاً قاطعاً أن أكتب مايقول، بل كان يرفض السماح بأن أضع جهاز التسجيل على المنضدة بيننا.

ثلاثة أشهر أتردد على منزله، وأخرج خالى اليدين، اللهم إلا إذا طرحت من جلستى معه فنجان القهوة الذى أتناوله معه، كنا نتناقش فى شتى الأمور، ومختلف القضايا، وكان كلامه بالنسبة لى كالذهب الذى لابد له من صائغ ماهر، يعرف كيف يشكله، وكيف يضعه فى المكان المناسب، بل كان كلامه معى أشبه بالوحى ينزل على نفسى فيلزمنى بأن أبلغه إلى كل من يهمه الأمر ومن لايهمه، فما يقوله كان رسالة، وجدت أنه من المحتم على نفسى أن أبلغها، ومن هنا كان إصرارى على أن أسجل كل مايقوله السيد حسين الشافعى، حتى وصلت أخيراً بعد معاناة ومكابدة للدرجة التى حلمت بها، فلقد سمح السيد حسين الشافعى

بتسجيل حواراتى معه، وكان ذلك على ما أذكر فى النصف الأخير من شهر نوفمبر ١٩٨٨، وهكذا بدأت مرحلة جديدة من علاقتى بالرجل الوقور، الذى فتح لى بيته وعقله وقلبه، وباح لى بما امتنع عنه لعشرات الصحفيين الذين سبقونى رغبة فى الحديث معه، من كافة الأقطار والجهات، وامتدت لقاءاتى به لأكثر من عام ونصف العام بمعدل مرة كل أسبوع على الأقل، متنقلاً خلفه من منزله بالمهندسين، إلى منزل أصهاره بالمعادى، إلى استراحة المنتزه بالإسكندرية، وكان كل لقاء من لقاءاتى معه، يشهد ميلاد معلومة جديدة، أو إزاحة النقاب عن أحد الأسرار المتعلقة بفترة من أهم وأخطر الفترات فى تاريخ مصر والأمة العربية، وكنت أنصرف من عنده كالمغتنم الذى حصل على مراده، فأعود مسرعاً لأفرّغ ما حمله شريط التسجيل، على صفحات أجندة خاصة، وحينما وصلت معه للحد الأدنى مما طمحت فى الحصول عليه منه من مادة، بدأت أفكر جدياً فى جمع كل ماتحصلت عليه منه فى كتاب مستقل.. هو ذاك الموجود بين يديك الآن عزيزى القارىء.

كانت لقاءاتى معه على مدى خمسة عشر شهراً أشبه برحلة ممتعة، معالمها أحداث جسام، هى جزء من تاريخ ذلك البلد العريق، وتاريخ الأمة الإسلامية، ولم تكن أحداثاً عادية، ولكنها كانت أهم وأخطر الأحداث التى غيرت مجرى التاريخ الحديث بالمنطقة كلها، يرويها واحد ممن صنعوا هذه الأحداث، وهو أحد صُنّاع القرار السياسى بمصر فى تلك الفترة، وشاهد عيان على أدق تفاصيلها، سواء تلك التى أعلنت، أو تلك التى دارت خلف كواليس المسرح السياسى، كانت الرحلة معه بحق ممتعة، وبكل المقاييس كانت بالنسبة لى ولأترابى مثمرة، وضرورية.

وحينما بدأت الخطوات التنفيذية فى جمع ما لدىّ من مادة، وضعت نصب عينى، حاجة شباب هذا الجيل إلى معرفة تاريخ تلك الفترة، التى كتبت فيها أقلام من مختلف الأوزان والأحجام، وزعم الكثيرون أنهم شهود صدق على مايكتبون رغم إيمانهم الأكيد بأنهم لم يروا، لكن دفعهم الحقد وانعدام الحياء، وموت الانتماء الوطنى بداخلهم إلى إن يفتروا.. ويفتروا.. ويشنعوا.. ويشوهوا.. ويذبحوا.. مادامت هناك حياة لمن ينادى، ومن هنا كان حرصى على أن أركز على

العموميات بصفة أساسية، فهى الأعمدة الأساسية للتاريخ وخاصة تاريخ تلك الفترة، وما دونها فهى التفاصيل الصغيرة التافهة، التى لا يتعثر فيها إلا الصغير التافه، والتى لا يفتش عنها تحت التراب أو بين ذراته إلا من هو دون التراب قيمة ووزناً.

لقد وضعت على أوراق أسئلتى للسيد حسين الشافعى كل الاستفهامات والاستفسارات، التى تدور فى خلد الشباب من أبناء هذا الجيل، وعلى ضوء المعطيات السياسية لتلك المرحلة، والنتيجة كانت أشبه بعملية حسابية (١+١=٢)، لا أكثر ولا أقل، كانت النتيجة كما يقولون بلغة الألوان، إما «أبيض» وإما «أسود» ولا وسط بينهما، بمعنى أنه لم يكن هناك فرصة لخلط الأمور بعضها ببعض، لأن ذلك من شأنه ضياع الكثير من الحقائق، وخلط الأمور ببعضها أمر استسهله الكثير من أعداء الثورة، بغية خدمة مصالح شخصية بحتة، وأحياناً لخدمة أسيادهم، أولئك الذين لبسوا السلاسل فى أعناقهم، واللجم على أفواههم، وارتضوا القيد على أيديهم وأرجلهم، مادامت جيوبهم ممتلئة بالعملات الصعبة، فباعوا مداد أقلامهم الثمين الذى لايقدر بمال، ولا يوزن بالذهب، بحفنة من الأوراق المالية.

لله.. وللتاريخ.. ولمصر.. ولأبنائها المخلصين.. أقدم هذا الكتاب.. شهادة أمينة على لسان السيد حسين الشافعى أطال الله فى عمره، وأمده بموفور الصحة والعافية.

■ ويبقى....

أن أتقدم بجزيل الشكر لكل من الأخ والصديق الريان بحرى أحمد حسين الشافعى، الذى ساعدنى كثيراً فى إتمام هذا الكتاب، ولأستاذى الصحفى القدير أحمد عز الدين الذى على يديه تعلمت كيف أكون صحفياً.

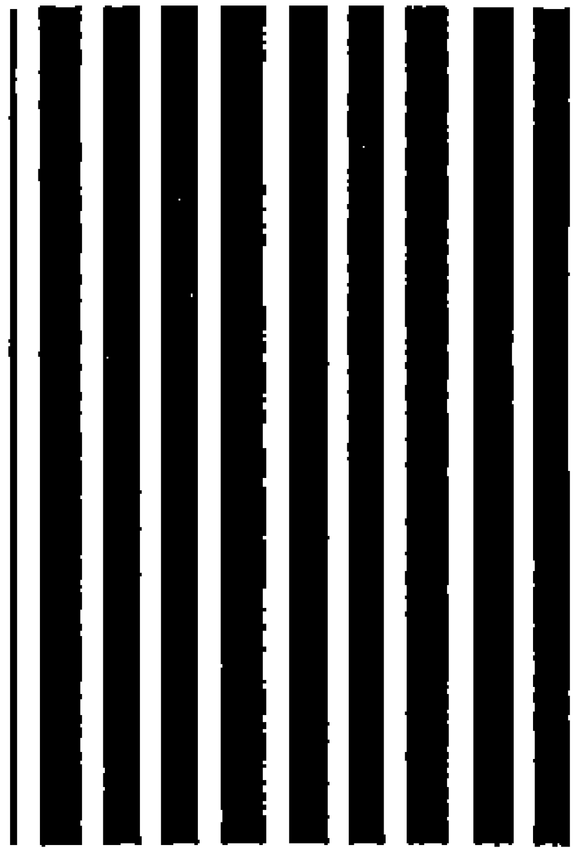
وإليك عزيزى القارىء الشكر والتحية والتقدير..

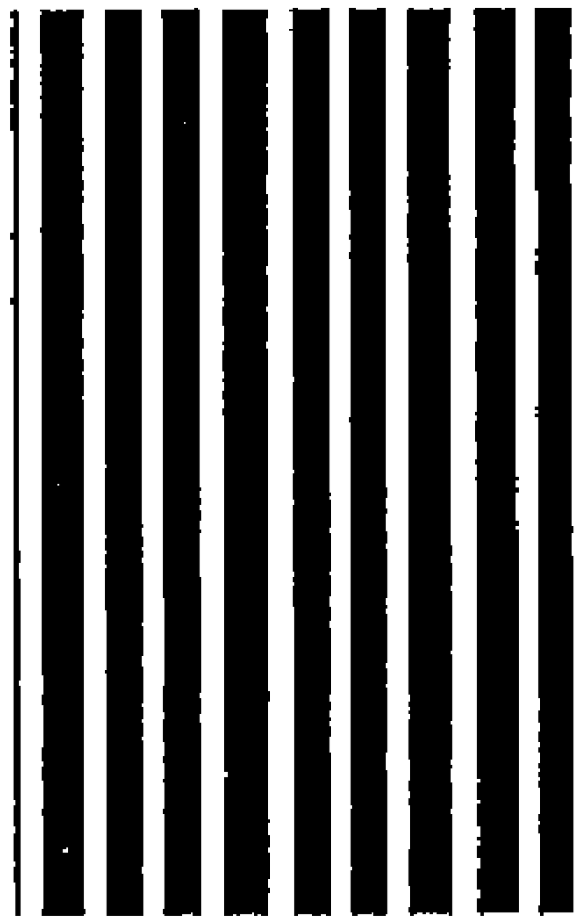
وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى مافيه الخير لمصر، ولأمتنا العربية، وأمتنا الإسلامية.

صلاح الإمام

فصــل تمهيدى

الثــــــائر..
مــــن هــــو؟





ثائر.. وتنطبق عليه كل سمات الثوار..

مناضل.. ناضل بالفعل لا بالقول..

أحد أبطال ثورة يوليو المجيدة..

أحد اثنى عشر رجلاً قادوا المسيرة النضالية لمصر فى العصر الحديث..

أحد من عبروا بمصر الوطن من عصور الذل والهوان إلى عهد الكبرياء والعظمة..

أحد من مزقوا ستائر الاستعباد لتشرق شمس الحرية على مصر والعالم الثالث أجمع..

أحد من حملوا هموم هذا الشعب على كاهلهم سنينَ عجافاً..

أحد من ضحوا بالنفس والنفيس فى سبيل الوطن مصر..

أحد من خططوا لمصر سنوات طوال شهدت خلالها أزهى فترات النهضة والتقدم..

أحد الذين قادوا الثورات الصناعية والزراعية والتعليمية والتثقيفية بمصر..

وهو قبل كل هذا وذاك ابن من أبناء مصر، ولد على أرضها فى ٨ فبراير عام ١٩١٨ بمدينة طنطا عاصمة الغربية، وكان جده لوالدته السيد مصطفى العجيزى هو عمدة مدينة طنطا عاصمة الغربية، بينما كان جده لوالده السيد حسن الشافعى عمدة قريتهم كفر طه شبرا مركز قويسنا بمحافظة المنوفية.

وهو الابن السابع فى ترتيب إخوته، ويليه أربعة آخرون حيث كان له ستة

أشقاء بقى ـ حتى تاريخ كتابه هذه السطور فى سنة ١٩٩٠ ـ اثنان على قيد الحياة هما محمد وصلاح، وله أربع شقيقات.



■ مشواره النضالى:

- التحق بالكلية الحربية الملكية فى ٦ أكتوبر عام ١٩٣٦.
- تقابل مع جمال عبدالناصر سنة ١٩٤٢ بالعلمين أثناء الحرب العالمية الثانية، ومن يومها أصبحا صديقين لايفترقان.
- كان عضواً بارزاً فى تنظيم الضباط الأحرار الذين حملوا على عاتقهم تخليص مصر من المستعمر وتطهيرها من الفساد.
- كان قائداً لسلاح الفرسان (المدرعات) الذى كان له دور كبير فى نجاح الثورة.
- فى ٢ أغسطس سنة ١٩٥٢ دخل عضواً فى مجلس قيادة الثورة الذى كان يتألف من اثنى عشر ضابطاً.
- فى ١٥ أبريل سنة ١٩٥٤ ترك قيادة سلاح الفرسان، وعمل وزيراً للحربية.
- فى أول أكتوبر سنة ١٩٥٤ شغل منصب وزير الشئون الاجتماعية، وكانت وقتها وزارة الشئون تشمل الإشراف على الإسكان، والتعاونيات، وشئون الرياضة والشباب، والجمعيات الخيرية... إلخ.
- فى ١٨ يونيو سنة ١٩٥٦ منحه الرئيس جمال عبدالناصر قلادة النيل التى لاتمنح إلا للرؤساء والملوك ومن فى مستواهم.
- اشترك فى إعداد أول خطة خمسية عرفتها مصر (١٩٦٠ ـ ١٩٦٥) للنهوض بمستوى البلاد اقتصادياً وحضارياً.
- شارك فى إرساء أسس الاتحاد الاشتراكى العربى، حتى استلمه على صبرى ومجموعته بعد بنائه.
- شغل منصب وزير الأوقاف وشئون الأزهر عام ١٩٦٢، ثم عام ١٩٦٧، إلى جانب وزارة الشئون الاجتماعية.

- عمل رئيساً للجهاز المركزى للمحاسبات عام ١٩٦٤.
- فى عام ١٩٦١ عُين نائباً لرئيس الجمهورية وكان مسئولاً عن مؤسسات الخدمات.
- شغل منصب نائب رئيس الجمهورية على مدى أربعة عشر عاماً، فى الفترة من ١٩٦١ حتى ١٩٧٥.



كيف يعيش الآن؟

- السيد حسين الشافعى رجل حرب، ورجل حكم، ورجل سياسة، ورجل دين، ورجل فكر، ولعب أدواراً هامة وكبيرة على كافة هذه المستويات، ولديه ذخيرة من المعرفة قلما توجد لدى فرد واحد، ومكتبته تضم آلافاً من كتب التراث وأمهات الكتب بمختلف اللغات، ومقسمة لعدة أقسام كل قسم يشكل مكتبة مستقلة، فلديه مكتبة إسلامية ضخمة إلى جانب المكتبة السياسية، والأدبية والعلمية... إلخ.
- ويعيش السيد حسين الشافعى نصف أوقاته مع القرآن، والصلاة، والتهجد ليلاً، فهو ينام مبكراً، ثم يستيقظ قبيل الفجر ويعيش مع الصلاة والقرآن، ويقرأ كل ليلة جزءاً من القرآن الموافق رقمه لنفس اليوم من الشهر القمرى الذى يتلوه فيه، فلو كان اليوم هو ٧ رجب يقرأ الجزء السابع، ولو كان ١٥ شعبان يقرأ الجزء الخامس عشر.. وهكذا.
- يصوم أيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، والأيام الوسطى من الشهور القمرية.
- يقرأ الصحف باهتمام، وأكثر الكُتَّاب تفضيلاً إليه هو الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين.
- وفى الإذاعة يواظب على سماع برنامج «شاهد على العصر»، أما فى التليفزيون فيحرص على برنامج «ندوة للرأى» وأحاديث الشيخ الشعراوى، وكافة البرامج الدينية الأخرى.

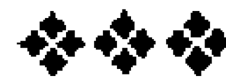
● كان حتى وقت قريب رئيساً لاتحاد الفروسية الذى تخلى عنه بمحض إرادته، وقد عشق الفروسية، وركوب الخيل منذ فجر صباه، ولما دخل الكلية الحربية أجاد كافة ألعاب الفروسية متتلمذاً على يد القائمقام أحمد عبدالعزيز بطل حرب فلسطين.

● تردده على المسرح والسينما قليل جداً، ويكاد يكون معدوماً، ويذهب أحياناً إلى دار الأوبرا.

● يقضى أيام الصيف فى الإسكندرية باستراحته فى المنتزه، وباقى أيام السنة يكون مقيماً فى منزله بالمهندسين، أو منزل أصهاره بالمعادى.

● يقضى أسعد أوقاته مع أحفاده: نيفين وماجدة ابنتا نجله الدكتور شريف، وحسين وأسماء ابنا نجله القبطان أحمد الضابط السابق بالبحرية، وكمال وفاطمة ابنا ابنته الوحيدة ليلى زوجة الريان بحرى أحمد مرعى.

● بقى أن نقول إنه يوجد فى حديقة فيلا السيد حسين الشافعى بالمهندسين تمثال نصفى للزعيم عبدالناصر، كما أن صورة عبدالناصر لاتزال موجودة فى غرفة مكتبه بنفس الحجم الموجود به صورته هو، والصورتان مرسومتان باليد وبالألوان الزيتية.



من أقواله:

● «إن عدوكم على استعداد للتسليم بقدر مافى نفوسكم من تصميم».. وقد علقت هذه المقولة باسمه على كوبرى قصر النيل بعد الثورة.

● «لابد للقوة من عقيدة تدفعها، ولابد للعقيدة من قوة تحميها».. وعلق هذا الشعار باسمه أيضاً فى ميدان التحرير عام ١٩٥٣.

● «هناك من صنعوا الثورة، وهناك من صنعتهم الثورة، فأما الذين صنعوا الثورة حريصون عليها، ولكن الذين صنعتهم الثورة فهم حريصون على أنفسهم».. وقد قالها لأول مرة فى تليفزيون السودان أثناء زيارته لها مع عبدالناصر عام ١٩٧٠.

الفصل الأول

الثورة.. لماذا كانت؟.. وكيف قامت؟

- علاقتى بعبدالناصر بدأت خلال العام الدراسى ١٩٣٧/٣٦ بالكلية الحربية، وتوطدت الصداقة بيننا فى الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الثانية.

- تنظيم الضباط الأحرار اتخذ شكله النهائى والفعال عام ١٩٥١، ودفعت به الأحداث بعد إلغاء المعاهدة فى أكتوبر من نفس العام.

- حزب الوفد كان يعبر عن آمال الأمة حتى عام ١٩٣٦، ثم ترك دوره النضالى واتجه إلى المهادنة والمساومة، وانتهى فى ضمير الشعب عام ١٩٤٢.

- إلغاء معاهدة ١٩٣٦ كان مناورة سياسية من الوفد بغرض إحراج السراى فى محاولة يائسة لاستعادة اعتباره الشعبى لدى الجماهير.

- العملية الوطنية قبل الثورة كانت ميتة، وأشبه بالماء الراكد، وانحصرت حركتها فى الصراع على الحكم فقط.

- حرب فلسطين كانت المرحلة الأخيرة فى المؤامرة الدولية لإعطاء الشرعية لدولة إسرائيل، وكانت من إعداد وإخراج القوى الاستعمارية الكبرى.

- إلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى سنة ١٩٥١، وحريق القاهرة فى نفس العام، كانا من الأسباب التى عجلت بتحريك الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

- حكومة الوفد دفعت بالجيش خارج القاهرة بعد إلغاء المعاهدة، وفرّقت وحداته يوم حريق القاهرة تجنباً لرد الفعل.

- أرسلت برقية لوزير الحربية وكبير الياوران عام ١٩٥١ اهتزت لها القيادات العليا فى الجيش.

- طمأنت عبدالناصر قبل الثورة بأشهر بأن جميع أفراد القوات المدرعة فى ضمانتى، وعليه أن يبدأ وهو مطمئن.
- جمال عبدالناصر هو مؤسس وقائد تنظيم الضباط الأحرار.
- محمد نجيب كان رمزاً لعملية مرحلية، واختياره كان من عوامل تثبيت أقدام الثورة فى مراحلها الأولى.
- استمرارنا فى الحكم كان من منطلق الدفاع عن بقاء واستمرار الثورة التى لايحميها إلا من صنعوها.
- لم يكن هناك خلاف على جمال عبدالناصر قائداً للثورة، ورئيساً لمصر.

الغضب.. هو إعلان عدم الرضاء عن شىء دون محاولة تغييره.. والتمرد هو إعلان عدم الرضاء عن شىء والعمل على تغييره.. أما السخط فهو عدم الرضاء عن كل شىء دون العمل على تغيير أى شىء.. ولكن الثورة فهى إبداء عدم الرضاء على كل شىء والقيام بتغيير كل شىء.

وحجم التغيير فى كل شىء يتفاوت من ثورة لأخرى، وحجم التغيير هو نفسه الذى يكون معياراً لحجم الثورة، فالتغيير إذا اقتصر على نقطة محدودة فى هذا المضمار نكون بصدد انقلاب.

ومن هنا نأتى إلى الفرق بين الثورة وبين الانقلاب، فالانقلاب دائماً يقتصر على تغيير نظام الحكم فقط، أيًا كانت الوسيلة، فتغيير النظام أو شخص الحاكم يكون دائماً غاية القائمين على أمر الانقلاب، وليس من الضرورى أن يكون الانقلاب معبراً عن غاية جموع الشعب، فغالبية الانقلابات لاتعبر إلا عن رغبة القائمين بها، بغية الجلوس على كراسى الحكم.

وما حدث فى صباح الأربعاء الموافق ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ .. حينما تحرك الجيش بجميع وحداته وأسلحته المختلفة، وحاصر القصر الملكى فى عابدين، وفق خطة مدروسة ومحكمة، بغية إنهاء النظام الملكى القائم وقتها، والقضاء على الأنظمة السياسية الفاسدة المحيطة به.. كان غاية ومراد الشعب المصرى، التى حملها ضباط مصر الأحرار أمانة حول رقابهم، والتى أدوها بما يرضى الله أولاً، وبما يرضى شعب مصر، وجموع الأحرار فى العالم بأسره.

إن ثورة ٢٣ يوليو التى بددت سحب المذلة والهوان عن أبناء الشعب المصرى، ونشرت ـ قولاً وفعلاً ـ شمس الحرية على جموع أراضيه، واستعادت الإرادة

المصرية التى فقدناها منذ ماض سحيق، بقيادة زعيمها المناضل جمال عبدالناصر، ضربت أمثل الأمثال وأروعها، لأعظم الثورات الإنسانية فى التاريخ، وهى بكل المقاييس كانت كذلك.. ذلك أنها حررت وطهرت المصريين من قيود الذل والعبودية، وأخذت بالمصرى - فى طفرة هائلة - إلى المستوى اللائق بمعيشة الإنسان فى هذا العصر، فأعطته كافة حقوقه السياسية، والمعيشية، التى كان قد تناساها، واجتازت به حواجز الفقر والجهل والمرض، إلى رغد العيش ورحابته. ومضت الثورة فى مسيرتها بخطى مدروسة وناجحة، ومع كل يوم يمر كانت تحقق فيه إنجازاً.. وتحرز نصراً.. وتقفز خطوة كبرى إلى الأمام.. وتزداد قاعدتها الشعبية اتساعاً على كافة المستويات، وفى جميع أنحاء دول العالم الثالث المتعطش للحرية.

ومن إنجاز إلى إنجاز.. ومن نجاح إلى نجاح.. ومن نصر إلى نصر.. ثم صعود.. ولمعان.. فنفوذ وسلطان.. واصلت الثورة مسيرتها النضالية، فى الداخل ضد الفقر والجهل والمرض، وفى الخارج ضد القوى الاستعمارية الكبرى، عن طريق مساعدة ثورات الشعوب النامية، بغية التحرر واعتدال ميزان القوى فى العالم.

زلزلت الثورة الوليدة الأرض تحت أقدام القوى الاستعمارية الطاغية، فتلك الثورة الوليدة التى لم تفتأ أن اتسع نطاقها، وبزوغ نجمها بهذا الشكل، كان يعنى أن هناك قوى كبيرة، فى طريقها لبسط نفوذها فى العالم، ومن ثم كانت المؤامرات الشيطانية لإجهاض وتدمير الثورة.

والمؤامرات نوعان.. إما مباشرة، أو غير مباشرة، فأما المؤامرات المباشرة فهى تلك المخططات المكشوفة التى كانت تهدف إلى وأد الثورة، سواء عن طريق قتل زعيمها، أو نشر الفتنة بين رجالها، أو الاعتداء العسكرى المباشر على أراضى وسيادة الدولة.. ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - المؤامرة التى دبرها نفر منشق عن جماعة الإخوان المسلمين لقتل عبدالناصر فى الإسكندرية عام ١٩٥٤، وهو ماعُرف باسم «حادث المنشية»، ومؤامرة ١٩٥٦ التى اشتركت فيها ثلاث دول بعمل عدوان عسكرى مباشر على الأراضى المصرية، منبع الثورة

الكبرى لتحرير كافة الشعوب النامية، وأيضاً مؤامرة ١٩٦٧ التى أصابت المسيرة الثورية فى الصميم.

وتفاصيل هذه المؤامرات وأبعادها الحقيقية، هى موضوع الفصول القادمة من حواراتنا مع السيد حسين الشافعى.

أما المؤامرات غير المباشرة، فهى تلك المتمثلة فى التشكيك، ونشر الشائعات والافتراءات الكاذبة، والتى يأتى فى مقدمتها الادعاء بأن ثورة يوليو نزلت بالشعب المصرى إلى الحضيض، فأمسكت به من بستان الديمقراطية حراً طليقاً، لتلقيه مقيداً فى ظلام سجون الديكتاتورية(!!)، وأن الحياة السياسية كانت قبل الثورة مثالاً للديمقراطية والنزاهة التى يحتذى بها فى جميع أنحاء العالم المتقدم!!

فى هذا الفصل، يتركز حوارنا مع السيد حسين الشافعى على الفترة الممتدة من عام ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٥٢، ليقول لنا شهادته على الحياة السياسية فى هذه الفترة، كشاهد عيان عاش أحداثها عن قرب.

فهل حقاً كانت الحياة السياسية بمصر قبل الثورة، ليست فى حاجة لثورة عظيمة كتلك التى قام بها الضباط الأحرار بقيادة جمال عبدالناصر فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢؟

ذلك هو موضوع هذا الفصل.

● سيدى النائب..

●● **هل تذكر كيف بدأت علاقتك بجمال عبدالناصر قبل الثورة؟**

- معرفتى بعبدالناصر بدأت منذ دراستنا فى الكلية الحربية فى العام الدراسى ١٩٣٧/٣٦، وكان معى زكريا محيى الدين، وأنور السادات، وكان جمال عبدالناصر لم يقبل فى دفعتنا والتحق بكلية الحقوق، وحينما أعلنت الكلية فى مارس سنة ١٩٣٧ عن حاجتها لدفعة جديدة، تقدم جمال للكلية وقبل فيها، وكانت دفعته أكبر دفعة، إذ بلغ عددها ١٥٠ طالباً، وكان ذلك تحسباً لاحتمال دخول مصر الحرب العالمية الثانية، وفى سنة ١٩٤٢ رأيت جمال عبدالناصر فى العلمين، ثم توطدت الصداقة بيننا منذ عام ١٩٤٥، أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.



●● **كيف، وماهى الظروف التى نشأ فيها تنظيم الضباط الأحرار؟ وماهى الظروف الخاصة بكم حين الانضمام للتنظيم؟**

- فى سنة ١٩٤٦ كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت، ودائماً بعد الحرب تكون هناك ردود فعل فى العالم، ويكون هناك نشاط سياسى ملحوظ ومتصاعد، وفترة الحرب هذه غيرت مقاييس كثيرة، منها أحداث ١٩٤٢ بعد تقدم روميل على بعد خطوات من الإسكندرية، وتغير الموقف العسكرى وتعقد من وجهة نظر الإنجليز، ووصل بهم الإحساس بالضياع إلى درجة أنهم أحرقوا مستندات

السفارة تحسباً لإمكانية الانسحاب، وأعدوا ميناء سفاجا كميناء تبادلى للسويس، وقاموا بواسطة السكك الحديدية المصرية بمد خط سكة حديد من قنا إلى سفاجا، وبلغ بهم اليأس والاضطراب مبلغاً كبيراً، فأعدوا خططاً تعويقية لقوات روميل المتقدمة إلى القاهرة، ومنها تحطيم الكبارى على النيل، وإغراق جزء كبير من الأراضى الزراعية، لتكون دفاعاتهم مستندة إلى عنق الزجاجة فى مدخل القاهرة الغربى عند جبل أبو رواش، وجبل عجيجة.

وكان كل فرد يريد أن يثبت وجوده خلال هذه الأحداث وبعدها، وبعد حرب فلسطين مباشرة، كان الجو مهيئاً لأن يكون هناك نشاط سياسى بداخل الجيش نتيجة لعدة اعتبارات، منها ماحدث فى حرب فلسطين، وما انتهت إليه الأحزاب والسراى فى صراعاتها.. وبدأ التخوف من نشاط الإخوان المسلمين، خاصة بعد قتل حسن البنا.. كانت الأجواء تغلى، والمجتمع يتقلب، والصورة الدولية تتحرك، وأصبح واضحاً لضباط الجيش أن هناك جموداً فى التحرك السياسى والنضالى، والعملية انتهت إلى تسوية حسابات ومصالح.

سنة ١٩٥٠ كانت هى بداية التجمع الحقيقى لتنظيم الضباط الأحرار، وبالنسبة لى شخصياً لم يكن هناك اتصال مباشر بينى وبين جمال عبدالناصر فى البداية، وكان هناك ضباط فى سلاح الفرسان مرتبطين بتنظيم الضباط الأحرار، ومنهم خالد محيى الدين على سبيل المثال، ولكن عبدالناصر طلب منه ألا يكلفنى بشىء، على أساس أنه سيتصل بى ويكلمنى شخصياً، وبالفعل هو الذى اتصل بى، وبدأ يزورنى فى منزلى الذى كان وقتها فى العباسية داخل معسكرات الجيش، وكان هو وقتها مدرساً فى كلية أركان الحرب، وبدأ يكلمنى عن كل شىء فى التنظيم، لكن تكليفى بأن أكون قائداً للمدرعات، كان بالتحديد فى سبتمبر سنة ١٩٥١، ففى الأسبوع الأول من سبتمبر عام ١٩٥١، كان جمال عبدالناصر فى إدارة الجيش، وقابلته بالمصادفة حيث كنت منتدباً للعمل كمساعد لمدير المستخدمين العسكريين، وبادأته بالحديث عن أوضاع البلد، وحالة الجيش، والصراعات السياسية القائمة، وقلت له إن البلاد هى التى تدفع الثمن فى النهاية، والجيش على وجه التحديد هو الضحية التى يدفع بها دون وعى، والإنجليز مازالوا محتلين البلد، والأمر ينبغى أن يحسم ونحرر إرادتنا، فقد

أصبحنا نخجل من ارتداء ملابسنا العسكرية، والكل يكاد يقول أنتم الورقة الباقية للخلاص من هذه الأوضاع.

واستمع لى جمال عبدالناصر جيداً ولم يعلق، وإذا به يرسل إلىَّ فى المساء كل من ثروت عكاشة، وعثمان فوزى، من ضباط السلاح ليبلغونى أن أكون ممثلاً للضباط الأحرار فى قيادة المدرعات لحساب الثورة، وتهيبت من هذه المسئولية وأنا بعيد عن السلاح منتدباً فى إدارة الجيش، وألغى انتدابى يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥١ لأتسلم عملى كقائد للكتيبة الأولى سيارات مدرعة من الآلاى الخامس، والتى أدرت منها العمل فى قيادة المدرعات ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وكانت الفترة منذ رجوعى حتى قيام الثورة بالنسبة لنا كالحلم، فى مجال التجمع والارتباط، وكأنه كان قدراً ولابد أن ينفذ، ووجدت الناس ترتبط بى وتتجمع حولى، مما جعلنى أحس بسند إلهى، وهذه أمور يستشعرها الإنسان وقد لا يستشعرها.

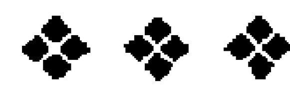


●● هذه التصرفات التى أبداها المحتل الإنجليزى بمصر أثناء تقدم قوات روميل نحو الإسكندرية.. ماذا كان رد فعلها داخل صفوف القوات المسلحة المصرية؟

- بالنسبة للقوات المسلحة المصرية كانت تشكل ردود فعل عنيفة على ضباط الجيش، شأنهم فى ذلك شأن أى مواطن مصرى، وعندما هاجمت دبابات الإنجليز قصر عابدين فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢، كان رد الفعل على ضباط الجيش كبيراً، على الرغم من أن الملك فى هذا الوقت لم يكن يتمتع بالحب الذى كان الشعب يكنه له عند توليه الحكم كأمل للمستقبل بعد وفاة والده، ولكن الاعتداء على رمز البلاد بهذه الصورة المهينة، كان إهانة لشرف الأمة وكرامتها، أثارت فى نفس القوات المسلحة وضباطها شعوراً معادياً للوجود الاستعمارى.. كانت هذه المشاعر تتصاعد وتتزايد بمرور الزمن، إلى أن أتيحت الفرصة بعد إلغاء المعاهدة أن تتحرك هذه المشاعر المكبوتة على مدى الأحداث المتعاقبة، وتتفجر، خاصة عندما انتهت الأمور إلى التخبط السياسى.. حريق القاهرة..

والوزارات المتعاقبة بلا هدف ولا برنامج، والكل يتطاحن من أجل السيطرة والوصول إلى كراسى الحكم، حتى ولو كان ذلك على حساب انهيار الأوضاع فى البلاد.

وفى النهاية لايدفع الثمن من دمه وروحه وإمكاناته إلا الشعب.. بعماله، وفلاحيه، وجنوده، وكل حدث من الأحداث التى قام بها المستعمر الإنجليزى، أو فكر فى القيام بها، سواء إغراقهم للأرض الزراعية، أو تحطيم الكبارى على النيل، أو فرضهم لوزارات معينة، كان لذلك كله ردود فعل فى نفسية الضباط.



●● بالنسبة لحرب فلسطين.. ماهو انطباعكم عن هذه الحرب، وقد كنت ضابطاً عاملاً بالقوات المسلحة وقتها؟

ـ حينما خاض الجيش المصرى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨، كانت حرباً غريبة.. فنحن نحارب لتحرير الأراضى المحتلة من فلسطين، وأرضنا فى مصر محتلة(!!)، ولكنها كانت مؤامرة من إعداد وإخراج القوى الاستعمارية الكبرى، اتفقوا عليها فى يالتا عام ١٩٤٥، ليصدر بعد ذلك قرار التقسيم، ويعطى إسرائيل الحق الشرعى لما اتفق عليه الكبار، الذين كانوا يتسابقون لنيل شرف السبق للموافقة على قرار التقسيم، وقيام دولة يهودية فى المنطقة العربية، إعمالاً لوعد بلفور الذى صدر فى «٢ نوفمبر ١٩١٧».



●● ماهو الحجم الحقيقى للدور السياسى الذى قام به حزب الوفد قبل الثورة؟

ـ حزب الوفد كان يعبر عن آمال الأمة حتى سنة ١٩٣٦، كقوة سياسية مناضلة، وبعد ذلك التاريخ تحول إلى قوة مهادنة ومساومة، اعتمد عليها المستعمر فى تهيئة مصر لمسرح العمليات الحربية المتوقع قيامها، خاصة بعد هجوم موسولينى على الحبشة عام ١٩٣٥، ولما كانت إنجلترا على أبواب الهزيمة

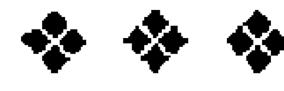
لتقدم الجيوش الألمانية إلى العلمين سنة ١٩٤٢، ولم يكن أمام الإنجليز إلا الاستناد على الوزارة التى وقعت معهم المعاهدة، لتهيئة مصر كقاعدة عسكرية لخدمة إنجلترا، ومنذ هذا التاريخ فقد حزب الوفد القسط الأكبر من اعتباره السياسى فى ضمير الشعب.

لقد أسقط الوفد بإبرامه المعاهدة، المصلحة الوطنية، التى كانت تعبر عنها بصدق وبحق ثورة ١٩١٩، بقيادة الزعيم سعد زغلول، ولكن مع ذلك فإن ثورة ١٩١٩، تم احتواؤها يوم أن أعطوها علماً، وأعطوها الاستقلال الصورى من خلال تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢، مع استمرار وجود قوات الاحتلال، وانتهت القضية، وفى سنة ١٩٢٣ صدر الدستور، وقالوا لهم خذوا الدستور ليكون تحرككم فى دائرة الدستور، وساعدت إنجلترا على صدور دستور سنة ١٩٢٣، لأنه بعد سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا فى نفس العام ١٩٢٣، كان هناك اتجاه لإقامة الخلافة الإسلامية فى مصر، فبعض الدول الإسلامية كانت ترى فى مصر البديل لقيام الخلافة فيها، وخاصة المسلمين الهنود (باكستان حالياً) كانوا من أشد المؤيدين لذلك، فكان دستور ١٩٢٣ أساساً لإماتة هذا الاتجاه، وهو إقامة الخلافة الإسلامية فى مصر.

المهم أن ثورة ١٩١٩ تحولت من نضال إلى أشكال، تمثلت فى أحزاب وتكتلات، وشيئاً فشيئاً ضاعت الثورة، وانقضى النضال، بينما ظل المستعمر بقواته وجنوده، وأخذت الأحزاب تتقاتل للجلوس فى مواقع الحكم الذى كان مرهوناً بموافقة الإنجليز، لتتحدرالعملية الوطنية من سيء إلى أسوأ، حتى كانت حرب فلسطين، ووجد الجيش نفسه أنه فى النهاية هو الذى يدفع الثمن للفساد السياسى، فالصراع بين الأحزاب والسراى التى لم يكن لأى منها إرادة حقيقية إلا مايرضى عنه المستعمر الذى يفرق ليسود، ويضرب القوى بعضها ببعض، تارة مستنداً على السراى، وتارة مستنداً على القوة السياسية التى تتناسب مع مراحل الصراع على السلطة.

لذلك كانت العملية الوطنية ميتة، وأصبحت القضية هى كراسى الحكم فقط، فالسراى بها موظف إنجليزى بدرجة «ملك» كان يرى فى أى تكتل شعبى ما

ليس فى مصلحته، فيقف فى وجهه.. حتى عملية إلغاء المعاهدة كانت مبادرة من الوفد بغرض إحراج السراى.. وكلهم كانوا يتخبطون فى بعضهم، ومن الذى يدفع الثمن هنا؟.. الجيش.. كنا نشرب المر فى الصحراء، يصرف لنا نصف لتر مياه فى المواقع النائية بالصحراء كل ٢٤ ساعة، وهم هنا يستهلكون أمتاراً مكعبة فى حماماتهم.. نصف لتر مياه كل ٢٤ ساعة فى عز الحر.. وهم هنا ولا حاجة.. الكباريهات.. الخمارات.. السهرات.. ولا شىء!! كان هناك انفصال شبكى.. ناس فى الصحراء واكلة التراب، وناس عايشة فى قصور منعمة، لقد عشنا ظروفاً صعبة وقاسية، ومع ذلك كانوا فى دنيا غير دنيانا.. فهم لن يحاربوا.. ولن يضحوا.. ولن يرهقوا أنفسهم.. ولن يجوعوا.. ولا يقدر أحدهم على مسك فأس.. أو بندقية.. أو أى أداة إنتاج.. فقد يقدر أن يمسك بالسيجار اللى «يخزّق» به عيون الناس.. والعصا.. والطربوش.. تحدى!!!



●● للنحاس باشا عبارة شهيرة هى: «من أجل مصر عقدنا المعاهدة ١٩٣٦ . ومن أجل مصر ألغينا المعاهدة».. فهل حقاً ألغى حزب الوفد المعاهدة بهدف الصالح العام؟[1]

- إلغاء المعاهدة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١، لم يكن بهدف استعادة الرصيد

(١) كانت معاهدة التحالف بين مصر وإنجلترا عام ١٩٣٦، تنص على ما ملخصه:

١ - تعلن بريطانيا انتهاء احتلال قواتها لمصر، ولكنها تحتفظ ببعض قواتها فى منطقة قناة السويس، للدفاع عنها حتى يقوى الجيش المصرى. ٢ - تقوم الحكومة المصرية بإنشاء الطرق والجسور والسكك الحديدية اللازم لتسهيل نقل القوات البريطانية داخل مصر. ٣ - تساعد بريطانيا مصر فى إلغاء الامتيازات. ٤ - مدة المعاهدة عشرون عاماً، ويمكن قبل نهايتها تعديل نصوصها مع استمرار التحالف قائماً بين مصر وبريطانيا.

● ومما يلاحظ على هذه المعاهدة أنها:

١ - اعترفت الحكومية المصرية رسمياً لأول مرة بالاحتلال البريطانى، كاعتراف معاهدات السلام الساداتية بإسرائيل. ٢ - تحملت الحكومة المصرية أعباء إنشاء الطرق الحربية وصيانتها وتوفير مواد التموين اللازمة لجيوش الاحتلال. ٣ - أصبح لبريطانيا حق الاستيلاء على الموانىء البحرية والمطارات وطرق المواصلات فى حالة الحرب أو خطر الحرب. ٤ - اشتراط التحالف بين الدولتين حتى بعد انقضاء العشرين عاماً أعطى لإنجلترا حقاً شرعياً فى التدخل فى شئون البلاد داخلياً وخارجياً.

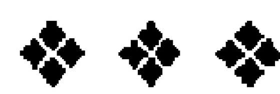
المفقود لحزب الوفد، بقدر ماكان مناورة لإحراج الطرف الآخر فى استرضاء الإنجليز وهى السراى فكان مؤدى إلغاء المعاهدة أن يضع حزب الوفد الملك فى عملية إحراج سياسى، فإما أن يتمشى مع إلغاء المعاهدة، فتكون له السيادة والقيادة، وهذا يبدو فى تصريح النحاس «وقعنا المعاهدة من أجل مصر ونلغيها من أجل مصر» وإما أن يعارض الملك هذا الاتجاه، فيكون السند الذى يستند إليه الحزب هو الإنجليز مرة أخرى، كما كانوا هم السند فى سنة ١٩٤٢، على أن الملك أو الأحزاب لم تكن تتصرف إلا بما يتوافق مع رضاء الإنجليز، أو بموافقتهم، لأنه مهما كان التاريخ النضالى لحزب الوفد فى مراحل طويلة، إلا أنه فى هذه المرحلة كانت العملية السياسية أصبحت مستنفدة.



●● استمر تنظيم الضباط الأحرار لسنوات يعمل فى الخفاء من خلال اجتماعات وخطط، ثم خرج للميدان قبل فجر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، فما الذى عجل بتحريك الأحداث؟

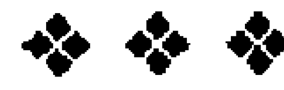
ـ الذى عجل بتحريك الأحداث، وكان دافعاً لقيام الثورة، هو ردود الفعل التى أحدثتها عملية إلغاء معاهدة ١٩٣٦، يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١، فعملية إلغاء المعاهدة ـ كما قلت لك من قبل ـ كان مظهرها وطنياً، ولكنها فى الواقع كانت مناورة بين حزب الوفد والملك.

وفى هذه المرحلة كانت العملية السياسية الوطنية مستنفدة، وأصبحت الوزارات وتغييرها المتكرر، تعبيراً عن الإفلاس النهائى للعمل السياسى على الساحة المصرية، فالإنجليز يحتلون البلد، وقواتهم العسكرية فى مصر كثيرة، فارتضت الأحزاب الموجودة وقتها ذلك الوضع كواقع، وأصبح الصراع بينها وبين بعضها من جانب، وبينها وبين السراى من جانب، هو الدائرة التى تلعب فيها سياسة هذه الفترة، فأصبح وجود الاحتلال أمراً مسلماً به، والمعارك بينها كانت على المناصب والسلطة فقط.



●● هل كانت هناك علاقة بين التعجيل بالتحرك، وبين حريق القاهرة الذى حدث يوم ٢٦ يناير من نفس العام الذى قامت فيه الثورة؟[٢]

- قد يكون حريق القاهرة تعبيراً عن مصلحة السراى فى أنها تظهر أن الوزارة القائمة غير قادرة على حفظ الأمن، وبالتالى يكون مبرراً لإقالتها (وزارة الوفد)، ولكن إلغاء المعاهدة بالذات كان هو السبب الرئيسى فى تحريك الأحداث، لأن حزب الوفد بجانب أنه كان رجل الحكومة التى تأتمر بإرادة الإنجليز، الذين نصبوه من قبل فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢، كان يريد أن ينال شرف العمل الفدائى الذى لم يكن له أى يد فيه، وخاصة بعد أن استشعر أن الملك يسعى لإقالته، والمقاومة التى حدثت نتيجة إلغاء المعاهدة، كان يتولى قيادتها فريق من الضباط الأحرار، وكان فؤاد سراج الدين وقتها وزيراً للداخلية ووزيراً للمالية، أى أنه كان يملك «سيف المعز وذهبه».



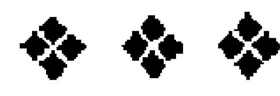
●● ماذا كان رد حكومة الوفد إزاء حريق القاهرة، كحدث غوغائى ضخم حدث فى ظل حكمهم؟

- خافت حكومة الوفد أن يكون لهذه الأحداث رد فعل داخل الجيش، فدفعوا ببعض الوحدات العسكرية إلى طريق السويس، بزعم الدفاع عن القاهرة، إذا حدث تحرك للإنجليز من قاعدة قناة السويس، وكانت أحداث ضرب محافظة الإسماعيلية (فى اليوم السابق للحريق)، وقتل عدد من رجال البوليس، عملية وطنية كبيرة تثير المشاعر ضد المحتل الأجنبى، ولكنها فى النهاية كانت عملية عقيمة ومحدودة الأثر، وكان هناك إغداق على رجال الشرطة بعد هذه الأحداث، والإشادة برجال الشرطة وبطولاتهم فقط، ووزعت عليهم النياشين، فى الوقت

---

(٢) كانت خسائر حريق القاهرة حسب الإحصاءات الرسمية هى:
فى يوم الحريق مات ٣٩ فرداً، وأصيب ٥٥٢ آخرون، ودمرت الحرائق ٣٠٠ متجر، و٣٠ شركة، و١٣ فندقاً، و٤٠ دار سينما، و٨ محلات لعرض السيارات، و١٠ متاجر سلاح، و٧٣ مقهى ومطعماً وصالة، و٩٢ حانة، و١٦ نادياً، و١٧ شقة سكنية.

الذى كان فيه الجيش موجوداً فى مواقعه المحددة، وقد طلب منى فى يوم الحريق الانتقال من طريق السويس إلى بلبيس، وأذكر أننى فى ساعة الغروب تصادف أن يكون مرورى أمام قصر القبة متجهاً إلى طريق الإسماعيلية، وشاهدت من موقعى خارج القاهرة منظرها وهى تحترق، وهذا المنظر لا يفارق مخيلتى حتى الآن، وكان الجيش فى ذلك الوقت ممتلئاً بالانفعالات، والشعور بالمهانة، وإحساس بالمسئولية، أن يصل حال البلد إلى ماوصلت إليه على مسرح الصراعات الحزبية والشخصية من جهة، وبين الملك وحزب الأغلبية من جهة أخرى.

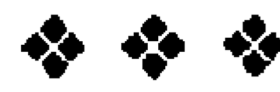


●● وكيف أثرت هذه الظروف على الجيش؟

ـ الجيش فى هذه الحالة، وفى هذه الظروف، كان هو الورقة الوحيدة أمام ما ترددت إليه الأوضاع، فكان هو ورقة الخلاص، والملجأ الأخير للإنقاذ، فالأرض كانت مهيأة لقيام الثورة داخل الجيش على وجه التحديد، والجيش لايتحرك بعيداً عن واجبه الأصلى إلا فى مثل هذه الظروف، التى يتحتم عليه أن ينبرى للدفاع عن البلد فى الداخل، إذا كان مايجرى فى الداخل مهدداً لأمن البلد من الخارج.

وأذكر هنا حدثاً طريفاً، ولكنه تعبير عما كانت عليه النفوس داخل الجيش، كان المعروف أنه عندما تكون الوحدات فى الخارج تصرف لها علاوة تسمى «علاوة طوارئ» لأنه فى هذا الوضع تضاف عليه تكاليف المأكل والمشرب، فتشكل عبئاً إضافياً، وكانت هذه العلاوة بالنسبة للضابط فى ذلك الوقت عشرة قروش يومياً، وهو مبلغ قليل جداً، فكان فى عدم صرفه للوحدات مثار قلق واضطراب، وأذكر أننى فى يوم كنت حاضراً لاجتماع فى مركز قائد الكتيبة السادسة التابعة للواء الثانى مشاة، والمتمركز فى الهايكستب، ودعا قائد الكتيبة ـ فى حضورى ـ أن نمتنع عن صرف مرتباتنا كوسيلة للاحتجاج، بسبب عدم صرف علاوة الطوارئ، وكان قوله هذا يعبر عما يدور على ألسنة الضباط، ولكن بعد أن قال ما قال، وكنت أنا فى هذه الأيام عائداً لتوى من انتدابى فى إدارة الجيش، وكنت برتبة بكباشى (مقدم)، وعندما أحس قائد الكتيبة أنه تجاوز حدود الكلام

فى مجال الالتزام والنظام، وجه لى الكلام وقال: «واللا إيه رأيك ياحضرة البكباشى؟». فقلت: والله دى وجهات نظر. ومش معقول تكون سمعة الجيش فى الأرض، وبعدين نيجى فى سنة ١٩٥١ ويقال إن الجيش امتنع عن قبض المرتبات، علشان بدل ماتبقى سمعته فى الأرض، تبقى سمعته فى الطين، واحنا مش أجريّه، وفى الوقت اللى نسمع فيه عن أن الطيار المدنى أحمد عصمت حينما قام جنرال إنجليزى بتفتيشه على طريق السويس عند الكليو ٩٩ فما كان منه إلا أن ضربه بالرصاص، وقتل هو الآخر، نعمل احنا إضراب علشان ١٠ قروش؟!، فلا يليق فى الوقت اللى يبقى رد الفعل فيه للمواطن العادى على هذه الصورة، يقال إن الجيش مضرب علشان علاوة الطوارىء. ولكن هذا الكلام لم يرق لجمهور المستمعين، فقال أحدهم أصل الجماعة بتوع السوارى دول ناس أرستقراط، وإذا كانوا هم مستغنيين احنا مش لاقيين ناكل، فقلت لهم أنا لا أملك إلا مرتبى، وليس لى دخل آخر، ولدى من الأولاد اثنان، وأنا متأكد من أحقيتكم، ولكن هناك مواقف تتجاوز ذلك.. وانتهى الاجتماع.

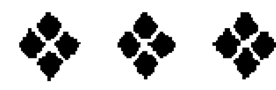


●● وماذا جرى بعد ذلك؟

- عدت إلى مقر وحدتى، وجاء ضباط المدرعات، من دبابات وسيارات مدرعة، يقولون لى إن الضباط بيعايرونا بأننى الوحيد اللى اعترضت على عملية الامتناع عن صرف المرتبات كنوع من الاحتجاج، فقلت لهم تعبيراً عن اتجاه الضباط الأحرار، إنه لا ينبغى أن نقبل أى ميزة، حتى لايكون فى ذلك مايشبه الرشوة لإسكات القوات المسلحة، ولكن إذا كنتم مصممين على صرف العلاوة فما أسهل هذا الأمر، وكنت قد أدركت وأنا فى إدارة الجيش أن أى شكوى ولو من مجهول، تهتز لها شوارب القيادات من أعلى المستويات، فقلت لهم هاتوا لى ورقة وقلم، وكتبت تلغرافاً لكل من عمر باشا فتحى كبير الياوران، ومحمد حيدر باشا القائد العام للقوات المسلحة (وزير الحربية)، وكانا بنفس الصيغة «ماكنا لنشكو لأسباب مادية أو معنوية، لولا التفرقة فى المعاملة بين ضباط الجيش وضباط البوليس الذى يحتضنهم فؤاد سراج الدين»، وكان الإمضاء باسم نقيب فلان

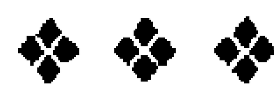
الفلانى (اسم مستعار) عن ضباط اللواء الثانى مشاة، ولم يخب ظنى، فبعد أن أرسلت البرقية، وإذا فى صباح اليوم التالى لإرسالها، بحيدر باشا، ومعه رئيس الأركان حسين باشا فريد، يحضران لقيادة اللواء الثانى مشاة، ويجريان تحقيقاً فى هذه البرقية، وقبل مغادرتهما المكان يعلنان عن صرف علاوة الطوارىء.

وبعد هذا التصرف منى زاد تقديرهم لشخصى، ولكن من منطق التمسك بالمبدأ، وكان هذا هو المدار الحقيقى لتنظيم الضباط الأحرار، وبدأت تتآلف قلوبهم من حولى، وطمأنت عبدالناصر، بأن هناك الكثير من حولى تآلفت قلوبهم معى، خاصة بعدما علموا أننى ممثل الضباط الأحرار لقيادة الوحدات المدرعة وقيادة سلاح الفرسان.



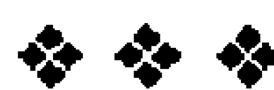
●● هل كان عبدالناصر فعلاً هو قائد تنظيم الضباط الأحرار؟ وكيف كان ذلك؟

- فعلاً.. عبدالناصر كان هو القائد الحقيقى لتنظيم الضباط الأحرار، بالكلمة، والخدمة، وبالعلم، والعطاء، وبالبذل، والتفانى، والتضحية، وأداءالخدمات.. وهو من خلال موقعه كمدرس فى كلية أركان الحرب كان له مشجعون كثيرون، وكان كل من ارتبط به من ذوى المناصب الكبرى، وكان موضع تقدير الجميع، وقبل الجميع العمل تحت قيادته.



●● ومن هو قائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢؟[٣]

- جمال عبدالناصر.. بلا أى منازع، جمال عبدالناصر هو قائد ثورة ٢٣ يوليو، وبغض النظر عن الأدوار التى قام بها الآخرون مهما كانت أساسية.

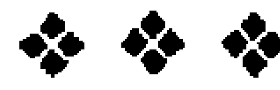


---

(٣) جاء فى خطاب الرئيس السابق لمصر محمد أنور السادات، فى مناسبة افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى، يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٧٢، مايلى وبالحرف الواحد:
=

●● ولماذا اختير محمد نجيب رئيساً للجمهورية بعد نجاح الثورة، رغم أن عبدالناصر كان قائدها ومنفذها؟[٤]

ـ وجود محمد نجيب كان ضرورة مرحلية، ومعلومات نجيب عن الثورة قبل نجاحها كانت ضعيفة، واختياره كان موضع جدل ومناقشة، فهو كان مجرد رمز لعملية مرحلية، ولاعتبار السن، ولكن تجمع الكثير من حوله من أعداء الثورة، لأنه كان من النوع المجامل، ولهذا أرادوا أن يحتووا الثورة من خلاله.



●● سيدى النائب: وأنتم ضباط مصر الأحرار.. حينما كنتم تخططون وتتدارسون للقيام بالثورة، هل وضعتم فى اعتباركم حكم مصر؟ أم أن ظروف تلك المرحلة هى التى تطلبت ذلك؟

ـ بمجرد نجاح الثورة، أصبح لنا وضعاً سياسياً فرضته الظروف، إذ أن تداعى الأحداث التى انتهت بخروج الملك، ثم إلغاء النظام الملكى فى السنة التالية، لم يعطنا وضعاً سياسياً فحسب، بل فرض لنا سلطة السيادة، وفى الوقت نفسه الذى ألغيت فيه الملكية، أصبح الوضع بالنسبة لنا كمن ألقت به الأحداث

= «.... كان جمال عبدالناصر هو مصمم، ومنفذ، وقائد ثورة ٢٣ يوليو، وهذا البلد لايعرف بالمعنى الحقيقى للثورة إلا ثورة واحدة، هى ثورة ٢٣ يوليو.

إن هذه الأمة العربية ـ وهذه شهادة كل مخلص مجرب فيها ـ يعرف ثورة أساسية واحدة، هى الثورة الأم لكل التغيرات الواسعة والعميقة، والتى تشهدها الأمة العربية.

أيها الأخوة والأخوات:

إننى أدعوكم فى هذه اللحظة، وقبل أن نبدأ أعمال مؤتمرنا، إلى الوقوف بإجلال لنضال جمال عبدالناصر، ومبادىء جمال عبدالناصر، والمثل الأعلى الذى أعطاه جمال عبدالناصر».

(٤) يقول القائمقام أنور السادات فى كتابه «قصة الوحدة العربية»:

«.... واللواء محمد نجيب قد اختير من خارج تشكيل الضباط الأحرار، وأنه كان ثالث ثلاثة، وأن اختياره كان لحكمة عرضت لا من حيث مكانة الرتبة، ولا من حيث اعتبار السن فحسب، وإنما ليتفرغ الثائر المتبوع لمسئوليات دفع الثورة فى اتجاهاتها».

فعبدالناصر كان هو المتبوع، ونجيب وغيره كانوا تابعين، كما أكد ذلك أنور السادات، ونضيف بأن فى التاريخ سوابق مثل ذلك.

فى مضمار الصراع الذى لا تسعى إليه فى مجال الدفاع عن النفس، أى عن الثورة كحدث انبرى وتصدى للوضع السياسى المنهار الذى كان قائماً قبل قيامها، فلقد شعرنا وأدركنا حينما كنا ضباطاً فى الجيش أن القضية قد انتهت، أى أنها مجرد صراع على السلطة بين الأحزاب من جانب، وبين السراى من جانب آخر، وبين الأحزاب فيما بينها، وسقطت فى هذا الخضم المصلحة الوطنية.



●● لماذا حرصت قيادة الثورة على أن يتولى ضباط الجيش المناصب القيادية فى الدولة؟ ولماذا كان عبدالناصر بالذات رئيساً للجمهورية؟

- أولاً بالنسبة لعبدالناصر لم يكن هناك خلافاً عليه، ولم يعترض عليه أحد، أما بالنسبة لتولى ضباط الجيش المناصب الكبرى، فأحب أن أوضح أن أى حزب يكون له كادر خاص، ولايمكن أن يتولى أحد مناصب به من خارج كادرات هذا الحزب، ونحن كضباط الجيش لم يكن لنا أى احتكاك خارج الجيش، وكان الجيش بمثابة الكادر العام للثورة، تحكمه اعتبارات فكرية ووطنية ونظامية، والضباط الأحرار فيه كانوا يمثلون التزاماً فورياً، ولم نكن نعرف أحداً خارج الجيش نثق فيه، ومع ذلك كانت أول وزارة برئاسة على ماهر، ثم أشركنا معنا فتحى رضوان، ونور الدين طراف، وأحمد عبده الشرباصى، وغيرهم من الذين سمعنا عن أدوارهم الوطنية، والذى كان يتمشى مع أهدافنا كنا نحتفظ به، وهؤلاء لهم مواقفهم الوطنية التى نعرفها، وعلى قدر الإمكان لم يكن هؤلاء يمثلون أحزاباً بقدر ماكانوا يمثلون الاتجاه الوطنى.

الخلاصة، أنه لم يكن هناك بديل لرجال الجيش الذين قاموا بالثورة، لكى يتولوا أمر الحكم، على الأقل ليضمنوا الأمان لثورتهم التى بذلوا من أجلها النفس والنفيس.

الفصل الثانى

الصراع مع الإخوان..
وتطوير الأزهر

- هناك فرق كبير بين الإسلام كدين، والإخوان المسلمين كتنظيم وفكر.
- لم يكن هناك أحد من قيادات الثورة عضواً فى تنظيم الإخوان المسلمين.
- ظهر عداء الإخوان المسلمين للثورة منذ اليوم الأول لقيامها، واندفع بشدة عند الإعلان عن تشكيل هيئة التحرير.
- انقسم الإخوان على أنفسهم فى تحديد موقفهم من الثورة.
- كنا ننظر إلى الإخوان كأمل، وخصوصاً عناصرهم التى شاركت فى حرب فلسطين.
- للإخوان إيجابيات لايمكن تجاهلها.
- وجد الإخوان فى تشكيل هيئة التحرير بداية النهاية لهم، لأنهم تصوروا أن هذا التنظيم سيقضى على أملهم فى احتواء الثورة.
- قال لى حسن الهضيبى: «ليكن فى معلومكم أن الإخوان المسلمين حركة عالمية لاتذوب فى الثورة، وجائز أنكم تروا أن تحاربوا فى قناة السويس، ونحن نرى أن نحارب فى مراكش».
- لا أنكر للإخوان أنهم علموا بموعد الثورة ولم يبلغوا عنها.
- كان هدف الإخوان من حادث المنشية ألا يعطوا الثورة الوقت الكافى لتثبيت أقدامها.
- كان الإخوان يريدون ألا يتم شىء فى مجلس الثورة إلا باستشارتهم.

- الثورة أدخلت ثلاثة من قيادات الإخوان فى أول وزارة لها، وكان على رأس من دخلوا الشيخ أحمد حسن الباقورى.

- محمد نجيب دُفع للاستقالة بإيعاز من الإخوان والمعادين للثورة.

- سيذكر التاريخ فى يوم من الأيام أن عملية تطوير الأزهر كانت هى الإنقاذ له.

- دعوت فى سنة ١٩٧٣ أن يتولى كل مسلم حفظ ربع حزب من القرآن كل أسبوع، وحققت التجربة نتائج عظيمة.

- عملية تطوير الأزهر لن تؤتى ثمارها إلا بعد حين.

الإخوان المسلمون.. منظمة سياسية، تنتمى إلى فكر ومذهب يختلف عن العُرف النابع من المذاهب الأربعة المعروفة، وتستهدف فرض هذا الفكر بالقوة، وكانت مستندة - فيما سبق - إلى الجهاز السرى المسلح التابع لها، والذى كان يرأسه عبدالرحمن السندى، وقد أسسها المرحوم الشيخ حسن البنا فى مدينة الإسماعيلية عام ١٩٢٨، وذلك كرد فعل لإنهاء الخلافة الإسلامية فى تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤ (عامل خارجى)، ورد فعل للتفسخ الاجتماعى الذى كان سائداً بمصر فى ذلك الحين، حيث الاحتلال.. والسراى.. والأحزاب.. والإقطاع (عامل داخلى). ثم انتقل مركزها من الإسماعيلية إلى القاهرة، وأسفرت عن طابعها السياسى، بعد أن كانت مشهرة على كونها جمعية دينية، مما دفع بعض عناصرها إلى الخروج منها.

وفى خلال ٢٠ عاماً من تأسيسها، تصاعد نشاط الجماعة بشكل كبير، فوصل عدد الشُّعب التنظيمية بها من أربع عام ١٩٢٩ إلى ٢٠٠٠ شعبة عام ١٩٤٩، كتعبير عن عمق البعد الدينى لدى أفراد الشعب فى مصر، وأصبح للجماعة امتداداً فى سوريا وفلسطين والأردن وباكستان.

وقامت دعوة الجماعة على شمولية الإسلام، أى شموله للدين والدنيا، ووجوب عدم الفصل بينهما فالإسلام عبادة وقيادة.. ودين ودولة.. وعمل وروحانية.. صلاة وجهاد.. حكم وطاعة.. سيف ومصحف.. ثم طالبت بالقضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية فى وجهة واحدة، وتقوية الجيش وإعداد الشباب على أسس الجهاد الإسلامى وتقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية تمهيداً لإعادة الخلافة الإسلامية من جديد، وإقامة الدولة الإسلامية الموحدة.

ودخلت الجماعة فى عدة صدامات مع النظم الحاكمة، بدأت باغتيالها النقراشى باشا رئيس وزراء مصر ووزير داخليتها عام ١٩٤٨، ثم اغتيل بعدها الشيخ حسن البنا مؤسس الجماعة وزعيمها الروحى، ثم حُلت الجماعة وصودرت أموالها، ثم عادت ونظمت نفسها بنفسها عام ١٩٥٠، وتولى حسن الهضيبى قيادتها، وبدأت مسيرة جديدة.

وحينما قامت الثورة، وعلى الرغم مما قدمته للجماعة من حماية، واعتراف بجهودها وجهادها فى حرب فلسطين، واستثنائها دون غيرها من الأحزاب، فلم تُحل الجماعة، بل كانت محاكمة إبراهيم عبدالهادى أساساً، لما تحمله الإخوان على يديه من اعتقالات لهم بعد حرب فلسطين، الأمر الذى أعطى للجماعة وضعاً متميزاً فى الأيام الأولى للثورة، على الرغم من كل ذلك، دخلت الجماعة مع الثورة فى صراعات عديدة ومتشعبة، كتبت عنها عشرات الكتب، وآلاف المقالات، وصور بعض الكتاب أن الثورة وكأنما قامت لتقضى عليهم فقط(!!)، وأن الثورة «هدمت» الإسلام(!!)، وأن الثورة «خرّبت» الأزهر الشريف!!

ولكن الحوار هنا مع السيد حسين الشافعى حول هذا الموضوع له أهمية خاصة، لأنه كان حلقة الوصل بين الثورة فى أيامها الأولى وبين الإخوان، ويقول الإخوان إنه كان واحداً منهم.. وواحداً منهم - طبقاً لأبسط قواعد المنطق - لن يفترى عليهم، أما هو نفسه فينفى تماماً عضويته بالإخوان، لكنه يؤكد تماماً تعاطفه معهم.. وأيضاً فالمتعاطف معهم لن يتجنى عليهم.

فى هذا الفصل تتكشف لنا أبعاد المؤامرة الثانية لإجهاض الثورة - من الداخل - على يد الإخوان المسلمين، وذلك من خلال إجابات خير شاهد على تلك المرحلة.

وليسجل التاريخ هذه الشهادة الأمينة، التى نأمل أن تنسخ ما حاكه كُتّاب الإخوان من قصص وافتراءات ما أنزل الله بها من سلطان عن الثورة ورجال الثورة.

●● فى البداية أود أن أعرف رأى السيد النائب فى تنظيم الإخوان المسلمين كفكر وممارسة؟

- يجب أن نفرق بين الإسلام كإسلام، وبين الإخوان المسلمين كتنظيم، فاعتبار الموضوعين موضوعاً واحداً يجعل الموضوع غير واضح، فالإخوان هم أول تنظيم يعلن عن الهوية الإسلامية فى اسم الجماعة، قبل المسيرة فى مراحل التكوين الحقيقى، ولذا كان من الصعب على أحد معارضته، إلى أن يثبت العكس فى مجال الممارسة، وفى مجال التجربة يمكن أن تتعرض لمؤامرات ما.

والدعوة إلى الإسلام لايقف معها أى مسلم إلا بعد أن يتحقق من صدقها، واستعدادها للتضحية والبذل، ولكن بالنسبة للإخوان فلم يكونوا كذلك، وأخذوا الإسلام شعاراً فقط، حتى اسمهم «الإخوان المسلمين» يحمل لفظاً جليلاً وعزيزاً على كل مسلم، ألا وهو الإسلام، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد من المسلم أن يكون حذراً ومدققاً حتى لاينخدع مهما كانت الشعارات براقة وأخاذة، فلا ينساق إلا بعد تدبر وتفكر، تأكيداً لقوله تعالى:

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾(١)

فقد تسمع كلاماً جذاباً وجميلاً، ولكن بحكم الآية يجيب أن ترى بعينك لتتأكد، ولا تكتفى الآية للقناعة بما تسمع، وبما ترى، فكم من صور ناصعة لاتعبر عن الحقيقة، بل لابد من استكمال القناعة بالفؤاد، وهى كلمة ليس لها مرادف فى أى لغة أخرى، فهى ليست العقل فقط، ولا القلب فقط، ولا الحواس فقط،

(١) سورة الإسراء - آية ٣٦.

ولكنها المحصلة لكل ذلك، سمعاً، وبصراً، وعقلاً، وقلباً، وحواساً، أى أنها تعنى القناعة الإنسانية الكاملة بكل ما أنعم به الله علينا حتى لانضل، ولا ننحرف، ولا ننقاد إلى كل ماهو غير صحيح.

وكلمة «الإخوان المسلمين» تعبير تجاوز ما أراده الله من تسمية للمسلمين، فهو يقول فى كتابه: ﴿ . . . هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ . . . ﴾(٢)

ويقول:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٣)

فلم يقل من الإخوان المسلمين، وهذا يؤكد أنهم أتوا بصفة لم يذكرها القرآن، إلا فى مجال عدم التفرقة والتشتت، بينما العنوان يدعو للفرقة والتشتت.



●● من كان من قيادات الثورة عضواً فى تنظيم الإخوان المسلمين؟

ـ لا أحد إطلاقاً من مجلس قيادة الثورة كان له اتصال بالإخوان المسلمين، وكان اتصالنا بهم يتم عن طريق الصاغ محمود لبيب، مندوب الإخوان المسلمين المسئول عن نشاطهم داخل الجيش، ولكن كان هناك نوع من التعاطف من جانبنا معهم.



●● يزعم الإخوان أن الصاغ محمود لبيب هو الذى أسس تنظيم الضباط الأحرار، ويؤكدون أن تنظيم الضباط الأحرار بدأ على يديه عام ١٩٣٢. فما مدى صحة هذا الزعم؟ وماهو دور محمود لبيب على وجه التحديد؟

ـ الصاغ محمود لبيب رحمه الله كان من أعز أصدقائى، وكنت آنس إليه،

---

(٢) سورة الحج ـ آية ٧٨.

(٣) سورة فصلت ـ آية ٣٣.

وأرتاح لمجلسه، وكنا فى سلاح الفرسان مجموعة من حوالى عشرة ضباط يجتمعون فى بيتى بحضور محمود لبيب كل يوم اثنين من كل أسبوع، بدءاً من الفترة مابعد عام ١٩٤٦، ووقتها كنت قائد مدرسة المدرعات، ولم يكن يدعونا لعضويتنا فى الجماعة بقدر ماكان يريد أن يجد نوعاً من التعاطف مع مجموعات الضباط من جهة، ومن جهة أخرى يتعرف على مايجرى داخل الجيش، فيستقى المعلومات منا، وكان يسمع أكثر مما يتكلم فى هذه الاجتماعات، وكان هناك ضباط من الجيش أعضاء فى الإخوان المسلمين، ولكن لم يكن من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة عضواً واحداً فى تنظيمهم.

والقول بأنه هو المؤسس لتنظيم الضباط الأحرار قول غير مقبول، إذ كيف يتسنى له ذلك وهو ليس من داخل القوات المسلحة؟! وليس من داخل الجيش، فهو كان ضابطاً قديما فى فترة الحرب سنة ١٩١١ مع صالح حرب وعزيز المصرى أيام حرب ليبيا، ثم تقاعد، وكان رجلاً كبير السن، فلم يكن فى استطاعته أن يشكل هذا التنظيم، ولكنه كان حلقة اتصال بين الإخوان المسلمين وبين بعض أفراد القوات المسلحة، حتى يكون هناك نوع من التعاطف، ولكن تصادف أن كان هناك عدد كبير من أعضاء مجلس قيادة الثورة على صلة بالصاغ محمود لبيب.



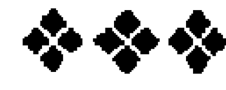
●● يؤكد البعض أنكم، والسيد كمال الدين حسين، بل وجمال عبدالناصر.. كنتم أعضاءً فى تنظيم الإخوان المسلمين.. فما مدى صحة ذلك؟

- هناك فرق بين التعاطف وبين العضوية، كان هناك فعلاً بعض أفراد القوات المسلحة أعضاء عاملين فى تنظيم الإخوان المسلمين، ولكن جميع الذين ذكرتهم هؤلاء كانوا فقط متعاطفين مع الإخوان، شأنهم شأن كثير من الناس فى ذلك الوقت، قبل ظهور روح الانعزالية والتعصب، وهو مايعبر عنه حالياً بـ«إما أن تكون من الإخوان، وأما أن تكون غير مسلم».



●● وماهو سر ذلك التعاطف؟

- كنا ننظر إلى الإخوان كأمل، وخصوصاً عناصرهم التى شاركت في حرب فلسطين، ومن أكثر الأمور التى أثرت فينا أنه بعد انتهاء الحرب، قتل الشيخ حسن البنا، كما أثر علينا بنفس الدرجة أن المقاتلين رجعوا بعد حرب ١٩٤٨ إلى السجون والمعتقلات، والإخوان المسلمين هم أولاً وأخيراً مواطنون فى مصر، ونعتز بهم كما نعتز بكل مواطن فى الدعوة التى يدعو إليها، والله سبحانه وتعالى سينصر من ينصره، وإذا كانت حركة الإخوان لم تتمكن من أن تصل إلى هدف سياسى ملموس، فقد يكون هناك عيوب فيهم، ولم يصارحهم بها أحد.



●● وماهى العيوب أو الأخطاء التى تراها فى تنظيم الإخوان؟

- حينما أتحدث عن أخطاء الإخوان، فأنا لا أعنى إلا أن نتدارك هذه الأخطاء، لأن الإسلام أكبر منى ومن الجماعة، ومن أى فرد، ولذلك فإنى أتكلم من منطق أنى مسلم يريد للإسلام العزة والظهور الكامل، والحق، سبحانه وتعالى يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(٤)

وأنا أتكلم من هذا المنطق، فالإخوان المسلمين رغم كل ماحققوه، فإن لهم أخطاء، والذى يصارحك أو يواجهك بأخطائك هو الذى يحب الإسلام، ويحب للإسلام العزة والرفعة والتقدم، فالإخوان المسلمين تصوروا أنهم يضعون أساساً جديداً للإسلام، والإسلام قد وضع أساسه سيد الخلق، ولن يستطيع بشر أن يعدل فى هذا الأساس بما يجاوز القرآن والسنة، ولكنهم كان لديهم إحساس بأنهم مبعوثو العناية الإلهية، وأنهم يعطون «براءة» أن هذا مسلم وهذا غير مسلم، وهذا أكبر خطأ وقع فيه الإخوان.

---

(٤) سورة الفتح - أية ٢٨.

أما الخطأ الثانى، فهم كمن دخلوا غزوة حنين وأعجبتهم كثرتهم، وظنوا أن هذه الكثرة كفيلة بأن تحتوى أعداءهم، وأنا أرى أن الاستعداد للبذل بالنفس والمال هو المحك الحقيقى، عملاً بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾(٥)

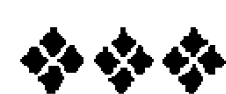
والذى يقدم الدليل فى نظرى هو الذى يقدم صدق مايدعو إليه، أما الدعوة بلا استعداد للبذل بالنفس والمال، فهى كما يقول الأجانب، الكلام رخيص لكن العمل هو الذى يحسب له الحساب، والجدية والاستعداد للبذل هما الميزان الحقيقى للصدق، أو هى كما يقول المثل الدارج «الميه تكذب الغطاس».



●● فى ضوء هذه الأخطاء.. ماهو تقييمك الشخصى لتنظيم الإخوان المسلمين؟ وإذا كانت لهم مميزات أو إيجابيات فما هى؟

ـ إذا كنت سأتحدث عن تقييمى لموقفهم، فأنا لا أهدف بهذا إلى أن أقلل من الجهود التى قاموا بها، فهم وبكل المقاييس لهم أفضال، ولا يمكن لأى منصف أن يتجاهلها، فيجب أن ننظر إلى القاعدة العريضة من الشباب المؤمن الخالص، الذى كان انضمامه للجماعة من منطلق حرصه على الإسلام، وحرصه على أن يجد متنفساً يزيل ما عنده من تناقض بين أحلامه وبين واقعه.

ولاشك أن فكر الشيخ البنا استطاع أن يقدم لمصر مجموعة من الدعاة كان لهم أسلوب جديد وفاعلية وتأثير، ولكن بعد حسن البنا أصبحت القيادة على غير المستوى الذى يمكن لها أن تسير بالدعوة إلى أبعادها الواقعة، فى ظل التكيف مع الوضع الجديد، وهى بدأت بمعاداة الثورة منذ أول يوم تحت تصور وتحت ادعاء أن الثورة أخذت منهم شيئاً.



(٥) سورة التوبة ـ أية ١١١.

●● بمزيد من التفضل.. أود أن أعرف موقف الإخوان من الثورة فى أيامها الأولى.. وقفوا إلى جانبها فعلاً كما يزعمون؟ أم عادوها منذ أن بدأت؟

ـ حينما فاتحنا الإخوان فى أمر الثورة لم يبدوا أى رغبة فى أن يكون لهم أى ارتباط بها على الإطلاق، حتى لا يتورطوا فى عمل يجر عليهم سوء العاقبة فى حال فشلها، وفى حال نجاح الثورة فتقديراتهم كانت على أن كثرة عددهم كفيلة بأن تحتوى ماسيقوم به الجيش فى حالة النجاح، ولكن صدق الإيمان هو الاستعداد للبذل والتضحية، كما تقول الآية الكريمة:

﴿ وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٦)

ولذلك رأينا العداء منذ أول يوم فى نجاح الثورة.. عداءً صريحاً وواضحاً.. بالكلمة.. وبالإشارة.. وبالتشنيع.. والانتقاد، وحينما طالب بعضهم أن يفصح مجلس الإرشاد عن موقفه من الثورة، كانوا يتهربون ويراوغون، لدرجة أن بعض شُعب الإخوان انقسمت على نفسها، لأنها تريد أن تؤيد الثورة التى تعاطفت معها الجماهير، ومن هذه الشُّعب شعبة قسم ثانى طنطا، وكان ينخرط فيها اثنان من أشقائى هما أحمد وحسن الشافعى، ولأنهم رأوا أن الثورة قد حققت ما لا يخطر على بال، فى الوقت الذى مازالت فيه الجماعة رافضة لا تريد أن تحدد موقفها من الثورة.



●● مع هذا التعاطف من جانبكم معهم. رغم تشددهم معكم. فلماذا استحالت الألفة بينكم، ووصلت لدرجة المخاصمة والعداء؟

ـ نحن فعلاً كنا متعاطفين معهم تعاطفاً كلياً وجزئياً، ولكن ليس على أساس أن نكون جزءاً منهم مندمجاً معهم، ولكنهم كانوا يريدوا أن نندمج معهم، ونحن كنا نرى أن مصلحة البلد لايجب أن تسير فى هذا الاتجاه خلال تلك المرحلة،

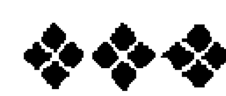
---

(٦) سورة الحجرات ـ آية ١٥.

ولذلك حينما قامت «هيئة التحرير» وجدوا أن قيامها بداية النهاية لهم، لأنهم تصوروا أن قيام هذا التنظيم سيغطى على أملهم الوحيد فى احتواء الثورة، بسبب كثرة مالديهم من الأفراد، وبالتالى يحتوون الثورة التى كانت تفتقر إلى ذلك، فهم تصوروا أنهم بالعدد الموجود لديهم يجب ألا يدخلوا فى مغامرة الثورة قبل نجاحها، ولكن بعد ذلك يستطيعون أن يحتووا الثورة من ناحيتين: الأولى أنه من الذى سيقف أمام دعوة الإسلام؟ وهذا حقيقى، فلن يقف أحد أمام دعوة الإسلام فى بلد مسلم، فهذا أمل كل مسلم؛ والثانية: هى عنصر العدد، ولكن ليس العدد هو كل شىء، فالاستعداد للتضحية والبذل هو الذى يميز النوعية، ويحدد الكيف قبل الكم، ولذلك فأنا أعتبر أن الثورة وقيامها كانتا اختباراً لإرادة التغيير الحقيقى، من أن الفرد يستطيع أن يقدم على شىء فيتعرض فيه للخطر، على قدر ماهو مؤمن بالمبدأ الذى يتعرض من أجله للخطر، وفى تقديرى أن الإخوان حسبوها، وقالوا كيف نشارك فى مغامرة غير مضمونة.. طيب نخلى المجانين دول يقوموا بها واحنا نحتويها.. بعددنا.. وبالشعارات التى ننادى بها، ومن يستطيع أن يقف أمام هذه الشعارات؟.. لا أحد.. فهى حسبة فيها حساب حريص أكثر من اللازم، ولكن ليس فيها إيمان بالقدر الكافى، وأنا أرى أن دليل الإيمان هو هذه الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٧)

وهذه هى المياه التى تكذب الغطاس، لكنهم قالوا بينهم وبين أنفسهم نترك هؤلاء المجانين يقومون بالعملية ثم نحتويها بعددنا، ولو كانوا على درجة من التضحية ومن الإيمان لما حدث منهم مثل ماحدث.



●● قلت لى إن الإخوان بلغوا ذروة حقدهم على الثورة بعد إعلان هيئة التحرير فى ١٥ يناير سنة ١٩٥٣..

---

(٧) سورة الحجرات ـ آية ١٥.

فماذا كان رد فعلهم بالتحديد عقب إعلان قيام هيئة التحرير؟

ـ فى ذلك اليوم ـ ١٥ يناير ١٩٥٣ ـ وبعد الإعلان عن قيام هيئة التحرير، جاء مندوب الإخوان للقيادة، لتحديد ميعاد بين حسن الهضيبى وبين جمال عبدالناصر، فكلفت أنا للقيام بهذا اللقاء، فاتصلت به وحددنا الساعة التاسعة مساءً للقائه فى منزل سعيد رمضان (زوج أخت حسن البنا) بالروضة، وفى حضوره، وكان معنا أخى المرحوم حسن الشافعى، وبغض النظر عن أنهم جاءوا متأخرين عن موعدهم ساعتين أو أكثر، ومثل هذه التصرفات كان لها مدلولها، بأنهم يريدون أن يتكلموا من مركز القوة، ومن مركز التعالى، ولكنى أحببت أن أعرف ما الذى يرنون إليه، وكان نص حديث حسن الهضيبى لى كالآتى:

« ... إنتم عملتم ثورة.. وطردتم الملك.. ودى صورة مش بطالة.. ولكنكم أسأتم إلى هذه الصورة بتدخلكم فى اللى لكم فيه، واللى مالكمش فيه، واللى تعرفوه واللى ماتعرفهش، وانتم عايشين فى أبراج عاجية ومش عارفين الناس بتقول إيه، أنا رحت من أسبوع أشترى تفاح قالوا لى تفاح إيه ياأستاذ، مابتوع الثورة جُم شالوا كل حاجة.. وبعدين إنتم استمرأتم السلطة، وتصورتم أنه لكى تثبتوا أقدامكم أنشأتم مايقال عنه هيئة التحرير، وده هايكون زى حزب الشعب اللى عمله صدقى باشا، ولم ينضم إليه إلا حثالة البشر، وأنتم لو الود ودكم ترفعوا لافتة الإخوان المسلمين وتحطوا مكانها لافتة هيئة التحرير، ولكن ليكن معلوماً لديكم أن الإخوان المسلمين حركة عالمية لاتذوب فى الثورة، وجائز إنكم تروا أن تحاربوا فى قناة السويس، ونحن نرى أن نحارب فى مراكش».

وهنا انتهى حديث حسن الهضيبى، ولم أقاطعه طوال حديثه، بل قمت واقفاً بعد أن انتهى من حديثه، ومددت يدى مصافحاً، وقلت له: «والله لو كان المرحوم حسن البنا على قيد الحياة، كان سيقول كلاماً غير الكلام اللى سمعته، حسن البنا كان سيقول الناس دول قاموا بعمل مجيد، وأزالوا من أمامنا عقبات لايمكن كنا نتصور أن نجتازها، وليتنا نضع أيدينا فى أيديهم، ونختصر الطريق، خاصة أنكم لديكم قدرات فى مجال الدعوة الإسلامية تختصر علينا الطريق، وتحقق

الوحدة إلى أقصى حد، بحيث إننا نختصر المدة، ونختصر المسافة..» وانتهت المقابلة.

وبعد يومين، يوم ١٧ يناير على وجه التحديد، جاء سعيد رمضان مرة أخرى إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة، بعد انكشاف محاولة الانقلاب فى سلاح المدفعية، وقال لى: «يا أخ حسين أرجو أن تبلغ إخوانك فى مجلس الثورة أن يطهروا آذانهم من كل مايصل إليها من أرجاف المرجفين، وكذب الحاقدين» ويقصد بذلك الإشارة إلى العناصر الإخوانية التى تورطت فى أحداث انقلاب المدفعية، وأعطانى ذلك تفسيراً لحديثى السابق مع حسن الهضيبى، الذى كان يتحدث كما لو كان يتحدث من مركز القوة، وكتمت كل ماحدث فلم أبلغ به أحداً، حتى لا أكون مما يساعدون على اتساع الهوة، لأننى كنت دائماً حريصاً على لم الشمل، والتقليل من فرص التباعد والقطيعة.



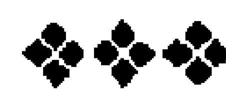
●● يقال إن عبدالناصر أسند للإخوان بعض المهام قبل التحرك ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.. فما مدى صحة ذلك؟

- هم الذين يقولون ويرددون هذا الكلام، ولكن ذلك لم يحدث، ومع ذلك فأنا لا أنكر لهم فضل كبير، وهو أنهم عرفوا أن الثورة ستقوم ولم ويبلغوا عنها.



●● هل كان حادث المنشية ١٩٥٤ بالإسكندرية، محاولة لقتل عبدالناصر فقط؟ أم محاولة هدفها قتل الثورة الوليدة؟

- حادث المنشية حدث بعد لقائى بحسن الهضيبى بمدة تجاوزت السنة، والإخوان كان فى تصورهم أن ذلك لن يعطى الفرصة للثورة لكى تثبت أقدامها، على أساس أن لديهم تنظيماً، وعندهم فكر، وعندهم تجربة سياسية - هذا فى تصورهم - وكان غرضهم الأساسى هو إجهاض الثورة.

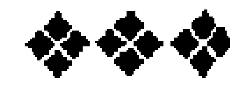


●● حادث المنشية كان صداماً مادياً مباشراً بين الإخوان والثورة، فهل سبق ذلك محاولات للنيل من الثورة من النوع غير المعلن؟

- سبق ذلك عمليات تشنيع بلا مبرر، وشائعات غير صحيحة، ومحاولات من خلال الموظفين الأعضاء فى الإخوان، فكانوا يذهبون للمصالح التى يعملون بها، ويثيرون نقطة أن الثورة أبقت على الإخوان دون الأحزاب الأخرى، وكانوا يقضون حوائج المواطنين بدعوى أنهم أصحاب السلطة. كانوا أيضاً لايريدون أن يتم شىء فى مجلس الثورة إلا باستشارتهم، ومثل هذه الأمور كانت تحدث كثيراً.

ومن تشنيعاتهم الغريبة أنهم كانوا يرددون ماقوله: «اتفرج ياخويا، لحد النهاردة الآذان السلطانى بيتردد»!!، فقد كان الآذان المنغم فى عرفهم «كفر»، وكأن ذلك كان يتم بناء على توجيهات مجلس قيادة الثورة(!!).

كانوا يختلقون «تلاكيك» لإثارة الناس، ولإلقاء بعض التشكيك فى الذين قاموا بالثورة.



●● عهدنا مع الإخوان أنهم فعلاً أصحاب «تلاكيك».. ومع ذلك أريد أن أسمع منكم موقفاً غريباً داخل دائرة «التلاكيك» هذه؟

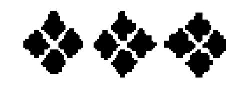
- أذكر لك أننى فى عام ١٩٥٤ كنت رئيساً لبعثة الحج، وكنت وقتها وزير الحربية، وكان معظم من جاء فى بعثة الحج من الإخوان المسلمين، وهذا يعطى لك مثالاً إلى أى مدى كانت الثورة متسامحة ولا تفرق بين واحد من الإخوان أو واحد ليس منهم، المهم أننى أخذت إمام سلاح الفرسان فى ذلك الوقت، وهو شيخ من مشايخ الأزهر، وكنا نقيم فى السبيل المصرى بمنى، وحينما حلت صلاة المغرب، طلبت من الشيخ أن يقوم ويصلى بنا المغرب جماعة، وصلوا معنا، ثم فوجئت بعد انتهاء الصلاة أنهم يقيمونها من جديد(!!)، وعرفت أن الصلاة وراء الشيخ الأزهرى فى عُرف الإخوان لاتجوز، ولما انتهت الصلاة قلت لهم إنكم

تضـرون المفاهيم الإسـلامية، وانكم بتعملوا فُرقة، وانتم هاتودوا البلد فى داهية بهذه العقلية، وبهذه المفاهيم الخاطئة.



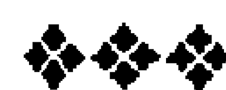
●● هل طلب الإخـوان إسناد مناصب كـبـرى لـهم فى الحكومة؟

- الثورة من نفسها أدخلت ٣ من قيادات الإخوان المسلمين فى الوزارة، وعلى رأسهم الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف، ثلاثة وزراء من الإخوان كانوا فى أول وزارة شكلتـهـا الثـورة، ومع ذلك اعـتـبـروا أن هؤلاء لايمـثلونهم، وأنهم منفـصلون عنهم، رغم أنهم هم الذين كـانوا يزكـونهم، وذلك لتـأكـيـد مـا قـاله الهضيبى إن الإخوان المسلمين حركة عالمية لاتذوب فى الثورة.



●● سـيـادة النائب.. لاتـزال ادعـاءات الإخـوان تملأ الأسـمـاع حـول حـادث المنشيـة على أنه كـان تمثيليـة أعدهـا عبدالناصر لتكون مبرراً للقضاء عليهم.. فما تعليقكم؟

- تمثيليـة!!!.. اللى يقـدر يعـمل تمثيليـة بالشكل ده يكون عـبـقـرية فـذة مـا اتخلقتش لسه، وأنا لم أحضـر الحـدث، لأنى كنت وقـتـهـا فى اجـتـمـاع بمـجلس الخـدمـات، وفـجـأة وجـدت السعـاة المتـواجدين خـارج الاجـتـمـاع. وكانوا وقـتـهـا يستعمون للراديو فسمعوا رصاصاً ينطلق أثناء خطاب عبدالناصر. دخلوا فجأة مسـرعين، وقـالوا: إن جمـال عبـدالناصـر انضـرب عليه نار فى مـيـدان المنشيـة، فـأصـغينا جـمـيـعـاً للراديو، وسـمـعنا الخطاب حـتى نهـايتـه، والخطاب مسـجل وموجود، ولايمكن لأى عاقل أن يقول إن العملية مرتبة، وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن المصـابين فى الحـادث بعـضـهم لايزال على قـيـد الحـيـاة، ويمكن الرجـوع إليهم.



●● ماهو فى تقديركم السبب الذى دفع الإخوان لمحاولة قتل عبدالناصر رغم تعاطف عبدالناصر معهم خلال تلك الفترة؟

- كان تصورهم أن أقصر الطرق للقضاء على الثورة هو أن يكون من داخل القوات المسلحة، وكان سلاح المدفعية الذى حدثت فيه أول محاولة للانقلاب يستند على عناصر لها عضوية فى الإخوان المسلمين.

ولما فشلت هذه المحاولة، كانت محاولة اغتيال جمال عبدالناصر هى أسرع سبيل فى تقديرهم لتعويق وإجهاض مسيرة الثورة، حتى يخلو لهم الطريق الذى تصوروا أن قيام الثورة قد سبقهم وضيّع عليهم هذا الأمل.

فهم كانوا متعجلين، ورأوا أنهم إذا قتلوا جمال عبدالناصر، ونجحوا فى ذلك، كان فى تقديرهم هو أقصر الطرق لكى لا تثبت الثورة أقدامها، وكان الوضع الدستورى سيتغير، وبالتالى الوضع العام للبلاد، مثلما استغل الناس حالة خروج محمد نجيب واعتبروها فرصة للوثوب على الثورة، واعتبروا أنها حدث بها شرخ معين أو انشقاق.



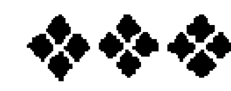
●● هل كان للإخوان المسلمين علاقة بخروج محمد نجيب، من السلطة؟

- محمد نجيب دُفع للاستقالة فى ٢٣ فبراير عام ١٩٥٤، والذين دعوه للاستقالة هم الإخوان وأعداء الثورة، ولما بقيت الثورة وتولى جمال عبدالناصر المسئولية حاولوا قتله.. هم تصوروا أن الثورة ستنهار بخروج محمد نجيب، لأنها تركزت أولاً فى شخصه كرمز للثورة فى الفترة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى ٢٣ فبراير ١٩٥٤، وحينما مرت هذه العملية - خروج محمد نجيب - واستعاد مجلس الثورة مركزه، وظهرت الحقائق، وعرف الجيش أنه مستدرج لهذه العملية.. استقرت الأمور بعد ذلك.



●● يقولون . سيدى النائب . إن ثورة يوليو كانت ضد الإسلام وتعاليمه، ورغم يقينى بأن الإسلام فى مصر لم يشهد نهضة له منذ دخلها كتلك التى شهدها فى عصر الثورة.. إلا أننى أود أن أسمع منكم: ماذا فعلت الثورة لرفعة شأن الإسلام؟

. هذه أمور لا تقع تحت حصر، ولها سجل كامل وموجود، وأطلب من أى منصف أن يحصر المطبوعات الدينية فى ظل الثورة.. عدد البعثات الدينية لكافة أنحاء الدول فى ظل الثورة.. عدد الدعاة الذين خرجوا لكافة دول العالم ينشرون الإسلام ويدعمونه.. إذاعة القرآن الكريم.. مدينة البعوث الإسلامية.. عدد المساجد والمعاهد الدينية التى أنشئت.. المصحف المرتل.. إنها أشياء وإنجازات واضحة كنور الشمس، فإذا استطاع أحد أن يطفىء نور الشمس فليطفىء.. إذا قدر واستطاع.



●● سيادة النائب.. لقد توليتم . بفضل الله . عملية تطوير الأزهر، وقفزت به قفزة حضارية هائلة، ويقول أعداء الثورة إن ماتم بشأن الأزهر كان عملية تخريب له. فما هو دوركم فى تطوير الأزهر؟[٨] وماهى الدوافع التى كانت وراء ذلك؟ والغاية منه؟

. حتى عملية تطوير الأزهر وإنقاذه من المؤامرات التى حيكت ضده منذ

---

(٨) جاء بالمذكرة الإيضاحية لمشروع القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن تطوير الأزهر مايلى:
«.... وإن العالم الإسلامى اليوم انفسح مداه واتسع نطاقه، ووضعته الظروف السياسية التى تمر به فى موضع الاختبار فى مجالات شتى، وإن الثقافات الاستعمارية تحاول طوال سنى سيطرتها عليه تلوين أفكار أهله وعقائدهم، ووضع موازين جديدة، مما دعى لتوسيع دوائر علومه، بحيث تتساوى بقدر مشترك مع الجامعات الأخرى والمدارس . مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان . لتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية مع أبناء الوطن، ويتحقق بهم للوطن وللعالم الإسلامى نوع من الخريجين مؤهل للقيادة فى كل المجالات الروحية والعلمية...».
فتطوير الأزهر كان بالإضافة وليس بالسلب، كما أن ذلك كان بناءً على رغبة شيوخه الكبار من علماء الإسلام البارزين.

الاحتلال الإنجليزى لمصر عام ١٨٨٢ يشككون فيها؟.. سوف يذكر التاريخ فى يوم من الأيام أن عملية تطوير الأزهر كانت هى الإنقاذ له، فهذا التطوير الجذرى والعميق هو الذى أعاد الحياة للأزهر كجامعة فى المقام الأول، لأن الأزهر بدأ كجامعة تتناول كل العلوم، ولكن عندما احتل الإنجليز مصر كانوا متأثرين بفكر «جلادستون» الذى قال فى مجلس العموم البريطانى ذات يوم: «نحن دخلنا بلاد المسلمين، ولكن لن نستطيع أن نحكمها وهناك أربعة أمور قائمة» وأخرج نسخة من القرآن الكريم وقال: «مادام هذا الكتاب موجوداً، ومادامت صلاة الجمعة موجودة، ومادام الحج موجوداً، ومادام الأزهر موجوداً».

وحينما تم للإنجليز احتلال مصر عام ١٨٨٢، استخدموا الجيش المصرى فى أن يسترجعوا السودان، بعد مؤامرة قتلوا فيها جوردون باشا، لكى يكون لهم مبرر فى احتلال السودان، وبعدما قتلوا جميع قادة عرابى، حاكموا الرمز وهو عرابى، وقالوا إنه انهار وطلب الرحمة، وهل هناك أحد يقوم بثورة ويحرص على حياته؟ لكن كل ذلك كان من أجل اغتيال الرمز، لأن قتل الرمز عملية أساسية، فهى تفقد الناس الثقة فى إفراز وإنبات قيادات جديدة للبلد، ولما تم لهم فتح السودان سنة ١٨٩٦، جاءوا فى سنة ١٨٩٧ بمستشار اسمه «دانلوب» لتغيير نظم التعليم فى مصر، والشىء بالشىء يذكر.. ففى سنة ١٨٩٧ اجتمع المؤتمر الصهيونى الأول بقيادة هرتزل، فى بازل بسويسرا، من أجل الاتفاق على خطة الصهيونية، وأن يكون لهم وطن قومى، وبعدما تم احتلال السودان، لأن هذه هى الصخرة التى يحسبون لها حساب (مصر والسودان)، فقد تفتت الصخرة فى نظرهم، ومن الممكن أن يباشرون مخططهم، فلكى يلغوا الأزهر لم يغفلوا مافعله نابليون بونابرت حينما دخله وجنوده بالخيل والأحذية، فى أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، فهم تعلموا من هذا الدرس، وبالخبث الإنجليزى، قالوا إنهم لكى يطوروا التعليم فى مصر فلابد ألا يرتبط بالأزهر، بل يجب أن ينفصل عنه، فسحبوا البساط من تحت الأزهر بقفل الروافد التى كانت تغذيه، ويجعلوا خريجيه بدون مستقبل، فتنفض الناس عن الأزهر، ولا يكون للإنجليز يد ظاهرة.

وحينما توليت عملية تنفيذ قانون الأزهر الذى تولاه السيد كمال الدين حسين، وجئت أباشر تنفيذه، استعرضت فى ذهنى كل هذا التاريخ، وقلت أن كل هذا

العـدوان الذى اعـتـدى به على الأزهر، من أجل أن يظل فى النهـاية بالكاد يعلم أصول الدين كمدارس الكهنوت، وليس جامعة تتفرغ لجميع علوم الدنيا كما بدأ، ومن أجل ذلك حينما كانوا يطلبون أحد علماء الأزهر لأفريقيا فى مهمة دينية فقط، كانت الجمعيات التبشيرية ترسل فى نفس الوقت «دكاترة» يبشرون، وعلماء من مختلف العلوم، يذهبون كمبشرين للبلاد التى يزورها رجال الأزهر، ومن ناحيـة أخرى كان الناس الذين يتعلمون فى الأزهر حينما ينتهـون من تعليمهم ويعودون إلى قراهم وبلادهم، لايجدون وظائف يعملون فيها سوى أعمال محدودة، إما مأذون شرعى، أو محام شرعى.. حتى وظيفة المحامى الشرعى سلبت مهمته بانتشار كليات الحقوق، وحتى كلية اللغة العربية ضعف مركزها بوجود كلية دار العلوم، المهم إننى قلت فى نفسى هل المجتمع ينفتح على الأزهر أم الأزهر ينفتح على المجتمع؟ وطبعاً كون المجتمع ينفتح على الأزهر أصعب من أن ينفتح الأزهر على المجتمع، فوضعت فى ذهنى فى مجال التطبيق أن ينفتح الأزهر على المجتمع، فيسقط الحجة، فمثلاً لكى تشتغل لابد أن يكون معك ثانوية عامة، فإذا كان الأزهرى لايحمل ثانوية عامة مثل أقرانه فى المجال العام، فلابد أن يحصل على مايساوى الثانوية العامة، وباسمها، وبهذا الشكل تسقط كل الحجج التى كانت تمنع من أن يتساوى خريج الأزهر مع قرينه، حتى فى الكادر المالى الذى يأخذه زميله، فأنا حينما كنت فى وزارة الأوقاف وجدت أن الواعظ يأخذ ثلاثة جنيهات مكافأة شهرية!، تصور أنك تأتى برجل واعظ يوعظ الناس بمرتب ٣ جنيه فى الشهر؟!.. يطلع يقول لهم إيه؟ وكيف يقودنا فكرياً وروحياً؟.. من أجل ذلك نظرت للموضوع نظرة عميقة ومن هذا المضمون، فأدمجت مناهج التعليم فى مناهج الأزهر، وكان فى هذا عبئاً على الدارس لأنه يدرس منهجين فى وقت واحد، مما اضطرنا فى هذه المرحلة إلى أن نجعل الأزهر فيه ثلاث سنوات زيادة، ثم تركت المسئولية عام ١٩٦٢، وتوليتها ثانياً عام ١٩٦٧، وعندما رجعت وجدت أن المعاهد الأزهرية تكاد تغلق أبوابها، لدرجة أن بعض المعاهد كان بها ٧ أو ٨ طلاب فقط، لأن طالب الأزهر كان يتحمل ٣ سنوات زيادة، ويتخرج مثل زميله فى مجال التعيين، مما اضطرنى إلى إصدار تعليمات للمسئولين بضغط المناهج، وجعلنا الفرق سنة واحدة، وطلبت ممن يريد التحويل من التعليم العام إلى الأزهر أن

يتحمل سنة دراسية واحدة زيادة لكى يعرف الألف باء فى دينه، ونحن كنا نريد فكراً إسلامياً جديداً وأنا لا أنكر فضل علماء ومشايخ الأزهر الذين تعاونوا معى فى تلك المرحلة، وعلى رأسهم الدكتور عبدالحليم محمود، وهو رجل لولا وجوده لما كنا قد استطعنا السير بهذه الخطوات التى أعادت للأزهر روحه من جديد، وإلا كان الأزهر قضى عليه مثلما كان أعداء الإسلام يتمنون له ذلك.



●● يأخذون على هذه التجربة أنها لم تشترط حفظ القرآن الكريم للالتحاق بالأزهر كما كان متبعاً قبل ذلك.. فما تعليقكم؟

ـ هذا الشرط أُلغى يوم أن أغلقت الكتاتيب، مع التطور الاجتماعى، كأثر من آثار الاتجاه العلمانى فى التعليم، الذى وضع أساسه المستشار الإنجليزى دانلوب، لحرمان الأزهر من الروافد التى تمده وتغذيه بحفظة القرآن الكريم، وبالتالى لم يعد هناك حفظة قرآن كثيرون قادرون على تحفيظه، وأنا فى عام ١٩٧٣ دعوت أن يحفظ القرآن بمعدل ربع حزب كل أسبوع، فلو التزم كل مسلم بحفظ ربع حزب كل أسبوع، فإنه سيحفظ فى السنة ١٣ حزباً، والقرآن كله ٦٠ حزباً، وهذه العملية تستغرق أربع سنوات وسبعة شهور، وطلبت أن تطبق فى الأزهر، وقام مشايخ أفاضل بتطبيق هذا الاقتراح، وأذكر منهم الشيخ محمد بركات الذى طبق ذلك، وأخرج على مدى ثلاث دورات حفظة قرآن كثيرين، ولكنه مات خلال الدورة الرابعة، وقلده كثيرون فى أماكن أخرى، والقرآن من عند الله، وهو سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٩)

فمن الذين يحارب القرآن؟.. جلادستون مين؟ أو غيره الذى يستطيع أن يعوق أو يقف فى طريق ما كتبه الله على نفسه فى قوله:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

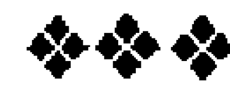


---

(٩) سورة الحجر ـ آية ٩.

●● هل ترى أن تجـــربة تطوير الأزهر أتت ثمـــارها المنشودة؟

ـ ثمارها لن تظهر اليوم، ولكن ثمارها ستظهر عندما يكون كل الخريجين عندهم الدين الإسلامى أساس تكوينهم الفكرى، وعندما يكون هناك خريجون من حفظة القرآن الكريم، يخرجون فكراً جديداً لا يجامل ولا يتلوّن، ولا يأخذ بأنصاف الحلول، هذا الفكر هو الذى سيعطينا حضارة جديدة تستند على فكر إسلامى خالص، بعد ذلك تأكد أن أى خريج سيكون متميزاً فى معرفة دينه، وفى معرفته باللغة العربية بصورة أفضل من باقى خريجى الجامعات.



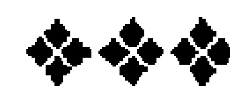
●● سيادة النائب.. نلاحظ فى هذه الفترة ظهور عدد كبير من الجماعات الدينية فى مصر، تختلف فى اتجاهاتها وأهدافها، لكنها جميعاً تتحدث باسم الدين.. والإخوان يرجعون ذلك إلى حالة الكبت التى كانت سائدة فى عهد عبدالناصر.. بينما التيار اليسارى يؤكد أن ظهور هذه الجماعات سببه أنور السادات الذى أعطاهم الضوء الأخضر وشجعهم للوقوف فى وجه التيار الناصرى.. فماذا تقول فى هذه الظاهرة؟

ـ فى تصورى أن كل هذه علامات تدل على الرفض لما هو قائم، لكن الإسلام كإسلام سيشق طريقه كقطرات الماء التى تستطيع بمرور الزمن أن تشق طريقها وتكوّن لها مجرى، وهذا المجرى سيكون برعاية الله تعالى وبإذنه.

وقد يكون من التدابير الإلهية ماحدث للإخوان المسلمين، لأنه ساعد على تصحيح مسار انتشار هذه الدعوة فى مصر، وخارج نطاق الإخوان وخارج مصر، وهذه الجماعات المنتشرة والمتفرقة اليوم، قد يأتى من يؤلف بينها جميعاً، ويكون المجرى الإسلامى المنشود الذى نتخلص فيه من أخطائنا ومساوئنا، ونستشف

الهدف الأعلى، ونصحح مسيرتنا، ولا يكون لدينا أحقاد للذين آمنوا، فنكون أمناء ونركز على المعانى البناءة للأمة الإسلامية، تلك الأمة التى أعطاها الله كنوزاً وثروات لا تقارن بثروات وكنوز الأرض كلها، وهى القرآن والسنة، وأسكننا فى أغنى وأهم بقاع الأرض، جغرافياً، وبشرياً وحضارياً، وإذا كان المسلمون قد انحسر وجودهم، ووقف تقدمهم منذ القرن الخامس عشر الميلادى بعد إخراجهم من أسبانيا، فاليوم قد تكون هناك نهضة جديدة، وبعثاً جديداً، والذين اجتهدوا وحاولوا فى هذا المضمار قد لا يقطفون هم ثمار مازرعوا.

وبالنسبة للتنظيمات الإسلامية، فأنا أرى أنها تضر أكثر مما تنفع، لأن هذا الدين دين قلوب، والقلوب عندما تمتلىء بالإيمان لا تستطيع أى قوة أن تقف أمامها، فإذا اعتمدت هذه التنظيمات على القوة لفرض واقع ليس بمؤمن فلن يصلوًا لشىء إيجابى، بل تكون النتيجة فى غير الصالح الوطنى، والناس أحياناً ترى طريق الدعوة والجهاد من الطرق الطويلة والصعبة، فيستسهلون فرض آرائهم بالقوة فى عجلة من أمرهم، فيكونون كالمنبت الذى لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

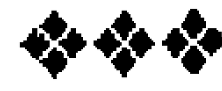


●● وماذا تقول فى النهضة الإسلامية العالمية التى أصبحت حقيقة وأمراً واقعاً؟

- الحركة الإسلامية فى العالم الآن عبارة عن اتجاهات عاجزة عن تحديد مجرى واحد لها، لأنها لا تستند إلى فكر قائد، فالفكر القائد هو الذى سيفرض فى النهاية هذا المجرى، وهناك مذاهب متعددة، وأفكار كثيرة، ولكن يلاحظ دائماً أن التركيز يكون على نقاط الخلاف، وليس على نقاط الالتقاء، ويوم أن يكون هناك تركيز على نقاط الالتقاء - وهى كثيرة - يبتدىء المجرى يتحدد، لأن التركيز على نقاط الالتقاء يقرب الناس، وأعداؤنا دائماً يريدون منا أن نركز على نقاط الخلاف، والكثير منا يقع تحت تأثير الضغوط الفكرية الخارجية، فيحدث التباعد ولا يحدث الالتقاء، والالتقاء عملية ربانية، لأن فيها خلق، ولذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١٠)

فهذه إرادة عليا، لأن فيها خلق، فالتأليف بين القلوب عملية خلق، لدرجة أن الله تعالى قال لرسوله محمد ﷺ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، فمهما بذلت من جهد لن تستطيع. وهذه الحركات التى تحدث فى العالم الإسلامى عبارة عن سعى مطلوب، وحرث للأرض، وتهيئتها لقدر الله تعالى الذى لايعلم أحد متى سيأتى، والعالم الإسلامى رغم تقسيمه وتقطيع أوصاله فهو جسم واحد، وأى حدث يحدث فى أى بقعة من بقاع العالم الإسلامى تحدث ردود فعل، وتحدث تراكمات، إلى أن يأذن الله بموعد الخلق، وبموعد البداية حنيما تتآلف القلوب بأمر الله.. والله أعلم.



---

(١٠) سورة الأنفال. آية ٦٣.

الفصل الثالث

معركة السد العالى وحرب ٥٦.. نكون أو لا نكون

- كان إنشاء السد العالى وبحيرة ناصر، رحمة من ربنا ليحمينا شر المجاعة.

- قرار التأميم كان معداً له من قبل وقد درس من كافة النواحى.

- السد العالى كان هو الحل الوحيد بالنسبة لظروف مصر المعيشية فى تلك المرحلة.

- كان يدخل سوق العمل سنوياً ٢١٠ آلاف فرد، ونوفر لهم فرص العمل، أما اليوم فيدخل سوق العمل ٤٠٠ ألف فرد ولا يجدون عملاً.

- المشروعات الجادة، والعمل التخطيطى المنظم، هو الذى يلزم جميع الأجهزة بالتحرك فى اتجاه معين.

- المخاطرة هى الأساس، وإذا لم نخاطر لن نتحرك، وقرار التأميم كان مخاطرة، لكنها مخاطرة محسوبة.

- قرر مجلس الثورة بالإجماع رفض الإنذار، وقالت الأحزاب المنحلة والقوى المرتدة على الثورة: «جالك الفرج».

- استفدنا من التناقضات بين الدول الكبرى، فوضعناها فى حساباتنا، واستفدنا منها لصالح الوطن.

- إنجلترا أرادت أن تثأر لنفسها، وفرنسا كانت تريد ضرب ثورة الجزائر فى مصر.

- كان هدف العدوان الثلاثى هو المحافظة على هيبة الاستعمار القديم بعد هزيمتهم فى الحرب العالمية الثانية.

- النصر الحقيقى هو إعلاء الإرادة الوطنية، ومعركة ١٩٥٦ كانت نصراً سياسياً لمصر، ولمس العرب قيمة التكتل.

- معركة ١٩٥٦ أطلق عليها اليهود «قادش» كاسم كودى لأن هدفها كان هو مصر فقط.

- الاستعمار يستغل تفككنا، ولو تجمعنا لن تستطيع أى قوة أن تقترب منا.

- هناك فرق بين الاستعمار وبين القابلية للاستعمار.

.. رفض البنك الدولى إعطاء مصر قرضاً لإنشاء السد العالى، ومع حتمية المشروع وضروريته.. كان قرار استرداد الكرامة.

فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦، أعلن الزعيم جمال عبدالناصر ـ باسم الأمة ـ تأميم شركة قناة السويس، وحينما وصل الخبر لعلم «إيدن» رئيس وزراء بريطانيا، وقفت اللقمة فى حلقه، وكان وقتها يتناول عشاءه مع الملك فيصل فى القصر الملكى بحضور الملكة.

ثم توالت الأحداث تترا.. فقد قابلت حكومتا إنجلترا وفرنسا هذا التصرف «المشروع» باتخاذ عدد من إجراءات الضغط.. وبدأت حرب الأعصاب.. حشود عسكرية مكثفة فى قبرص.. الأساطيل الحربية تقترب من شواطئنا.. طائراتهم تخترق أجواءنا..

ثم أعلنت الدولتان ومعهما أمريكا، أن مؤتمراً خاصاً بمشكلة قناة السويس سيعقد فى لندن، للوصول إلى غاية معينة، وهى الحصول على موافقة مصر على ما أسموه «تدويل القناة»، وذلك كان يعنى إكراه مصر على التنازل عن سيادتها القومية، وأرسلت الدعوة لحضور مؤتمر لندن إلى ٢٤ دولة من بينها الاتحاد السوفيتى، وعقد المؤتمر فى ٢٠ أغسطس، وقدم المؤتمر ـ الذى قاطعته مصر ـ مشروعان لتسوية مشكلة قناة السويس، يختلفان بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة.

فالمشروع الأول تقدم به فوستر دالاس (وزير خارجية أمريكا)، والذى عرف باسمه «مشروع دالاس» كان ينطوى على مبدأ حرمان مصر من حقها فى السيادة على أراضيها، وإقامة نظام استعمارى فيها، وإنشاء رقابة دولية على القناة، لتصبح فى واقع الأمر دولة داخل الدولة، بينما تضمن المشروع الهندى، والذى

تقدم به «كريشنا مينون» وزير خارجية الهند، مراعاة حقوق السيادة المصرية والاعتراف بملكية مصر للقناة، وإدارتها لها، وأيد الاتحاد السوفيتى المشروع الهندى، ومعه أربع دول أخرى، بينما وافقت ١٨ دولة على مشروع دالاس، وقاطعت اليونان حضور المؤتمر، وأرسل المؤتمر «لجنة منزيس الخماسية» إلى مصر للتفاوض بشأن ما أسموه «جمعية المنتفعين بالقناة».

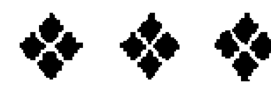
ورغم أن قرار التأميم لم يخرق اتفاقية الأستانة الموقعة عام ١٨٨٨ بشأن الملاحة الدولية فى قناة السويس، ورغم تعهد الحكومة المصرية وقتها - بعد إعلان قرار التأميم - أنها ستدفع لحملة أسهمها ثمن مايحملون من أسهم، حسب السعر الذى وصلت إليه فى بورصة باريس فى اليوم السابق لإعلان قرار التأميم.. إلا أن الدول الاستعمارية الكبرى، وجدوا فى قرار التأميم المشروع، فرصة للانقضاض على الثورة للمحافظة على نفوذهم فى الشرق الأوسط.

ثم توالت الأحداث عاصفة.. فبعد مؤامرة سحب المرشدين الأجانب من القناة، اجتمع مجلس الأمن بدعوى بحث المشكلة، وجمدت الأموال المصرية فى بنوك إنجلترا وفرنسا وأمريكا، وكان أن أعلنت هذه الدول الثلاث عن اجتماع لحل المشكلة سلمياً، يعقد يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وتحضره مصر.. فى نفس اليوم كان العدوان الإسرائيلى قد بدأ على مصر، وفى اليوم التالى كانت أساطيل إنجلترا وفرنسا الجوية والبحرية تضرب مصر، واتجهت أنظار العالم كله إلى ذلك الشريط الأزرق الذى يجرى عبر رمال برزخ السويس الصفراء.. وهكذا اشتعلت حرب ١٩٥٦.

وحديث سيادة النائب فى هذا الفصل، يكشف لنا أبعاد هذه المؤامرة الاستعمارية الكبرى، والنتائج التى أسفرت عنها معركة بورسعيد ١٩٥٦، وكيف واصلت الثورة مسيرتها بالشعب وللشعب بعد ذلك.

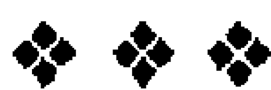
●● سيادة النائب.. يقال إن جمال عبدالناصر تسرع فى قرار التأميم، لأن القناة كانت ستعود بطبيعتها بعد ١٢ سنة لمصر، فما هى الظروف والملابسات التى دعت عبدالناصر إلى إعلان قرار التأميم يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦؟

ـ الناس حين تحسب الأحداث لا تضع فى الحسبان أن الأمور داخلة فى نطاق إرادات عليا، يمكن تكون ثورة يوليو، أو جمال عبدالناصر، مسخرمن عند ربنا ليحمى البلاد من شر المجاعة ببنائه السد العالى رحمة من عنده لنا، الناس أحياناً تتفلسف وتسقط من حساباتها أنها تدابير أعلى من إرادتنا، فلقد قدر الله، وماشاء فعل، ولكن إذا تكلمنا فى مثل هذه الأمور يعتقد الناس أننا نحلق فى اللا ملموس، أى لا نفكر بما يتطلبه منا هذا العصر المادى من اعتبارات، فالأيام انقضت، والمعركة انتهت، وماذا بقى؟.. اجتازت مصر مرحلة كانت فيها الفيضانات دون المستوى الذى يكفى لمتطلبات الحياة، لقد كان فى إنشاء السد العالى، وإقامة بحيرة ناصر، رحمة لنا من عند ربنا.



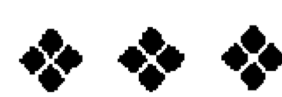
●● هل اتخذ عبدالناصر قرار التأميم بعفوية وعلى عجل، أم سبق ذلك دراسات له من كافة النواحى؟

ـ عبدالناصر كان فى نيته تأميم قناة السويس منذ تم جلاء الإنجليز عن مصر، ولذلك قمنا بتدريب المصريين على عمليات الإرشاد فى القناة حتى أتقنوا عملهم على أكمل وجه، ولذلك حينما تم سحب المرشدين الأجانب لم نواجه أى مأزق من أى نوع، لأن ذلك كان فى حساب عبدالناصر صاحب القرار.



●● ماهى الأبعاد الملموسة لحتمية إنشاء مشروع السد العالى، بالنظر إلى ظروف مصر وقتها؟

ـ لو رأيت شعباً يتعاظم فى عدده، وموارد مياهه محدودة.. فأى سبيل لزيادة هذه الموارد؟ كان السد العالى هو الحل الوحيد بالنسبة لمصر، وهذا قد يكون مرحلة من المراحل، فنحن نعيش فى رقعة أرض محدودة، وشعب يتزايد عدده، والثورة كانت تبنى مشروعات إنتاجية تستوعب جميع الأيدى العاملة، فى حدود مدخراتنا وطاقاتنا الإنتاجية، مثلاً كانت الخطة الخمسية الأولى (٦٠ ـ ١٩٦٥) كان محورها السد العالى، بما يتطلبه من إنفاق فى مجال إنشاء ورصف الطرق، ومد الشبكات الكهربائية، واستصلاع الأراضى، وتحويل الرى بالحياض إلى رى دائم فى ٧٥٠ ألف فدان بالوجه القبلى.. كل ذلك كان مدار خطة متكاملة، ويأتى التصنيع لتكملة هذا العمل، واستطاعت هذه الخطة ـ وقد يكون هذا هو الموضوع الهام الذى يجب أن نتدبره ـ أن نشغل جميع طالبى العمل فى سن العمالة، فكان يدخل سوق العمل فى هذه المرحلة ٢١٠ آلاف سنوياً، لأننى إذا لم أوفر لهم العمل فسيشكلون بطالة تتراكم، وكانت التكاليف التى تتحملها الدولة فى مجال الإنفاق الاستثمارى، لكى تشغل فرداً واحداً أربعة آلاف جنيه بأسعار سنة ١٩٥٩ التى اتخذت كسنة أساس فى الحسابات، أما اليوم فيدخل سوق العمل سنوياً ٤٠٠ ألف فرد (بحسابات عام ١٩٨٩)، ولا يوجد أى جهد يتناسب مع الجهود التى أقيمت فى الستينيات لتواجه حاجة العمل الملحة للأفراد الذين يدخلون سوق العمل سنوياً، ولكن الخطة الأولى (٦٠ ـ ١٩٦٥) استطاعت ليس فقط أن تستوعب ٢١٠ آلاف سنوياً بل ٢٩٤ ألف فرصة عمل أضيفت من الرصيد المتراكم، وفى عام ١٩٦٤ استوعبنا العمل الذى كان من المفروض أن نستوعبه فى خلال ٥ سنوات، فالمشروعات الجادة والعمل التخطيطى المنظم والشعور بالمسئولية، هو الذى يلزم جميع الأجهزة بالتحرك فى اتجاه معين.. فلما تيجى انت وتقول لى كان ضرورى تأميم قناة السويس فى هذا الوقت؟!.. أنت فى معركة نضالية أكبر من حدود السد العالى، وأكبر من حدود قناة السويس.



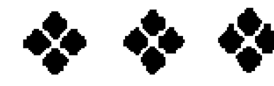
●● أى معركة؟

ـ معركة العيش.. فأنت مطلوب منك توفير الطعام، والسكن، والعمل، لكل الشعب، وهذه هى القضية.. عدة معارك لا نستطيع أن نفصلها.



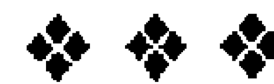
●● قرار عبدالناصر بتأميم قناة السويس، كان يعنى انتزاعها من أيدى أعظم قوتين فى ذلك الوقت.. فهل يمكن القول بأن قراره كان مغامرة كبرى؟

ـ الناس اللى عايزة تمشى فى سلام تقدر تمنع ابنها من المشى فى الشارع، لأنه فى هذه الحالة لن يتعرض للخطر.. ويجب أن تعرف أنه لكى تتحرك فلابد من مخاطرات محسوبة، وقيام الثورة كان مخاطرة محسوبة، ونسبة نجاحها لم تكن تتجاوز ٥٠٪، ولكن إذا لم نخاطر لن نتحرك، فالمخاطرة هى الأساس، وهى الدليل الفعلى للإيمان، والمؤمن الذى لايقدم على شىء يكون إيمانه ضعيفاً.



●● هل كان قرار عبدالناصر ينطوى على شجاعة أم على مخاطرة؟

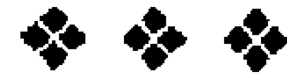
ـ كان حسبة سياسية فيها إحساس بالمسئولية، وتقدير للخطر، والخطر المحسوب.



●● هل كان اعتداء إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فى حسباتكم عقب إعلان قرار التأميم؟

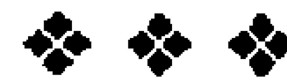
ـ اللى بيخاف من العفريت يطلع له، وأنت إذا فضلت تعمل حساباً لكل شىء يبقى عمرك ما هاتتحرك، والمهم، بل سر النجاح فى أى عملية مثل هذه هو أن يكون الشعب مؤمناً بقيادته، ويكون ملتحماً وراءها، فهذا يكون أقوى من أى سلاح، ولكى تواجه أى قوة فى العالم فنقطة الارتكاز الأساسية هى أن الناس

تكون كلها متكتلة، ولا يستطيع أحد أن يخترق هذا التماسك، ويوم أن توجد مثل هذه الصورة فأى عقبة يمكن تخطيها.



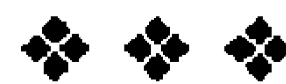
●● ماذا كان رد فعل الإنذار الذى وجهته إنجلترا وفرنسا لمصر، على مجلس قيادة الثورة، وعلى الشعب بكافة مستوياته وطبقاته؟

- قرر مجلس قيادة الثورة بالإجماع رفض الإنذار، وهذا أقل القليل، وماذا تفعل وأنت ترى قوتين كبيرتين ينذرانك يوم ٣٠ أكتوبر بعد العدوان الإسرائيلى بيوم واحد، بعدها اجتمع مجلس قيادة الثورة، ورفضنا الإنذار جميعاً بالإجماع، لأنه إذا كنا استسلمنا لهذا الإنذار لما كانت هناك ثورة ولا إرادة، ولا محاولة للصمود، ولكن - بكل أسف - فإن القوى المضادة للثورة فى الداخل، من الأحزاب المنحلة وغيرهم، قالوا «جالك الفرج»، هم يقدروا يعملوا إيه أمام إنجلترا وفرنسا؟ وكانت فرصة لهم لأن يخرجوا من جحورهم.



●● لما كان العدوان أمراً متوقعاً، فهل أعددتم له العدة الكافية؟

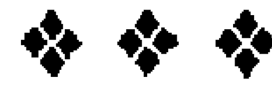
- طبعاً.. لأنه أصلاً توجد تناقضات بين الدول الكبرى، ولهذا فشل العدوان، فهذه التناقضات بين القوى الكبرى (روسيا وأمريكا) وضعناها فى حساباتنا، وهذه التناقضات إذا لم نستغلها فى المصلحة الوطنية يبقى تفريط فى فرصة أمامك، فإنجلترا وفرنسا أرادتا أن تلعبا هذه اللعبة من تحت الترابيزة، ونحن كقيادة ثورة أدركنا ذلك جيداً، واستفدنا من ذلك لصالح البلاد.



●● هل كان هدف العدوان هو الاستيلاء على القناة؟ أم ضرب الثورة الوليدة؟

- إنجلترا لم تنس أنها مكثت فى مصر ٧٠ سنة تتفاوض مع شعب متفرق فى

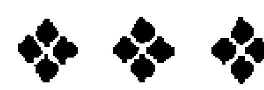
أحزاب كثيرة، ولم تستطع مصر أن تحقق أى هدف لها فى الجلاء إلا حينما توحدت إرادة الأمة، فجمال عبدالناصر حينما فاوض الإنجليز عام ١٩٥٤ واتفق معهم على الجلاء لم يكن أقدر من الذين فاوضوهم من قبل، ولكن الفرق الوحيد أنه كانت هناك قيادة موحدة، ووراءها شعب متماسك، وغير متفرق، مما اضطر الإنجليز إلى الجلاء، وأصبح المستحيل ممكناً فى ظل توحد الإرادة، ومن هنا كانت رغبة إنجلترا فى ضرب الثورة.



●● هذا بالنسبة لإنجلترا، فماذا عن فرنسا؟

- فرنسا كانت تحارب ثورة الجزائر فى مصر - لأن تأييد مصر لثورة الجزائر مادياً ومعنوياً كان يؤرق فرنسا - وكان فى تصور فرنسا أنها تستطيع أن تخمد ثورة الجزائر بضرب مصر، أو فى الاشتراك فى ضربها، على أساس أنها كانت تقدم للجزائر المدد والعون.

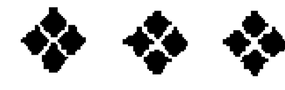
وأذكر أننى فى عام ١٩٥٥ كنت فى طريقى لحضور مؤتمر العمل الدولى، بجنيف، وتوقفت فى باريس فى ذلك الوقت لأرى مراكز التدريب المهنى والكفاية الإنتاجية، فوجدت المسئولين فى السفارة المصرية هناك يقولون لى إن الإذاعة المصرية الموجهة للجزائر لشد أزر الثوار، تضع الفرنسيين والنظام الفرنسى فى قلق مابعده قلق، ففرنسا كانت تريد أن تنهى معركة الجزائر بضرب مصر، لأن ضرب مصر كان سيفقد الجزائر السند المادى والمعنوى، وأدرك الفرنسيون هذه الحقيقة.



●● ألم يكن للعدوان أهداف أخرى أبعد من ذلك؟

- كانوا يريدون أن يحافظوا على هيبة الاستعمار الذى جثم على قلب هذه المنطقة، سواء فى الجزائر منذ عام ١٨٣٠، أو فى مصر منذ عام ١٨٨٢، فقيام قوة تكتل العرب وتجمعهم، وتحقق لهم أمانيهم، كل ذلك كان يهدد مصالح هذه القوى، وهى ليس من صالحها أن تتخلى عن مواقعها، وليس من صالحها أن

يتجمع العرب، ولذا كانت عملية تأميم القناة هى المعول الأكبر فى هدم صورة الاستعمار.



●● يقول الأستاذ هيكل إن حرب ١٩٥٦، سحبت البساط من تحت أقدام الإمبراطوريتين (إنجلترا وفرنسا)، فهل فعلاً قضت هذه الحرب على شموخهما، وانقسم العالم إلى كتلتين شرقية متمثلة فى الاتحاد السوفيتى، وغربية متمثلة فى أمريكا، بسبب حرب ١٩٥٦؟

ـ هذا حقيقى.. لكن الذى ساعد على أن تكون النتائج فوق مستوى التصور ـ بالنظر إلى إمكانياتنا وإمكانيات الدول المهاجمة ـ هو أن هناك صراعات أخرى.. فروسيا وأمريكا لم يؤخذ رأيهما فى ذلك، وهذا معناه أن إنجلترا وفرنسا «بيعلبوا من تحت ذقونهم»..

●● قيل ذلك فعلاً..

ـ طبعاً.. والسياسى الذى لايعرف هذه الملابسات، ويستطيع أن يستغل هذه التناقضات الموجودة لمصلحة بلده، يكون سياسياً غير مدرك لإمكانية الاستفادة من هذا الظرف.



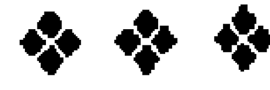
●● وبماذا تفسر تدخلهم لوقف الحرب؟

ـ هم قالوا تصريحات، لأنهم أحسوا أنه لُعب بهم، ولم يرجع إليهم أحد أو يأخذ رأيهم، وهما اللتان انتصرتا فى الحرب، والممولتان لها، وهما اللتان تحملتا أعباءها (يقصد الحرب العالمية الثانية ٣٩ ـ ١٩٤٥).

●● الاتحاد السوفيتى وأمريكا؟

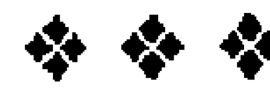
ـ نعم.. الاتحاد السوفيتى وأمريكا كقيادات، ولذا كان قيام إنجلترا وفرنسا

بعمل لعبة من ورائهما بدون تنسيق معهما أو استشارتهما أو موافقتهما، أمر غير مقبول بالنسبة لهما.



●● لو كانت المعركة استمرت أكثر من ذلك.. هل كان بالإمكان الصمود؟

- أنا أول حاجة قلتها رفض الإنذار، ثم كان التأييد الشعبى العارم، والمقاومة المستبسلة من أبناء الشعب فى بورسعيد، وتم توزيع نصف مليون قطعة سلاح على أفراد الشعب المدنيين، وقد شاركوا مشاركة شعبية ووطنية.. كان هناك روح استبسال واستبياع بينهم، وليكن مايكون.



●● هل كانت معركة بورسعيد سنة ١٩٥٦ انتصاراً لمصر؟ وماهو النصر فى مفهومكم؟

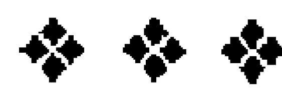
- النصر الحقيقى فى مفهومى هو إعلاء الإرادة، وإعلاء الإرادة المصرية كان هو النصر الحقيقى لنا، والمعركة كانت نصراً سياسياً لنا، بغض النظر عن الخسائر، أو الأخطاء العسكرية، ولا تنس التضامن العربى، وخاصة تضامن العمال العرب الذين تصدوا للمصالح الأجنبية، فالاستعمار يستغل تفككنا، ولو تجمعنا لا تستطيع أى قوة أن تقترب منا، ويجب أن نفرق بين الاستعمار وبين القابلية للاستعمار، فالقابلية للاستعمار هى التى يجب أن تحارب، والقابلية للاستعمار هى مستواك الفكرى والاقتصادى والحضارى، الذى يستطيع أن يصمد.



●● قلت لى ذات مرة: إنه من الخطأ أن يستدرج إنسان إلى معركة لا يملك فيها كل وسائل النصر، وفى عام

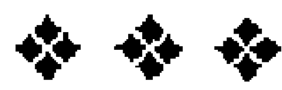
١٩٥٦ استدرجت الثورة إلى معركة لا تملك فيها كل أسباب النصر، ومع تقديرى للروح النضالية التى امتلأت بها نفوس من قاموا بالثورة، لكن.. هل كنا فعلاً نملك أسباب النصر؟

ـ أنت هنا تدافع عن بيتك، فلو جاءك لصوص أقوى منك يهاجمونك ليلاً.. هل ذلك لايحتم عليك أن تتصدى لهم، الرسول ﷺ يقول: «من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد»، إذن فالمسلم مفروض عليه أن يدافع عن عرضه وماله من أجل المحافظة عليهما.



●● لكن لو كانت المعركة قد امتدت طويلاً.. فماذا ستكون النتائج؟

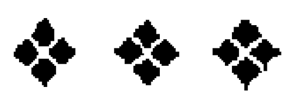
ـ أنت تفترض فروضاً غريبة، وكل موقف يكون له تقدير وحساب معين.



●● أعداء الثورة يقولون عن نتائج معركة ١٩٥٦، إنها كانت ضربة حظ، أو إنها جاءت من عند ربنا، فهل هى فعلاً كانت كذلك؟

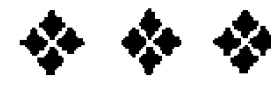
ـ إفرض إنها حظا.. وإن ربنا كان معانا.. هاتقول له إيه؟

تقول له لأ؟.. الأول إنك تعمل واجبك، والنتائج على ربنا، اللى تشوفه إنه صح، وبشىء من المخاطرة والحساب، نفذه وربنا معاك.



●● ماهى ـ فى نظركم ـ النتائج التى أسفرت عنها معركة بورسعيد على المستوى العالمى؟

- معركة ١٩٥٦ ردت الروح للعالم العربى، وأعطته أملاً فى إمكانية الحركة، ولمس العرب قيمة التجمع، وقيمة القيادة، وهذا كان أكبر مكسب لنا، ومن هنا كنا تربص القوى الاستعمارية الكبرى بثورة ٢٣ يوليو، والتى من صالحها ألا تقوم قوة جديدة، أو يتحرك كيان جديد، أو إرادة جديدة تقوض وضعها، لأن هؤلاء مثل «عصابة» استولت على كحكة، ولا يريدون أن يشاركهم أحد فيها، وقيام قوة جديدة يلخبط لهم غزلهم، ويهدم تخطيطاتهم المتفق عليها، فهم قسموا العالم، ولا يريدون أن يفتحوا مكاناً لقوة جديدة، أو إرادة جديدة.



●● سيادة النائب.. لماذا تولى الخبراء السوفييت إنشاء السد العالى؟

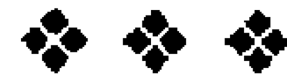
- الروس لم يبنوا السد العالى، وإنما بناه المصريون، وشاركت فيه جميع بيوت الخبرة فى العالم، ونحن استفدنا من الروس كثيراً فى مجال التخطيط، ونحن كنا طلبنا من الأمريكان أن يشاركوا فيه فأخذوها نقطة ضغط، وبدأوا يمارسون صلفهم وكبرياءهم، ومع ذلك لم يكن الاستغناء عنهم بالروس تصرفاً انفعالياً، بل كان تصرفاً اقتضته الظروف والمصلحة الوطنية.



●● أطلق الإسرائيليون على معركة ١٩٥٦ اسماً كودياً هو «قادش»، بينما كان الاسم الكودى لمعركة ١٩٦٧ هو «خيبر»، فما هى دلالة هذين الاسمين؟

- معركة ٥٦ سميت بقادش لأنها كانت قاصرة على مصر فقط، أما ١٩٦٧ فكانت ضد مصر والعالم الإسلامى كله، فمعركة ٥٦ كانت مصرية، ولم يشارك فيها إلا مصر، ومصر وحدها كانت هى المستهدفة، ودائماً يعيش اليهود على التاريخ الذى مضى وانتهى، ويؤسسون حقوقهم كلها على التاريخ وليس على الواقع، فهم يحاولون إحياء لغة ميتة، ويتمسكون بتاريخ لايذكره أحد، ويجمعون أقواماً حكم الله عليهم بالتشتت، فاستناداً إلى الجانب التاريخى الذين يريدون به

إثبات حق أو ثأر أو رد فعل من أجل إحياء الماضى، فهم يعتقدون أنهم امتداد للقبائل الهكسوسية الذين طردهم رمسيس من مصر، فإذا كان أحمس هو الذى طردهم، فإن رمسيس الثانى هو الذى طرد فلولهم وأمن المنطقة، وكانت «قادش» معركة فاصلة مع المصريين، وهم يريدون هذه المعركة الفاصلة مع أحفاد رمسيس الثانى، فهم يعتقدون أنهم طردوا من مصر، ولابد أن يرجعوا إليها، وكان عندهم أمل أن ٥٦ ستكون المعركة الفاصلة بيننا وبينهم لصالحهم، ولكن خاب ظنهم.



الفصل الرابع

قصة الوحدة مع سوريا.. وحرب اليمن

- هناك دعوات مشبوهة للوحدة، والوحدة مع سوريا كانت من ذلك النوع.
- منطق الاستعمار هو كيف يحول مطلباً شعبياً إلى وسيلة يضرب بها.
- الوحدة مع سوريا كانت الطعم الذى وضع بذكاء شديد لكى تبتلعه مصر، ثم يتم الانفصال بعد ذلك، فتهان مصر سياسياً، وتأخذ لطمة كبرى.
- أنور السادات كان وراء تقديم هذا الطعم لمصر ولجمال عبدالناصر.
- ذهب أنور السادات لزيارة سوريا عام ١٩٥٧ على رأس وفد برلمانى، وعاد يبشر بالوحدة معها.
- قيل لعبدالناصر أنه إذا لم تتم الوحدة فسوف تقع سوريا فى أيدى الشيوعيين.
- أنور السادات وعبدالرحمن البيضانى كانا وراء ذهاب هذا العدد المهول من القوات المصرية لليمن.
- الأمريكيون كافأوا البيضانى، وأسندو إليه تنفيذ مشروعات الصرف الصحى.
- لم يكن لعبدالناصر بالأمريكان أية علاقة من أى نوع، والذين يرددون هذا الكلام لا ينتمون إلى عمل بطولى يفخرون به.
- الذين ظلوا ٧٠ عاماً يرددون: «الجلاء التام أو الموت الزؤام» أخذنا الموت الزؤام ولم نأخذ الجلاء.
- عملية الانفصال كانت ضربة لعبدالناصر فى مقتل.
- ذهاب قوات مصرية لليمن بهذه الصورة المهولة كان مخططاً أمريكياً.

- عبدالناصر ساعد الشعوب النامية كلها بغرض توسيع قاعدة الأحرار، وتكوين عزوة منهم.
- مصر بمساعدتها لليمن أخرجت شعباً من ٧٠ ألف فرسخ تحت الأرض إلى سطح الأرض.
- وجودنا فى اليمن كانت له أهمية استراتيجية كبرى، لأنه كانت لنا استراتيجية فى البحر الأحمر تتكافأ مع مسئولياتنا.
- عبدالناصر دخل الوحدة بإخلاص، لكن السوريين لم يدخلوها كذلك.
- حادث الانفصال حدث بصورة أسرع من توقعه، وتم بواسطة الجيش وليس الشعب.

في ١٨ نوفمبر عام ١٩٥٧، أعلن نواب مجلس الأمة المصرى والسورى، فى جلسة مشتركة بينهما، أنهم يعلنون رغبة الشعب العربى فى مصر وسوريا، بإقامة اتحاد فيدرالى بين القطرين الشقيقين، وأنهم يباركون الخطوات العملية التى اتخذتها الحكومتان المصرية والسورية، فى سبيل تحقيق هذا الاتحاد، وأنهم يدعون حكومتى مصر وسوريا للدخول فوراً فى مباحثات، بغية استكمال أسباب هذا الاتحاد.

وفى ٤ يناير من عام ١٩٥٨، اجتمع مجلس الوزراء السورى، برئاسة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورى، وقرر المجلس بالإجماع ضرورة تكتل مصر وسوريا فى دولة واحدة، يرأسها رئيس واحد، وهيئة تنفيذية واحدة.

وكانت اتصالات الحكومتين المصرية والسورية على قدم وساق، للإعداد لهذه الوحدة، وحين تم التفاهم على الخطوات الأساسية للوحدة، انتقل رئيس الجمهورية السورى وأعضاء حكومته، وممثلوا مصر وسوريا، واجتمعوا بالزعيم جمال عبدالناصر وأعضاء الحكومة المصرية، وعقد الطرفان عدة اجتماعات بقصر القبة بالقاهرة فى أول فبراير ١٩٥٨، ثم أعلن الطرفان المصرى والسورى بيانهما التاريخى، وهو أن المجتمعين يعلنون اتفاقهم وإيمانهم الكامل وثقتهم العميقة فى وجوب توحيد مصر وسوريا فى دولة واحدة اسمها «الجمهورية العربية المتحدة» كما يعلنون اتفاقهم الجماعى على أن يكون نظام الجمهورية المتحدة ديمقراطياً رئاسياً، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة، ويعاونه وزراء يعينهم،، ويكونون مسئولين أمامه، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد، ويكون لهذه الجمهورية علم واحد، يظلل شعباً واحداً، فى وحدة

يتساوى أبناؤها فى الحقوق والواجبات، ويدعون جميعاً لحمايتها بالأنفس والأرواح، ويتسابقون لتثبيت عزتها.

وفى ٥ فبراير سنة ١٩٥٨، تقدم الرئيسان، جمال عبدالناصر وشكرى القوتلى، لإلقاء بيان رئيس الجمهورية أمام مجلس النواب السورى، ومجلس الأمة المصرى، وأعلن كل من الرئيسين الأسس التى تقوم عليها الوحدة، ثم أضاف الرئيس السورى شكرى القوتلى فى بيانه أنه يرشح الزعيم جمال عبدالناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة، ووافق المجلسان على البيان.

وفى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٨، جرى الاستفتاء على رئاسة عبدالناصر للجمهورية، وأسفر عن موافقة ٩٩,٩٩٪ من الأصوات فى الإقليم المصرى، و٩٩,٩٨٪ فى الإقليم السورى، وفى ٥ مارس من نفس العام أصدر عبدالناصر الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة فى ٧٤ مادة بنيت على ماورد فى الميثاق الأساسى للوحدة.

وهكذا بدأت مسيرة الوحدة المصرية السورية، حتى تم الانفصال فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١، بمؤامرة كبرى استخدمت فيها الدول الاستعمارية عناصرها الموالية لها فى سوريا، ويأخذ عبدالناصر أول طعنة حقيقية له، وقبل أن تجف دماؤه، وفى نفس العام - عام الانفصال - كانت الطعنة الثانية، وذلك باستدراج مصر خارج كنانتها، وتورط عبدالناصر فى حرب اليمن بالصورة التى حدثت، وذلك من منطلق موقف عبدالناصر البطولى تجاه أى حركة تحررية ثورية ضد الاستعمار والاستعباد والتبعية، فلقد وقف عبدالناصر إلى جانب ثورة الجزائر، وخطط لها مع قادتها، وأمدها بالمعونات العسكرية والمادية، وكان لعبدالناصر دور كبير فى نجاح ثورة الجزائر، هذا الدور نستطيع أن نستشفه من مقولة «جى موليه» رئيس وزراء فرنسا وقت العدوان الثلاثى على مصر، إذ قال: «إذا ضربنا عبدالناصر فإننا نصيب الجزائر.. ذلك لأننا إذا ضربنا الدينامو توقفت حركة الجسم كله».

وهذه العبارة تعطينا الكثير من الأبعاد لدور عبدالناصر فى الوطن العربى،

فلقد كان هو الدينامو بداخل الجسم العربى، مما يؤكد لنا أن المؤامرات التى حيكت ضد عبدالناصر لم تكن بقصد القضاء على دوره داخل مصر فقط، بل والقضاء على دوره خارج مصر أيضاً، ومن هذا المنطلق استدرج عبدالناصر للخروج بنصف جيشه إلى اليمن لإتمام المؤامرة الرابعة.

كانت المؤامرة الأولى ـ من الداخل ـ حينما استخدم الأمريكان تنظيم الإخوان المسلمين لقتل عبدالناصر عام ١٩٥٤، ولكن الحادث مضى، ولم يقتل عبدالناصر، وكان نتيجة الحادث هو تدعيم غير عادى لشعبية عبدالناصر، واستطاعت الثورة أن تنتصر على المتآمرين، وقطعت أسلاك الخيانة بين القاهرة وواشنطن، فألقت بالمتآمرين داخل السجون، وأبت أن تعدمهم، وبالتالى قطعت أسلاك الخيانة ولم تستأصل جذورها، فبقيت البذور تحت التراب لتنبت من جديد.

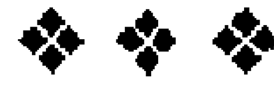
ثم كانت المؤامرة الثانية ـ من الخارج ـ إثر الإعلان عن قرار مصر المشروع بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦، فجاء المستعمر بطائراته وبوارجه ومدمراته ليضرب شعباً استخدم حقه المشروع، من أجل وأد ثورته الوليدة، ومع ذلك خرجت مصر من المعركة مرفوعة الرأس، وواصلت الثورة مسيرتها.

وفى عام ١٩٥٧ بشر أنور السادات بالوحدة مع سوريا، وليقوم الأمريكان بتنفيذ مخطط الانفصال المدروس قبل عملية الوحدة، لتكون عملية الانفصال هى الطعنة الصائبة بحق فى شخص وزعامة جمال عبدالناصر... وهكذا توالت الضربات.. فكانت حرب اليمن هى الضربة الرابعة، أو الخطوة الأخيرة قبل الوصول للطعنة القاتلة، أو الضربة القاضية، وهى ماحدث صباح ٥ يونيو ١٩٦٧.

إن هذه الحقائق قد تبلورت وتكشفت لنا من خلال حواراتنا مع السيد حسين الشافعى رفيق سلاحه، ورفيق نضاله وكفاحه، ومن خلال مضمون ذلك الفصل يستطيع القارىء أن يستنتج، إلى أى حد كانت ثورة يوليو تؤرق القوى الاستعمارية، وإلى أى حد بلغت خطورة مؤامرات هذه القوى على الثورة.

●● هل للسيد النائب رأى خاص فى الوحدة بصفة عامة؟

- الوحدة هى الأمل فى التحرر الحقيقى، فاتحاد الدول العربية معناه أن تصبح شعوب الدول المتحدة يداً واحدة، وهذا من شأنه أن يروع القوى الكبرى، وتحسب لنا الحسابات، وتكون إرادتنا ملك أيدينا.



●● أيهما أفضل: اتحاد عربى أم اتحاد إسلامى؟

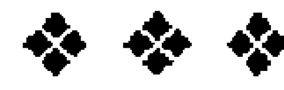
- لا يوجد وجه للمقارنة هنا، ويجب أن تعرف أن الاستعمار والقوى الكبرى تسعى دائماً لدفعنا لعمل أى نوع من الاتحاد العربى، على أساس أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتأخير القدر المحتوم للوحدة الإسلامية، فهم يروا أن ذلك شئ يلهى هذه الدول، لأن الوحدة العربية مادامت بلا فلسفة، فهى ستكون تابعة لفلسفات الآخرين، سواء اشتراكية أو رأسمالية، ولكن خوفهم من الوحدة الإسلامية مصدره أن هذه الوحدة سيكون لها منهجها وفلسفتها المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.



●● ماهى الظروف والملابسات التى هيأت لإقامة الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨؟

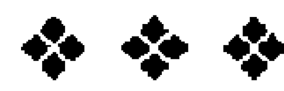
- هناك دعوات مشبوهة للوحدة، والوحدة مع سوريا - بالرغم من أن انتصار ١٩٥٦ قد أعطى المدخل البطولى الذى يجعل الوحدة مطلباً جماهيرياً - إلا أنه

كان وراء هذا المطلب الجماهيرى، مطالب خبيثة تحاول ضرب الوحدة من خلال الوحدة، فتعمل على إتمام وحدة اندماجية، بحيث حين يتم الانفصال يكون لطمة سياسية كبرى، تخرج مصر بسببها من خندقها، فيكون سهل إصابتها، وسهل توجيه الضربة إليها، وهذه هى الوحدات المشبوهة.



●● وهل كانت الوحدة المصرية ـ السورية من ذلك النوع المشبوه؟

ـ يكفى أن الذى استفاد من هذه الوحدة هو الاستعمار ومن يمثله، ومصر دائماً هى المستهدفة، ولذلك فهو قرار يجب أن يحسب مرتين، مرة بحساب مجرد، ومرة بحساب مصلحة الاستعمار فى ذلك.



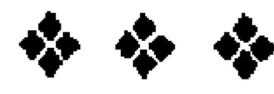
●● هل يمكن القول بأن الوحدة المصرية ـ السورية كانت «كميناً» لضرب مصر من الخارج؟

ـ كانت «الطُعم» الأول الذى وضع بذكاء شديد جداً جداً، من أجل أن تبتلعه مصر، ثم يتم الانفصال، فتخرج مصر من خندقها، وتضرب مصر، وتهان سياسياً، وتأخذ لطمة كبرى بدون ذنب اقترفته، ويرمى كل ذلك على القيادة، متمثلة فى جمال عبدالناصر، فالوحدة كانت أول صفعة سياسية استدرجت إليها مصر، لكى تتلقى هذه اللطمة الكبرى، لأنه أصبح النيل منها من الداخل صعب، فاستدرجت إلى الخارج، وأنا دائماً كنت أردد بأن جمال عبدالناصر لابد أن تكون نهايته من الخارج، لأنه قائد وطنى، فلابد أن يقضى عليه من الخارج، بعكس الوضع مع أنور السادات، الذى نفذ فيه قضاء الله بين جنود القوات المسلحة، فى يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٨١، الذى كان يوافق بالتقويم الهجرى الذكرى الرابعة لزيارته القدس، وخطابه فى الكنيست تحت أعلام إسرائيل، ومصر مازالت فى حالة حرب معها.



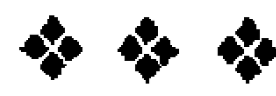
●● من الذى ساعد على تقديم هذا الطعم لمصر؟

ـ أنور السادات.. أنور السادات كان وراء كل هذه المخططات، فإذا كان أنور السادات ـ كما تقول الواشنطن بوست ـ عميلاً للمخابرات الأمريكية منذ الستينيات، فهنا يسقط هذا التعجب، ويسقط المنطق، لأن أنور السادات كان أيضاً وراء حرب اليمن.



●● ماهو ـ على وجه التحديد ـ دور أنور السادات فى الوحدة مع سوريا؟

ـ ذهب السادات لزيارة سوريا عام ١٩٥٧، على رأس وفد برلمانى، وكان وقتها وكيلاً لمجلس الأمة، وعاد من سوريا يبشر بالوحدة معها.



●● الذى بشر بالوحدة مع سوريا هو أنور السادات، فماذا كان موقف جمال عبدالناصر من قيام الوحدة؟

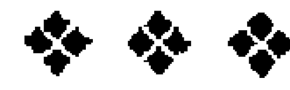
ـ قيل لعبدالناصر إذا لم تتم الوحدة مع سوريا، فسوف تقع سوريا فى أيدى الشيوعيين، وأن القوة المسيطرة على سوريا سوف تسلم سوريا للشيوعيين، وتحت هذا التهديد الوطنى لسوريا الشقيقة، ضعف التردد والتمنع لدى عبدالناصر فى قيام الوحدة.



●● كانت نتيجة الاستفتاء على قيام الوحدة الذى جرى فى مصر وسوريا ١٠٠٪، فهل كانت الوحدة بحق مطلباً شعبياً؟

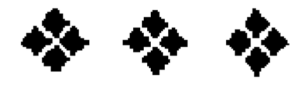
ـ كانت الوحدة فعلاً مطلباً شعبياً، لكن منطق الاستعمار هو كيف يتحول مطلب شعبى، إلى أنك تضرب به، وهنا تكون الخطورة، ولذلك يطلق على جهاز المخابرات «الخدمة الذكية» لأنهم يصلون لهدفهم بكل ذكاء، دون أن تترك بصمات

لجرائمهم، فلو بحثت عن الجريمة لن تراها، وينتهى الأمر بأن يوضع اللوم فى حالة النجاح على من وجهت إليه الضربة.



●● وهل لأنور السادات دور فى دخول مصر حرب اليمن؟

- لم تكد تمر سنة على الانفصال، وجاء أنور السادات واتفق مع عبدالرحمن البيضانى على جمال عبدالناصر، وطلبوا منه التدخل بالإمداد العسكرى لثورة اليمن، وصوروا له أن الأمر لن يتعدى طائرتين وخلاص.. ثم وصل الأمر إلى أن وصل عدد قواتنا فى اليمن ٧٠ ألف جندى وضابط.



●● هل كانت هناك علاقة من نوع ما بين عبدالناصر وعبدالله السلال؟

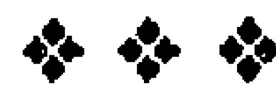
- لا.. عبدالله السلال استخدم كرمز للثورة وقائد وواجهة لها، لكن عبدالرحمن البيضانى بصلاته بكل من أنور السادات، والمخابرات الأمريكية، كان وراء دفع الأمور لاستخدام الجيش فى قيام الثورة، وكل ذلك كان ضمن مراحل الإعداد لما حدث فى سنة ١٩٦٧، فالذى كان وراء ثورة اليمن هى المخابرات الأمريكية، ولذلك كافأوا البيضانى على هذا الدور الذى أداه بإتقان، وأسندوا إليه تنفيذ مشروعات الصرف الصحى والتى حقق من ورائها الثروة والجاه.



●● هل كان للموساد دور فى انفصال الوحدة المصرية السورية؟

- تستطيع تحديد ذلك من ناحية مَنْ له المصلحة الأولى فى عملية الانفصال والقضاء على مصر، فالمصلحة الأولى للأمريكان واليهود معاً، فإنجلترا دورها انتهى كدولة كبرى بعد الحرب العالمية الثانية، والأمريكان من صالحهم أن ينتهى

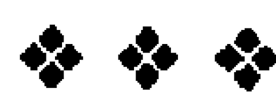
الإنجليز لكى يحلوا محلهم، ولذلك عندما قامت الثورة فى مصر لم يكن للأمريكان مصلحة فى أن يوقفوا الثورة، وارتأوا أن يجعلوا الثورة تتحمل المخاطرة وتنتهى من الاستعمار الإنجليزى، وكان فى تقديرات أمريكا أنهم يستطيعون أن يحتووا هذه الثورة لحسابهم بدلاً من أن تكون لحساب إنجلترا، ويد أمريكا فى المنطقة هى إسرائيل.



●● هل على هذا الأساس يردد أعداء الثورة بأنه كانت تربط عبدالناصر بأمريكا علاقات من نوع ما؟

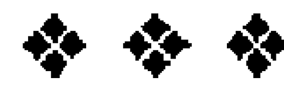
- هذا تصور خاطىء، فلم يكن بين عبدالناصر والأمريكان أية علاقة من أى نوع، ولكن مجرد تلاقى فى المصلحة، فعبدالناصر كان يسير فى طريق وهدفه تحرير بلاده من الإنجليز، أما الأمريكان فكان هدفهم إخراج الإنجليز ليحلوا محلهم، هنا تتلاقى المصالح، ولكن دون اتفاق، فمثلاً فى حرب فوكلاند فضلت أمريكا ألا تتدخل رغم أن كل دول أمريكا اللاتينية توابع لها، ومع ذلك لم تظهر أمريكا فى الصورة، فلو كان قد قُدر للأرجنتين أن تنتصر كان يبقى خير وبركة، وإذا لم تنتصر فموقفهم لا يهتز بالنسبة لعلاقاتهم مع إنجلترا.

وفى مصر كانت العملية من هذا القبيل، فموقف أمريكا كان موقف المتفرج، وتنظر للإنجليز كقوة يتمنون أن يرثوها ويحلوا محلها، لأن فى وجودهم يعنى أن تكون هناك مجاملات وحساسيات، ولكن عندما تأتى قوة من الخارج مثل ثورة يوليو، وتنجح فى إزاحتهم، فهذا يمثل خطوة إلى الأمام بالنسبة لأمريكا، ليس على أساس أن تتحرر مصر، ولكن على أمل احتواء الموقف، ولذلك عندما جاء العدوان الثلاثى، حرصت بريطانيا وفرنسا على أن يتم من تحت الترابيزة، لماذا؟ لأنه لايمكن أن يستشيروا الذين يتطلعون لوراثتهم، فالموقف كان حساساً، ولذلك تمت العملية من تحت ذقن روسيا وأمريكا، ونحن كثورة استفدنا من هذه التناقضات بين الاستعمار القديم والاستعمار الحديث، لكن القول بأنه كان هناك اتفاق بين عبدالناصر والأمريكان.. كلام فارغ وليس له أى أساس من الصحة.



●● وبماذا ترد على من يرددون هذا الكلام؟

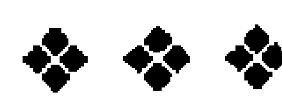
- إذا كانوا مصريين، ويهمهم مصلحة بلدهم، فيجب أن يدركوا أنهم بذلك يهدمون مصلحة بلدهم، فالذى ليس بإمكانه أن يعمل واحداً على مليون مما فعلته الثورة ليس أمامه سوى تشويه صورة الثورة، والتحدث بما يُسىء إليها، لأنه لايستطيع أن يفعل شيئاً، وإذا هو كان قد فعل شيئاً فليتباهى بالذى فعله، هم ظلوا ٧٠ عاماص فى مفاوضات ومفاوضات، ويرددون «الجلاء التام أو الموت الزؤام» أخذنا الموت الزؤام ولم يحدث جلاء!.. فهم لاينتمون إلى أى عمل بطولى، ويريدون أن يهدموا الثورة بقولهم إنه كان هناك اتفاق مع أمريكا، فإذا كانت المصالح تتلاقى فليس معناها أن وراءها اتفاق، ولكن معناها أننا استفدنا من واقع سياسى موجود، لقد كان ذلك واقعاً ملموساً، وهو أن أمريكا كانت تريد أن ترث إنجلترا، ونحن استفدنا من هذا الواقع.



●● ماذا كانت تمثل الوحدة المصرية . السورية بالنسبة لجمال عبدالناصر؟

- تحقيق وقيام الوحدة، كان بالنسبة لعبدالناصر نصراً شخصياً، كانت النصر الذى لايشاركه فيه أحد، فإذا كانت الثورة قد شاركه فيها كثيرون، فإن الوحدة قد تحققت بقيادته ودون مشاركة أحد، وهذه كانت بالنسبة له من ثمار جهده السياسى كجمال عبدالناصر، فهو كان يعتبر هذه الوحدة ملكية خاصة له، وكان اعتزازه بها أنها كانت تعد ضرباً من ضروب التقدير حوله من الأساط الشعبية التى قد لاتكون بالضرورة تتوافق مع الصراعات الحزبية فى سوريا، وبقدر ماكانت الاستقبالات الشعبية وتنظيمها مسكرة، بقدر ماكانت جريمة الانفصال مدمرة.

وعملية الانفصال كانت ضربة لعبدالناصر فى مقتل، وشاء القدر أن يكون يوم الانفصال «٢٨ سبتمبر» هو نفس اليوم الذى مات فيه جمال عبدالناصر بعد تسع سنين.



●● عـودة إلـى ثورة اليـمن.. أريـد أن أتأكـد.. هل لولا السادات والبيضانى لما كان عبدالناصر ساعد اليمن؟

ـ كيف تقول هذا؟.. عبدالناصر وقف إلى جانب اليمن منذ البداية، كما وقف بجانب الجزائر فى ثورتها، وفتحت مصر أبوابها للثوار اليمنيين المطرودين، بالإضافة إلى عدد كبير من اللاجئين، وكانت داخل الأراضى المصرية جبهة معارضة للنظام اليمنى، ووضع عبدالناصر إذاعة «صوت العرب» تحت تصرف هؤلاء الثوار، وكذلك أتاح لهم الفرص لإصدار نشرة معارضة بدءًا من أغسطس سنة ١٩٥٥، وهى «صوت اليمن»، وكان الضباط اليمنيون يتعلمون فى الكليات العسكرية المصرية، وكان يتم تدريب لواءات يمنية كاملة فى مصر، ولكن ذهاب هذه القوات بهذه الكثرة، كان مخططاً أمريكياً لاستدراج مصر إلى الخارج وضربها من هناك، وقاد تنفيذ هذا المخطط أنور السادات وعبدالرحمن البيضانى.



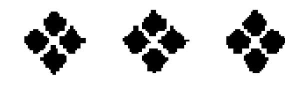
●● وكيف وصل السادات إلى هذه النتيجة؟

ـ كانت عملية نفسية مدروسة، وبذكاء شديد، فبعد الانفصال كان هناك جرح، وكان الوضع كمن يبحث عن أى شىء يغطى به هذا الجرح، من خلال عملية إيقاظ وصحوة، لجزء من الوطن العربى الذى كان فى ٧٠ ألف فرسخ تحت مستوى البحر، وكان هدف عبدالناصر هو إحياء كل خلايا هذا الجسم، والجسم الإسلامى، واستغل الأمريكان هذه النزعة لديه، وجندوا أنور السادات وعبدالرحمن البيضانى، لإقناعه بإرسال القوات المصرية بهذه الكثرة إلى اليمن ليتم ضرب مصر بالخارج، بعدما فشلوا فى ضربها بالداخل، ولذلك جمع الأمريكان حوالى ١٥ ألف جندى من المرتزقة ومدوهم بأحدث الأسلحة الحديثة، وتولت إسرائيل مهمة إلقاء الذخائر والأسلحة بالطائرات لهؤلاء المرتزقة، لتستعر المعارك، وليتم للاستعمار استنزاف القوى المصرية.



●● ولماذا أرسل عبدالناصر قوات مصرية إلى دول أخرى غير عربية؟

- كان هدف عبدالناصر من وراء ذلك، هو توسيع قاعدة الأحرار، لتكوين عزوة منهم، وعلى ذلك تم مساعدة جميع حركات التحرر فى أفريقيا، بعد مساعدة حركات التحرر العربية، لأنه حينما يكون الأحرار أغلبية، فلن تشعر بالعزلة أو الوحدة، فيكون هذا بجوارك، وذاك معك، والآخر بجانبك.. وهكذا، فيقوم من يفكرون فى الاعتداء بعمل حساب لهذا التجمع... عزوة الأحرار.



●● وهل حققت حرب اليمن أية مكاسب لمصر من أى نوع؟

- أكبر مكسب لمصر أنها أخرجت شعباً من تحت ٧٠ ألف فرسخ تحت الأرض، أخرجته إلى سطح الأرض، وأصبح قوة محركة، ولها اعتبارها وقيمتها، وكأننا نرد لهم الفضل، لأنه كان منهم ٣٥٠٠ فارس شاركوا فى فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص، ودخول المصريين فى الإسلام.



●● ألم يكن لإرسال القوات المصرية إلى اليمن، أهداف استراتيجية بجانب مساعدة شعب اليمن؟

- بالتأكيد.. لأنه إذا كان لنا استراتيجية فى البحر الأحمر تتكافأ مع مسئوليتنا، فوجودنا فى اليمن كان له أهمية كبرى، ووجود عيون وطنية قومية قوية، فيه تقصير للفرص المتاحة لإسرائيل، بأن تسيطر على المداخل فى المنطقة.



●● وهل أتت هذه التجربة ثمارها؟

- ليس مطلوباً أن تتحقق النتائج فى أوانها، فالرسل لم يكن عليهم إلا البلاغ،

والبلاغ عبارة عن إلقاء كلمة، والكلمة تتبت فيما بعد، والنتائج فى حجم ماقد تحقق منها الآن كان فى صالح الأمة العربية.



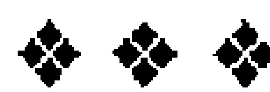
●● ولكن كان من ثمار هذه التجربة أن فقدت مصر الغطاء الذهبى لعملاتها النقدية.. فما تعليقكم؟

ـ الرصيد الذهبى هذا كان فى وقت من الأوقات هو الأساس، ولكن الأساس الحقيقى اليوم هو حجم الإنتاج، وحجم التصدير، بدليل أنه حتى سنة ١٩٧٠ كانت الأسعار فى مصر فى حدود المرتبات التى كانت تصرف، ولكن مرتب الفرد اليوم فى مصر أصبح لا يعينه على المأكل، بصرف النظر عن المتطلبات الأخرى، ولم يشتك أحد قبل سنة ١٩٧٠ بأن مرتبه لا يكفيه، فالثورة بنت السد العالى، ومشروع مديرية التحرير، واستصلحت ٩٠٠ ألف فدان، وكافة المشروعات الكبيرة والضخمة، هذه المشروعات التى نفذت فى وقت قياسى... من أين بنيناها؟ أليست بفلوس؟!.. لقد أعدنا بناء البلد.. كانت أول سنة فى الخطة سنة ١٩٦٠ تم فيها مضاعفة الدخل القومى، وتم فيها من الإنجازات ما أزعج وأقلق القوى الاستعمارية، بل لقد كان التعجيل بضربة ١٩٦٧ سببه وهدفه الأساسى هو القضاء على هذه المشروعات قبل أن تظهر نتائجها، ويلمسها الناس، كمن دهس أرضاً مزروعة قبل أن تنبت.



●● هل كان حادث الانفصال بين مصر وسوريا متوقعاً.. أم جاء فجائياً؟

ـ كان أسرع من توقعه، فالانفصال جاء على أثر القرارات الاشتراكية، والانفصال تم بواسطة الجيش وليس بواسطة الشعب، حيث تم استثارة تجار دمشق وحلب ضد القرارات الاشتراكية، واستغلوا هذه القرارات فى المجال الشعبى، ولكن كان وراء هذه العملية العناصر المستفيدة من الانفصال.



الفصل الخامس

الثورة الاشتراكية

- القرارات الاشتراكية كانت استمراراً لمبادىء الثورة والميثاق.

- لم يكن أمامنا فرصة لبناء البلد إلا بما هو موجود فيها

- كانت هناك صراعات داخلية وخارجية خارجة عن إرادتنا أخرت إعلان القرارات الاشتراكية.

- كان هناك ٥٪ يعيشون، و٩٥٪ من أبناء الشعب لايعيشون، ولكنهم مستسلمون.

- لو كنا نهدف إلى الحكم فقط كنا أصبحنا من قيادات المنطقة.

- كيف تنتظر نجاح القطاع العام فى ظل نظام انفتاحى؟

- ليست هناك اشتراكية إسلامية، ولكن هناك إسلام يحوى هذه الاشتراكية، ولا أحب أن يوضع الإسلام تحت لافتة أو مسمى آخر.

- هناك تعارض بين الاشتراكية والإسلام، لأن للإسلام منهجه الخاص.

- مجوهرات أسرة محمد على حملها فاروق فى حقائبه، ولم نفتشه كرماً منا.

- لو كنا عملنا حزبين لأخذ أحدهما أوامره من أمريكا، ولأخذ الآخر أوامره من روسيا.

- انشأنا تنظيم تحالف قوى الشعب لإخراج شعبنا من مرحلة «العظام الخضراء».

جاء فى خطاب الزعيم جمال عبدالناصر، فى مناسبة العيد التاسع للثورة:

«كان السبيل الوحيد حتى نبنى الدولة الجديدة، على أساس اشتراكى ديمقراطى تعاونى، أن الثورة تحرر الأُجراء من سيطرة رأس المال واستغلاله، وأن تعمل على إعادة البناء الاقتصادى لصالح الشعب كله، لا لصالح طبقة من الطبقات وحدها».

وجاء فى نفس الخطاب:

«وحتى نقيم البناء الاجتماعى والاقتصادى، كان لابد أن نجرد ديكتاتورية رأس المال من أسلحته، فلو حافظت ديكتاتورية رأس المال على هذه الأسلحة، لظلت شعاراتنا الاشتراكية دون تطبيق، وهذا يعنى أننا نترك رأس المال كى ينتهز الفرصة المناسبة وينقض ليستولى على النظام السياسى».

وقد تحققت بالفعل نبوءة جمال عبدالناصر حينما انقض الرأسماليون على النظام فى سوريا عام ١٩٦١، وتحقق الانفصال الذى تناولناه فى الفصل السابق.

وموضوع هذا الفصل من حواراتنا مع السيد حسين الشافعى، يعد من أعمق الأحاديث حول الاشتراكية، وظروف تطبيقها فى مصر.

ولنا أن نتساءل: كيف كان الوضع الاقتصادى فى مصر قبل الثورة؟ لقد تمكن الأجانب فى ظل الامتيازات الأجنبية، وفى ظل الاحتلال البريطانى، تمكن الأجانب والمستعمرون من السيطرة الكاملة على المشروعات المالية والتجارية فى مصر، واحتكروا بصفة خاصة القطاعات المالية، ومنها قطاع البنوك لبيع وشراء العملات، وكذلك تمويل التجارة الخارجية، وقطاع التأمين بما فيه التأمين البرى

والبحرى، أثناء نقل الصادرات أو الواردات، ثم قطاع الوكالات التجارية، وتشمل بيوت الاستيراد، وبيوت التصدير.

كان كل قطاع من القطاعات السابقة، يتكون من خليط عجيب من جنسيات مختلفة، فمثلاً قطاع البنوك، كنت ترى البنك اليونانى، والبنك الإيطالى، وبنك الخصم الباريسى، وبنك باركليز للمستعمرات، والبنك العثمانى، والبنك الأهلى المصرى، وكانت جميع أنواع هذ البنوك - باستثناء بنك مصر - عبارة عن فروع تابعة لمراكزها الرئيسية فى الخارج، وتزاول أعمالها طبقاً لأوامر وتعليمات مراكزها الرئيسية، وكل هذه المؤسسات وخاصة شركات التأمين، تستغل بأموال وطنية، ترسل هى وأرباحها للاستثمار فى الخارج، فضلاً عنه أنه كان رأس مال البنك وإدارته وموظفوه من غير المصريين، وغالباً ما كان يدير الفروع القناصل، ولو أخذنا البنك اللأهلى المصرى مثالاً لذلك، فنجد أنه قد أنشأه سائح إنجليزى من اللوردات، ويونانى، ويهودى، وساعدهم العميد البريطانى «كرومر» بنفوذه للحصول على امتياز إصدار العملة الورقية «البنكنوت» وحفظ أموال الحكومة المصرية، وكان مجلس إدارة البنك وأغلبية موظفيه من الأجانب، يتلقون الأوامر والتعليمات من «لجنة لندن»، وكان غالبية المديرين والموظفين من الإنجليز، والأجانب المتمصرين، وبذلك كانت أسرار مصر المالية ومصيرها، يسيطر عليه المستعمرون.

وبدأت الثورة الاشتراكية عام ١٩٥٦، بتأميم قناة السويس، والمؤسسات الإنجليزية والفرنسية، وفى عام ١٩٥٧ كان تمصير البنوك الفرنسية والإنجليزية، وفى سنة ١٩٦٠ كان تأميم المؤسسات البلجيكية، والبنك الأهلى المصرى، وبعض الصناعات الكبرى.

ثم توجت الثورة الاشتراكية الكبرى بقرارات يوليو ١٩٦١، والتى بمقتضاها تم تأميم ٤٠٠ مؤسسة قطاع خاص، ثم صدر القانونان ١١٧ و١١٨ لسنة ١٩٦١ بتأميم البنوك وشركات التأمين، والكثير من شركات الإنتاج الأساسية.

ويقف جمال عبدالناصر فى ٢٢ مايو سنة ١٩٦٣، ويخطب تحية لقواتنا المسلحة بعد عودتها من اليمن، وجاء فى خطابه:

«... سيطر الشعب.. وأسقط الاحتكارات الأجنبية، وكانت كلها نهباً للمغامرين والأجانب، وكان ذلك فى الواقع تدخلاً للعمل الاشتراكى، الذى عزز مواقعه بعد ذلك فى قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١، التى تلاحقت بعدها خطوات العمل السياسى والاجتماعى بتأكيد سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج، لتكون إرادته العليا على أرضه حقاً لا ريب فيه».

حول هذه التجربة يدور موضوع هذا الفصل من حواراتنا مع السيد حسين الشافعى، الذى كان نائباً لرئيس الجمهورية منذ تلك الفترة.

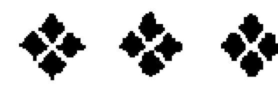
●● سيدى النائب.. ماذا تقول فى القرارات الاشتراكية؟

- القرارات الاشتراكية كانت استمراراً لمبادىء الثورة والميثاق، فهذه القرارات لم تكن نابعة من فراغ، فنحن كنا نهدف إلى إقامة عدالة اجتماعية، وهذا هو الهدف أو المبدأ الرابع من مبادىء الثورة، الأول كان هو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة من المصريين، والثانى كان القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم، والثالث كان القضاء على الإقطاع، والرابع هو إقامة عدالة اجماعية.. وإقامة عدالة اجتماعية أمر يعنى أن تجعل الناس جميعاً قادرين على العيش، وهذه العدالة كيف نحققها؟ ومن أين نبنى؟ هل لدينا مستعمرات ننهب منها الأموال لكى نبنى؟.. لايوجد.. إذن من أين نحصل على رؤوس الأموال التى نبنى بها؟.. ليس أمامنا سوى ماهو موجود لدينا، وكان لدينا سوء توزيع، ناس عايشه.. وناس مش عارفه تعيش، ولم يكن أمامنا فرصة لبناء البلد إلا بما هو موجود فيها، يعنى مثلاً احنا لما عملنا التأمينات الاجتماعية، وكنت أنا متولى هذه العملية من منطلق أننى وزير تخطيط، فكان ذلك هو الادخار الذى يمكننا من أن نضع الخطة موضع التنفيذ، ولكن من أين لنا بالأموال؟.. لن يقرضنا أحد، ونريد أن نبنى، وليس لدينا مستعمرات «نحلبها» لكى نبنى بها، وكل البنية الأساسية التى أرستها إنجلترا جاءت من دم الشعوب التى استعمرتها وسلبت ثرواتها، وسرقت أموالها، ومن هنا فلم يكن أمامنا حل لكى نبنى ونقيم عدالة اجتماعية إلا «الاشتراكية» وكانت القرارات الاشتراكية.



●● ولماذا تأخر إعلان القرارات الاشتراكية فى مصر إلى تسعة أعوام بعد الثورة؟

ـ كانت الأحداث أقوى منا، كنا أيامها فى صراعات داخلية عديدة ومتشعبة، وصراعات خارجية، والصراعات الداخلية كانت مرتبطة بالصراعات الخارجية، ومع ذلك فإن قانون الإصلاح الزراعى كان من أول يوم فى الثورة، ثم تأميم القناة، وتأميم القناة شىء أفزع الاستعمار، لأنه كان أمراً فوق مستوى تصورهم، ولذلك خرجت كتب كثيرة فى كل أنحاء العالم تشيد بعبدالناصر ومدى جرأته، ومدى شجاعته، أذكر منها كتاب خرج من الهند بعنوان "Naser Did It" «ناصر عملها أو فعلها» وهو فعلاً عملها وعدت، أمم القناة ثم حاربوه، وخرج من المعركة فبنى السد العالى، ثم قام بتمصير البنوك والمصالح الفرنسية والإنجليزية، والشىء الغريب أننا حينما قمنا بالتمصير، وجدنا أن ٩٦٪ من المعينين فى هذه البنوك والشركات من الأقباط(١١) لأنهم فى نظر المستعمر أقلية، والمستعمر دائماً يعتمد على عنصر الأقلية، وليس أمامه من سبيل لتحقيق هدفه سوى أن يحكم الأقلية.

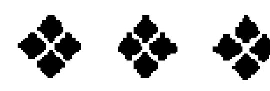


●● هل حققت التجربة الاشتراكية فى مصر أهدافها المبتغاة؟ وماذا تقول فيمن يهاجمون هذه التجربة الاشتراكية؟

ـ حققت الكثير.. الكثير جداً جداً جداً.. هل تعرف هذه التغيرات التى تحدث فى المجتمع الآن، والتى نعانى منها، كانهيار الأخلاق والمُثل لماذا؟.. لأنه قبل الثورة كان الشعب قد ارتضى وجود الإنجليز، ووجود الأحزاب، ووجود التمزق، وأصبح هناك ناس عايشة، و٩٥٪ من الشعب مش عايشين، ولكنهم مستسلمون وراضون بهذا الوضع، فكان مثل المياه الراكدة.. المياه الآسنة، فكونك تحرك هذا الوضع وتنتشل هؤلاء الناس وتأخذ بأيديهم، وتحقق لهم فرص التعليم، وفرص العمل، وفرص التواجد السياسى، وكافة الاحتياجات الإنسانية.. كل هذه الفرص المتاحة قلّبت المجتمع، وأخرجت خفاياه، ولكن فى النهاية فإن

هذه التقليبة سوف تستقر، وتظهر الأخلاق الحقيقية لهذا الشعب ذى الحضارة العريقة بعد انتهاء هذه التقليبة، فنحن قلبناه تقليبة كبيرة وعنيفة، بعد ماكان الأمر قد استقر على ذلك منذ مئات السنين.. منذ أن دخل الأجانب مصر، فهذه تقليبة حقيقية وكبيرة، ومادمت تقلب مجتمعاً، فلابد أن تظهر فيه تناقضات وبثور.

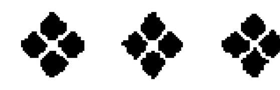
ونحن لو كنا نهدف إلى الحكم كنا أصبحنا قيادات المنطقة، لو كنا سلمنا الأمر للقوى الكبرى كان البترول بدلاً من ظهوره بكثرة فى دول أخرى كان ظهر عندنا بفضل الشركات الاستعمارية، فهؤلاء تابعين.. طائعين.. لا يقولون «لا»، لو كنا هادنا الاستعمار لكنا الآن نسكن فى قصور، ولكننا كنا نناضل من أجل إثبات الذات، ومن أجل التحرر، ومن أجل ذلك عانينا.. وقاسينا، وبالتالى لابد أن نتحمل، ولقد تحملنا الكثير، وكنا سعداء بهذه الإنجازات، كنا نكافح، والعملاء والخونة والمرتزقة يشككون فينا، لقد كانت غلطتنا الوحيدة الحقيقية، هى أننا لم ننفذ المبدأ الأول للثورة بكل أبعاده، وهو القضاء على الاستعمار و«أعوانه» من الخونة فى الداخل، وأى إجراء قامت به الثورة كان فيه الرحمة والاعتدال والإنسانية، وليس كما حدث فى ثورات فرنسا وروسيا والصين وغيرهم.. وأمامك ثورة إيران، عندما قامت قالت «نحن قمنا ونفذنا كل مانادت به ثورة ٢٣ يوليو المصرية، وكنا متوقعين أن مصر ستكون سنداً لنا».. فهذه الثورة استفادت من ثورتنا، ومع ذلك دفعتها القوى الاستعمارية فى حرب استمرت ثمانى سنوات، ليصلوا لنفس النتيجة، إيقافاً لأى مد ثورى أو احتوائه، وخاصة فى العالم الإسلامى.



●● يقال سيدى النائب إن الشركات التى آلت إلى الدولة بمقتضى التأميم تحقق خسائر فادحة، فماذا تقول فى ذلك؟

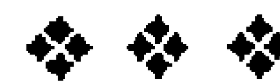
ـ هذه الشركات كانت ناجحة طوال فترة الثورة، ويجب أن تعلم أن وجود قطاع عام فى ظل انفتاح يكتب له الموت فوراً، ولكن قطاع عام فى ظل نظام

اشتراكى.. يضمن تكافؤ الأسعار مع المرتبات، ويعمل على بناء الدولة فى مرحلة لم يكن يقف معنا فيها أحد، ولكن تعمل انفتاحاً ليدخل الفيضان ويغرق ماهو موجود، ثم تضعه بلا ضوابط فى ظروف لا تمكنه من أن يقف على قدميه بعد ذلك نريده أن ينجح؟.. مستحيل.



●● سيادة النائب.. هل هناك اشتراكية إسلامية؟

- سألنى أحد الصحفيين من قبل هذا السؤال فى الستينيات، وكانت إجابتى أنه ليست هناك اشتراكية إسلامية، ولكن هناك إسلام يحتوى الاشتراكية، وفى نفس الوقت لاتستطيع الاشتراكية أن تحتوى الإسلام، إذ أن الإسلام له منهجه، وله أسلوبه فى تحقيق العدل الاجتماعى.



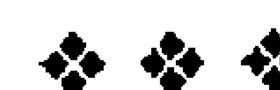
●● ولكن هناك حديث نبوى. ولا أعلم مدى صحته. جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نام أحد المسلمين جوعاً فلا مال لأحد»، وإذا سلمنا بصحة هذا الحديث نجد أن الإسلام أوسع نطاقاً من الاشتراكية، وأن الاشتراكية نظام نشأ فى أحضان الإسلام، ونسبه الماركسيون إليهم؟

- أنا لا أحب أن يوضع الإسلام تحت أى مسمى آخر، لأن الإسلام من عند الله، وأى مسمى آخر من عند البشر، والمسمى الذى نزل من عند الله يجب ألا يخضع لأى لافتة أخرى.



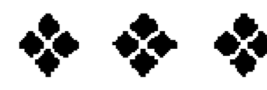
●● وهل فى تطبيق الاشتراكية تعارض مع الإسلام؟

- هناك تعارض.. لأن للإسلام منهجاً خاصاً، وهو زرع الإيمان بالأخلاقيات التى تضمن تحقيق العدالة الاجتماعية، فالضمير يمليه الخُلُق الإسلامى، وهو الوسيلة الضامنة للاستمرار، وللذاتية فى نفس الوقت.



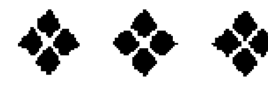
●● هل يمكن أن نقول إن الاشتراكية لم تستمر فى مصر لأنها لم تستند إلى الإسلام؟

- لم يكن هناك إجبار على إعطاء صدقات، بحيث تتوازن الدخول فى المجتمع، ولكن هناك ضوابط أخرى، فكون أن الإسلام حارب الذين امتنعوا عن دفع الزكاة فى عهد أبى بكر، فذلك لأن بها نصاً سماوياً من عند الله، ولأن هذا حق، ومن يمتنع عن أداء هذا الواجب الذى هو حق الضعفاء فيجب أن يحارب من أجل أن تضع الإسلام موضع التنفيذ، لكن لاتجرد الناس من أموالهم من أجل أن تستطيع السيطرة عليهم.



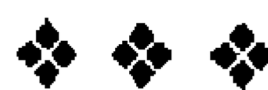
●● إذن لماذا لم يكتب للتجربة الاشتراكية فى مصر الاستمرار؟

- هذا موضوع طويل، وأسبابه متعددة، والحديث فيها طويل.



●● قال جمال عبدالناصر بعد النكسة، وبعد بيان ٣٠ مارس: «كنا نطبق الاشتراكية بدون اشتراكيين».. وهذا يعنى أحد أمرين: إما أن القائمين على أمر تنفيذ الاشتراكية لم يكونوا مقتنعين بها، أو أنهم لم يستوعبوا التجربة جيداً، فهل كان فى عدم استمرار المسيرة الاشتراكية خلل من نوع ما فى التطبيق؟

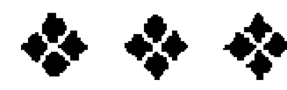
- كل هذه المحاولات، وكل هذه التجارب، تبلور المجرى النهائى لسير الأحداث، بأبعادها التاريخية، والفكرية، والحضارية، وهذه المحاولات تشق الطريق، وفى النهاية فإن مايحدد مجرى النهر هو الاستمرارية فى الاتجاه حتى يتحدد المجرى، وهذا الجهد ليس بالسهل، ويتطلب الاستمرار مع الدفع المستمر، لكن ذلك لم يحدث.



●● هل هناك عوامل داخلية، أو أسباب خارجية تدخلت لوقف المسيرة الاشتراكية؟

ـ كان هناك جانبان: جانب يمثل أمثلة حية وموجودة فى الواقع، تؤكد أن الاشتراكية كونت قوة كبرى ودولة عظمى مثل الاتحاد السوفيتى، وهذا المثل فى واقع الحياة له ردود فعل على أى إنسان يريد أن يتقدم ببلده، فهذه التجربة تفرض شعاعها وردود الفعل بالنسبة لها.

وكان هناك جانب آخر يرفض أى شىء من الخارج طالما المياه عندنا، والمصدر الإلهى عندنا، ولكن كيف تحركه؟.. هذه هى القضية الثانية، فأنت تريد أن تأخذ التجارب التى حققت نجاحاً ملموساً، ولكن فى نفس الوقت تريد أن تتمسك بما هو أعظم من تراثك الأصلى غير المتحقق، وهناك بدأت الأفكار تتصادم، فهذا يريد أن يغزوك بفكر خارجى، وأنت واقعك فى مجال الدفاع عن الذات والدفاع عن كيانك تقبل شيئاً وتتردد فى قبول شىء آخر، إلى أن تتضح الأمور، ثم إنه لم يكن قد مر على التجربة الاشتراكية فى روسيا ٤٠ عاماً، ورغم مرور ٧٠ سنة عليها حتى الآن، ورغم نجاحها إلا أن ٧٠ سنة مدة عاجزة عن تحديد المسار النهائى أمام تجربة استمرت ١٤ قرناً من الزمان (يقصد الإسلام)، وكونها فى حالة انحسار الآن، فلأن المستعمر شعر خطرها وتجمع حولها، لدرجة جعلت حتى بعض العناصر المسلمة تتحلل من داخلها، وآثرت أن تكون خاضعة إلى حين، ولكن هذا الخضوع بدأ يخلق ردود فعل جديدة، ردود فعل إيجابية لاستعادة مافات، وإرجاع المجد القديم، لأنه منهج مبنى على أساس وضعه رسول الله ﷺ، هذا الأساس المتين لن يستطيع أحد أن يغيره، لأنه قبل كل شىء موحى به من عند الله سبحانه وتعالى.

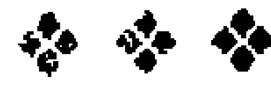


●● سيدى النائب.. يقال إنه فى خضم القرارات الاشتراكية، والتأميم، وما تبع ذلك من تنظيم لجان ولجان، ضاعت مجوهرات أسرة محمد على، والقائلون بهذا الكلام يقصدون أن اللجان التى شكلتها حكومة الثورة «نهبت» هذه المجوهرات.. فما هى الحقيقة؟

- إلى الذين يقولون هذا الكلام.. أريد أن أسأل:

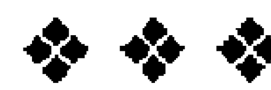
هل قام أحد بتفتيش حقائب الملك فاروق وهو خارج من مصر؟

وهل قال له حد خذا كذا ولا تأخذ كذا؟.. لقد تركنا له الفرصة من يوم ٢٣ إلى يوم ٢٦ يوليو عام ١٩٥٢ ليأخذ مايريده، ولم يتدخل أحل بأى صورة، وغادر البلاد فى المركب «الحرية» دون تفتيش، ودائماً حينما يريد أحد أن يحمل، فيحمل ماخف وزنه وغلا ثمنه، ونحن بالرغم من أنه كان من حقنا تفتيشه فلم نفتش حقائبه، بالرغم من أن هناك ثورات أخرى أعدمت الأنظمة القديمة، ولو فعلنا ذلك فلن يكون هناك شخص يفتح فمه ويقول مجوهرات أسرة محمد على، نحن لم نفتش حقائب فاروق كرماً وأدباً منا، وهذا أعطى الفرصة «لهواة النباح» بأن يتطاولوا على الثورة، ويقولوا أين مجوهرات أسرة محمد على؟، ولم يسألوا أنفسهم كيف كان يعيش فاروق فى أوروبا، وبهذا المستوى من البذخ؟ من اللى نهبه، سواء من الأرصدة التى كانت موجودة بالخارج، أو مما أخذه معه وهو مطرود من البلاد.



●● سيدى النائب.. لماذا ارتبطت التجربة الاشتراكية فى مصر بعدم تعدد الأحزاب، واكتفت بإنشاء حزب واحد أو تنظيم سياسى واحد فقط، هو نفسه التنظيم القائم على أمر السلطة؟

- لو كنا عملنا حزبين، لأخذ أحدهما أوامره من أمريكا، ولأخذ الآخر أوامره من روسيا، ولكننا أنشأنا تنظيم «تحالف قوى الشعب» وهذه الصيغة كانت الوسيلة الوحدة لإخراج شعبنا من مرحلة العظام الخضراء أو العظام اللينة، والتى يصعب عليهم فيها مواجهة الخارج بمؤامراته، ومع ذلك وفى ظل التنظيم الواحد تم الاستقطاب عن طريق الأفراد، فما بالك لو كان الاستقطاب تم عن طريق الأحزاب.



الفصل السادس

المؤامرة الكبرى
الحرب..
والصراع على السلطة

- شاهدت مؤامرة ١٩٦٧ منذ فتح الستار، وأنا فى مطار فايد صبيحة يوم المعركة، وبصحبتى الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق.

- ماحدث فى يوم ١٩٦٧ كان خيانة ومؤامرة كبرى، اتفقت عليها الأطراف، واستدرج فيها من استدرج، وجاز الأمرعلى السذّج.

- الشرق والغرب اتفقا معاً على عبدالناصر سنة ١٩٦٧.

- أطالب بتحقيق فى وقائع ٦٧ لكشف أبعاد الخيانة وأسماء من تورطوا فيها ليعرف الشعب الحقيقة.

- عبدالناصر لم يحقق، لأنه عزم على تكريس كل جهده للمعركة، ورفع الشعار المعروف «لاصوت يعلو فوق صوت المعركة».

- حرب ١٩٦٧ كان المقصود منها إسقاط جمال عبدالناصر كخطوة لإسقاط المد الثورى.

- من حق شعب مصر أن يعرف الذين تورطوا فى مؤامرة ٦٧ لكى يستعيد ثقته فى نفسه، وفى جيشه، والوثائق كلها موجودة.

- نريد أن نعرف من الذى أخفى المعلومات عن دخول قوات إسرائيل إلى الجبهة المصرية فجر الخامس من يونيو ١٩٦٧.

- عبدالحكيم عامر كان يمثل ضغطاً على جمال عبدالناصر

- بقاء عبدالحكيم عامر ١٤ عاماً فى قيادة القوات المسلحة، كان مرجعه إحساس عبدالناصر بأن عامر لا يستطيع أن يكون الرجل الأول فى أى عمل.

● كان غرض عبدالناصر من تشكيل مجلس الرئاسة، هو وضع حد لسلطات عامر داخل الجيش.

● قلت لعبدالناصر إذا لم تنحِّ عامر فستدفع البلاد ثمناً غالياً وستندم.

● أنور السادات «اتحزم» ورقص أمام زفة عبدالحكيم عامر وبرلنتى عبدالحميد.

● عبدالحكيم عامر انتحر أمامنا فى منزل جمال عبدالناصر.

هناك نظرية تقول بأن: «التاريخ يعيد نفسه».

وماحدث لثورة عرابى سنة ١٨٨٢، حدث لثورة عبدالناصر بعدها بسبعين عاماً، فمصر غير كل دول المنطقة.. هى المستهدفة دائماص من القوى الكبرى لموقعها الجغرافى الذى تحسد عليه.

وحينما قامت الثورة العرابية فى مصر بزعامة أحمد عرابى، نجحت فى تشكيل وزارة وطنية برئاسة محمود سامى البارودى، وتم تعيين أحمد عرابى وزيراً للحربية والبحرية فيها، وأخذت الثورة الجديدة على عاتقها مطالب الجيش والشعب، ولقبت بوزارة الشعب، أو «وزارة الثورة» وأصبح عرابى زعيماً شعبياً مرموقاً.

وبينما كانت وزارة الثورة تعمل جادة على تنفيذ الإصلاحات اللازمة، وتصويب مسار البلاد، عز على إنجلترا أن تنعم مصر بهذا الحكم الوطنى الدستورى، فأخذت فى تدبير المؤامرات لعرابى وثورته، وكان أهم هذه المؤامرات هو ماعرف باسم «مؤامرة الشراكسة» التى كانت تهدف إلى اغتيال أحمد عرابى، وتم اكتشاف المؤامرة فى أبريل سنة ١٨٨٢، وتم القبض على المتآمرين، وحكم عليهم المجلس العسكرى بالنفى إلى أقاصى السودان، ولكن عندما رُفع الحكم إلى الخديوى رفض التصديق عليه، وكان ذلك بإيعاز - بل بأمر - من إنجلترا وفرنسا، فاشتد الخلاف بين الخديوى وبين حكومة الثورة، ووجدت إنجلترا - وكانت القوة العظمى وقتها - فرصتها للتدخل بحجة أن الوضع أصبح خطراً على الرعايا الأجانب(!!).

ورغم ماكان معروفاً عن العداء المتأصل بين القوتين الكبيرتين فى ذلك

الوقت، إلا أنهما اجتمعتا واتفقتا ـ لأول مرة ـ على أحمد عرابى، فأرسلت الدولتان أسطولاً حربياً مشتركاً إلى مياه الإسكندرية فى يوم ١٩ مايو عام ١٨٨٢، ثم توالت الأحداث.. انسحب الأسطول الفرنسى وترك الأمر للإنجليز، وبدأ الأسطول الأنجليزى فى ضرب مدينة الإسكندرية بدءًا من يوم ١١ يوليو ١٨٨٢، حتى تمكنت قواته من النزول إلى مدينة الإسكندرية، فاستمات أهلها فى الدفاع عنها، مما أجبر الإنجليز على التقهقر جنوب الإسكندرية عند «كفر الدوار»، وهناك قابلهم عرابى بجيشه، فهزمهم عرابى وردهم على أعقابهم، فتحرك الإنجليز شرقاً تجاه بورسعيد، فى الوقت الذى عزم فيه عرابى على ردم قناة السويس حتى لا تدخل أساطيلهم منها، إلا أن ديليسبس أكد له أنه من المستحيل أن يدخلوا القناة، ولأنه كان متواطئاً معهم، دخل الإنجليز القناة، ونزلت قواتهم فى مدينة الإسماعيلية يوم ٢١ أغسطس ١٨٨٢، ثم كانت موقعة «التل الكبير» التى تجلت فيها الخيانة بأقبح وجوهها، وأبشع صورها، من قبل كبار الضباط والأعيان والأعراب، فهزم أحمد عرابى، وماتت ثورته فى نفس العام الذى وُلدت فيه، ودخل الإنجليز مصر، وظلوا جاثمين على صدرها لمدة ٧٠ عاماً، حتى جاء عبدالناصر وطردهم، ودار التاريخ دورة جديدة، بمعطيات جديدة، ولكن تبقى الثوابت.

قام عبدالناصر بثورته عام ١٩٥٢، وعز على أمريكا أن تنعم مصر بهذه القيادة الوطنية المخلصة، وهكذا بدأت فى تدبير المؤامرات الشديدة الإتقان للقضاء عليه، وكانت أولى المؤامرات للتخلص منه جسدياً عام ١٩٥٤ على يد الإخوان المسلمين فى الإسكندرية، ثم موقف أمريكا المتعنت من قرار تأميم قناة السويس، ذلك الموقف الذى دفع بالعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، ثم كان خندق الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، ليتم الانفصال المدروس فى عام ١٩٦١، لتبدأ فى نفس العام تباشير حرب اليمن التى استدرجت إليها مصر ونزفت فيها ما نزفت.

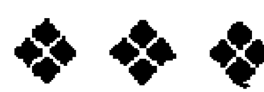
ورغم كل هذه المؤامرات فقد استمرت مسيرة الثورة العظيمة.. قيادة.. وشعباً.. وإنجازات.. وانتصارات..

فلما تأكد للعالم أن ثورة يوليو أكبر بكثير من أن تحتويها إحدى القوى، وأصبحت تشير مسيرتها وتؤكد على ظهور قوة عالمية كبيرة من بين دول العالم الثالث، هنا اتفق الشرق والغرب معاً، وكانت مؤامرة ٦٧ التى أصابت عبدالناصر والمسيرة الثورية فى مقتل.

●● سيدى النائب.. هل تذكر أين كنت يوم ٥ يونيو ١٩٦٧؟

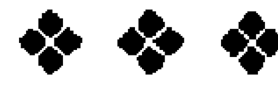
ـ كنت بداخل المعركة، وشاهدت المعركة من «موقع شهيد» كتبت له الحياة، لأكون شاهداً على أكبر عملية خيانة، لقد كنت يومها فى زيارة لمطار فايد، بصحبة وفد عراقى برئاسة الفريق طاهر يحيى رئيس وزراء العراق، وكان ابنه «ملازم طيار» فى مطار فايد، وكنت فى سماء فايد فوق المطار تماماً حينما كانت الساعة تشير إلى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة صباحاً، وقبل أن تهبط بنا الطائرة التى كانت تقلنى ومعى الفريق طاهر يحيى، فوجئت بثلاث طائرات حربية، ظننت للوهلة الأولى أنها طائرات مصرية جاءت لتحيتنا، فإذا بها طائرات إسرائيلية، ونجحت فى أن تضرب الطائرة التى كانت خلفنا، واستشهد أغلب طاقم الحراسة الخاص بى، وبمجرد أن هبطت طائرتنا اختبأنا خلف ساتر يحمينا، كانت الطائرات الإسرائيلية تأتى في شكل مجموعات ثلاثية ورباعية تضرب طائراتنا وهى رابضة عى أرض المطار دون أن يتحرك أحد، كانت طائراتنا متراصة بالمطار الجناح فى الجناح.. جاهزة، وأفراد طاقمها جاهزون.. ولكن لم يتحرك أحد، وكانت القذائف الإسرائيلية تنفجر على بعد أجزاء من المتر بجوارى، وغيرت موقعى أكثر من مرة، وتمكنت ومعى طاهر يحيى من رؤية كل شىء منذ بدء العدوان، ولأشد ما أذهلنى أن جندياً مصرياً رفع مدفعه الرشاش وهم بإطلاق رصاصه على الطائرات الإسرائيلية التى كانت تحلق على ارتفاع أمتار من الأرض، فإذا بضابط برتبة رائد ينهر هذا الجندى، ويحول بينه وبين إطلاقه لرصاص مدفعه الصغير قائلاً له: «احنا ماعندناش أوامر بالضرب»!!

والغريب أن أنور السادات هو الذى حدد لى موعد هذه الزيارة بالدقيقة!!



●● لسيادتكم مقولة مشهورة أمام طلاب جامعة أسيوط عام ١٩٧٢، وهى أن حرب ١٩٦٧ كانت «خيانة ومؤامرة كبرى، اتفقت عليها الأطراف، واستدرج فيها من استدرج، وجاز الأمر على السذج».. فعلى أى أساس كانت هذه المقولة؟

ـ أنا فعلاً قلت هذا الكلام عام ١٩٧٢ فى جامعة أسيوط لأول مرة، ولكنى شعرت به وأنا فى مطار فايد صباح ٥ يونيو ١٩٦٧، ورأيت مارأيته، وقد تأكدت من ذلك بعد محاكمات مكتب المشير، كانت الخيانة من الطيران والدفاع الجوى والصاعقة، وهؤلاء كانوا مرتبطين بعبدالحكيم عامر ارتباطاً شديداً، لأنه من السذاجة وغير المعقول، أن تضرب المطارات والطائرات مرصوصة الجناح فى الجناح دون أى حركة منها، بالتأكيد كان هناك اتفاق للوصول إلى هذه النتيجة فى ٥ يونيو، ليحدث التغيير من الشرق إلى الغرب، ولم يكن ذلك ممكناً إلا إذا خسر عبدالناصر المعركة.



●● وعلى أى أساس قلت إنها مؤامرة، وإنها خيانة؟

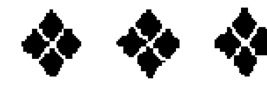
ـ كلامى هذا لم يأت من فراغ، بل تأسس على مشاهداتى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بمطار فايد، وأكد هذا المعنى محاكمات مكتب المشير، وبعدما انكشفت المؤامرة[١] فى ٢٥ أغسطس عام ١٩٦٧، وتمت محاكمات ١٩٦٨، ومصر دائماً لاتؤخذ إلا بالخيانة والتآمر، فمثلاً ـ كما ذكرت أنت ـ فى أيام عرابى حينما استنجد

(١) كانت مؤامرة المشير عبدالحكيم عامر وأعوانه تهدف إلى الاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة، ولو أدى ذلك إلى قلب نظام الحكم، وحدد لها المشير يوم ٢٧ أغسطس ١٩٦٧ لبدء تحركاته، والتى كان بمقتضاها سيتحرك إلى مكان تجمع الصاعقة فى أنشاص، ثم إلى القيادة الشرقية فى منطقة القناة لتكون قاعدة له، ومن هناك يعلن تنصيب نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة من جديد، ويتقدم بمطالبه لرئيس الجمهورية، فإذا لم يستجب له الرئيس، تتحرك قواته للاستيلاء على القاهرة لفرض مطالبه بالقوة.

وتم وضع الخطة «جونسون» بناء على تعليمات الرئيس جمال عبدالناصر بواسطة كل من شعراوى جمعة وزير الداخلية، وسامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات، وأمين هويدى وزير الحربية، وتم تنفيذ الخطة يوم ٢٥ أغسطس، واعتقال المتآمرين، وتقديمهم لمحكمة الثورة التى كان رئيسها السيد حسين الشافعى.

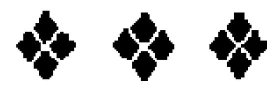
الخديوى بالقوات الإنجليزية، انهزمت أمام عرابى فى كفر الدوار، فلجأوا إلى التآمر والخيانة، فهزموا عرابى فى التل الكبير عام ١٨٨٢ ودخلوا مصر.

ولذلك كان أول هدف لثورة يوليو، هو استئصال الأسرة المالكة، لأنها كانت بؤرة الخيانة فى مصر، فهى التى استدعت الإنجليز لكى تُحمى بهم، ولذلك فنحن كنا نعتبر الملك مجرد موظف إنجليزى بدرجة «ملك»، والاستعمار كانت تسانده الأحزاب التى كانت تمثل شكل الديمقراطية، وليبدو من خلالها أن هناك حرية، ولكن حقيقة الأمر أن الكل كان يأتمر بأوامر الإنجليز، حتى حزب الوفد، انتهى به الأمر سنة ١٩٤٢، حينما تأكد للإنجليز أنه هو الوسيلة التى بها يستطيعون السيطرة على الموقف بعد تقدم روميل إلى العلمين، وعلى هذا الأساس لم يكن من السهل أن ينالوا من ثورة ٢٣ يوليو إلا من خلال الخيانة والتآمر.



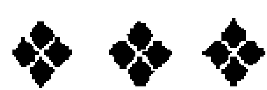
●● «اتفقت فيها الأطراف».. من هم هؤلاء الأطراف؟

- الشرق والغرب معاً.. فهما المنتصران فى الحرب العالمية، وإذا كان هناك موقف يضر بأحد الطرفين، يتفقا على مساواته فيما بينهما، مثلما حدث بين إنجلترا وفرنسا حينما كانوا يتنافسون على مصر، إلى أن أبرموا الاتفاق الودى بينهما، وعلى أساسه تركوا حرية التصرف فى المغرب العربى لفرنسا، وتركوا لإنجلترا حرية التصرف فى مصر، وسمى ذلك بالاتفاق الودى الذى تم فى سنة ١٩٠٤، وما حدث فى ٦٧ كان اتفاقاً ودياً بين القوى الكبرى، لينهوا به الوضع الذى كان مسبباً لهم قلقاً فى الوضع الذى استقروا عليه، وخلق فكراً جديداً، ونظاماً جديداً.



●● «واستدرج فيها من استدرج».. من الذى استدرج؟

- أنا هنا أطالب بتحقيق لإثبات من تورطوا فى هذه الخيانة.



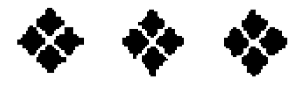
●● ألم يجر تحقيق فى ذلك؟

- التحقيق الذى أجرى كان بشأن المؤامرة على السلطة من مكتب المشير، لكن لم يحقق أحد فى الخيانة، والأحداث التى عشتها من خلال المحاكمات أكدت لى أن ماحدث لم يكن ليحدث إلا بوجود خيانة.



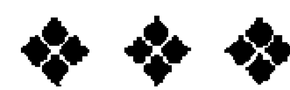
●● وماهى أبعاد هذه الخيانة أو المؤامرة؟

- أبعاد الخيانة ومن شارك فيها تقتضى تحقيقاً، فالتآمر عملية تكون غير واضحة المعالم، لأنها من أفعال المخابرات المحكمة، ولا تستطيع أن تشير بإصبع الاتهام بسهولة إلا بعد ما تحقق تحقيقاً تفصيلياً.



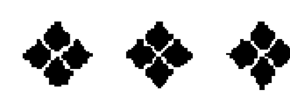
●● ولماذا لم يحقق جمال عبدالناصر فى ذلك؟

- جمال عبدالناصر لم يحقق لأنه عزم على تكريس كل جهده للمعركة، ولذلك قال: «لاصوت يعلو فوق صوت المعركة»، بمعنى أنه إذا كان هناك كلام على خيانة أو غيره، فهذا ليس وقته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو لكى يقطع دابر كل هذا الكلام قال: «أنا المسئول»، وأعلن استعداده للتنحى، ثم قال: «سقطت دولة المخابرات»، ودولة المخابرات تم محاكمتها لتطهير الصفوف، ولم شمل الدولة لتأكيد وحدتها.



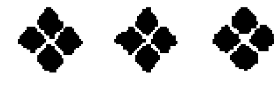
●● إذا كنا قد وصلنا إلى أن حرب ١٩٦٧ كانت مؤامرة..
فهل كان المقصود منها مصر؟ أم كان المقصود منها عبدالناصر؟

- كان المقصود منها إسقاط جمال عبدالناصر، وبالتالى خطوة لإسقاط المد الثورى.



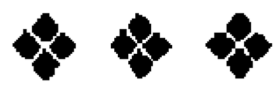
●● الفترة التى خاضت فيها مصر المعركة كانت غير مناسبة تماماً للخوض فى حروب، ومع ذلك قام عامر بطلب سحب قوات الطوارىء الدولية من على الحدود، ثم قام بعمل تعبئة عامة فى شهر مايو ٦٧، ثم قام باستعراض وحدات الجيش وهى ذاهبة للجبهة فى تلك الأيام فى أهم شوارع القاهرة نهاراً...؟!!

- كل هذه التساؤلات يجب أن تطرح فى التحقيق الذى يجب أن يجرى، لكى يستعيد شعب مصر ثقته فى جيشه، وفى نفسه، وفى أمته.. لابد أن يتم هذا التحقيق.



●● ولكن مرت سنوات طويلة على المعركة، فهل ترى جدوى من التحقيق؟

- هذه جرائم حرب لاتسقط مع الزمن، وهى مستقبل أوطان، ولا يهمنا الأفراد، فهم زائلون، وشعب مصر من حقه أن يستعيد ثقته بنفسه، ولكى يسترشد بهذه التجربة حتى لايؤخذ مرة أخرى بالخيانة، والوثائق كلها موجودة، فلابد من التحقيق.



●● هل هناك وقائع معينة بالذات ترى ضرورة أن يتم التحقيق فيها؟

- كثير.. كثير جداً.. الإشارة التى أرسلها عبدالمنعم رياض من الأردن ولم تصل مصر، وكانت تفيد بأن هناك تحركات إسرائيلية على الجبهة ليلة المعركة.. من الذى أخفى المعلومات عن دخول قوات إسرائيل فجر ٥ يونيو إلى الجبهة المصرية؟.. أنور السادات كان يريد التخلص منى بأى طريقة، ولذلك رتب لى زيارة مطار فايد فى نفس التوقيت الذى كان يتم فيه ضربه بالثانية، وهو فى هذه

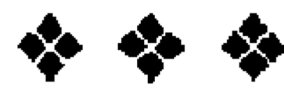
الفترة لم يكن قد تولى منصب النائب، لكنه كان مقبلاً على التحالف مع من يهمه ألا أكون متواجداً على الساحة، وكادت خطته أن تنجح فى قتلى لولا إرادة الله، رغم أن أفراد طاقم حرسى مات أغلبهم.. وقائع كثيرة ثابتة فى الوثائق، ومن حق الشعب أن يتم التحقيق فيها ليعرف من الذى خان بلده.



●● هل كان عبدالحكيم عامر يمثل ضغطاً على جمال عبدالناصر؟

- القوات المسلحة دائماً ممكن أن تكون مجال ضغط، ودائماً وأبداً ستظل القوات المسلحة مجال ضغط، فالجيش هو القوة الأساسية، وكان الجيش بالنسبة لنا يمثل «حزب الثورة»، والفصل بين الجيش والعمل السياسى فى مثل هذه الظروف يحتاج إلى وقت طويل، وأحياناً يكون الفصل سبباً فى مأساة، ويؤدى إلى تقويض النظام، فمثلاً خالد بن الوليد كان قوة عسكرية لاتهزم، ومع ذلك فإن القوة السياسية لعمر بن الخطاب، وخوفاً من أن يفتن المسلمون فى شخص خالد، ويقال إنه هو سبب النصر، وينسون أن النصر من عند الله العزيز الحكيم، نحّى عمر قائداً ممتازاً، حتى لايفتن الناس فى شخصه.

وعبدالحكيم عامر كان فعلاً يمثل مركز ضغط على عبدالناصر، على الأقل من وجهة النظر السياسية لجمال عبدالناصر.

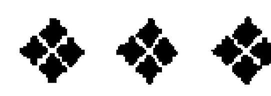


●● عبدالحكيم عامر كان فى سنة ١٩٥٣ ضابطاً برتبة رائد، فرقى إلى لواء، ثم فريق، ثم مشير، ثم قائداً عاماً للقوات المسلحة، ثم أصبح نائباً للقائد الأعلى فى عام ١٩٦٢.. فما تفسير ذلك؟

- كان تأمين الثورة فى نظر جمال عبدالناصر يتطلب أن يقود الجيش أحد رجالها، واختياره لعبدالحكيم عامر كان يرجع لسببين: الأول هو صداقته به،

والثانى إحساس عبدالناصر بأن عبدالحكيم لايقدر أن يكون الرجل الأول فى أى عمل، فذلك أعطى له الاطمئنان بأنه لن ينقلب عليه، وقد حدثت فى حرب ١٩٥٦ أخطاء عسكرية جسيمة لاتغتفر، وأصر مجلس الثورة بالإجماع على أن يحاكم المخطئون، ويضع كل شىء فى نطاقه، إلا أنه لم يحاكم أحد.

ولذلك فمنذ ذلك الحين كان عبدالحكيم قد بدأ يتحصن ويتحوصل، إلى أن أصبح يشكل فى نفس جمال عبدالناصر إحساساً بأنه لن يقدر على اتخاذ قرار بالنسبة لعبدالحكيم عامر.



●● فى سنة ١٩٦٢ قام عبدالناصر بتشكيل مجلس الرئاسة للحد من سلطات عبدالحكيم عامر، لكن الأمر انقلب لصالح عامر، فأصبح بعده نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة.. فما هى الظروف والملابسات التى واكبت ذلك القرار، وكيف خرج عامر من تلك الأزمة فارساً؟

- مجلس الرئاسة كان الهدف منه فعلاً أن يحد عبدالناصر من سلطات عبدالحكيم عامر داخل الجيش، وفى نفس الوقت يدمج عبدالحكيم مع باقى أعضاء مجلس الثورة فى مجلس الرئاسة، ووضع أول اختبار لهذا المجلس أن يعيد النظر فى قانون الخدمة والترقى بالنسبة لضباط الجيش، لكى لاينفرد عامر بكل القرارات بالنسبة للترقيات التى تتجاوز رتبة قائد كتيبة، وكذلك قيادات التشكيلات.

وفتحت المناقشة فى الموضوع، وكان هناك من طلب أن يتم تأجيل مناقشة الموضوع، لكن أغلب الأعضاء اعترضوا على التأجيل، على أساس أن المناقشة فتحت، ومشروع القانون كان مقدماً من جمال عبدالناصر، وقدمه عبدالناصر كبالون اختبار، ولما أخذنا التصويت على مشروع القانون، كان هناك سبعة ضد التأجيل، وخمسة وافقوا على التأجيل.

وإذا بعبدالحكيم عامر يترك الجلسة، واعتبر أن ماحدث لطمة سياسية له، وذهب إلى منزله واعتصم هناك، وفجر أزمة كبيرة.

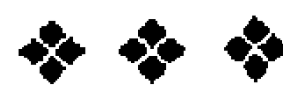
فذهبنا إلى جمال عبدالناصر فى منزله، واجتمعنا هناك، وإذا بجمال عبدالناصر ينفتح فى الكلام لمدة ثلاث ساعات ونصف متواصلة، وكان كمن يلف حول نفسه، وظل يحسب عدد القوات التى معه، والقوات التى مع عبدالحكيم، وكان فى حالة أذهلتنى، فهذه هى أول مرة كنت أرى فيها جمال عبدالناصر بهذا الشكل، ولذلك كتبت له خطاب، قلت له فيه: «لقد أفزعنى وأقلقنى أن أرى جمال عبدالناصر وهو لا يستطيع أن يتخذ القرار، لقد تعودت أن أراه القادر على اتخاذ القرار، وأنا بخطابى هذا لا أستعديك على عبدالحكيم عامر، وأنا أعلم مايربطك به من عاطفة وأخوة، ولكن يجب أن تعلم أن الجيش معك، والشعب معك، فلا تتردد فى اتخاذ القرار».

وكنت أتساءل: لماذا لايستطيع عبدالناصر أن يتخذ القرار؟ (قرار إقصاء عامر)، وكانت الإجابة هى، أن جمال عبدالناصر لايستطيع أن يتخذ قراراً ضد نفسه، لأنه كان يتصور أنه هو وعبدالحكيم عامر شىء واحد، ولكن حقيقة الأمر أن عامر كان شيئاً مختلفاً تماماً عن عبدالناصر، وقلت لعبدالناصر أيضاً «إنك إذا لم تتخذ القرار فستدفع البلاد ثمناً غالياً وستندم».



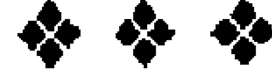
●● خلصنا إلى أن أنور السادات لم يكن مصرياً خالصاً، وأنه كان عميلاً.. فهل كان عامر كذلك؟

- عبدالحكيم عامر، وصلاح نصر، وشمس بدران، كانوا يريدون أن يؤكدوا أنهم هم القوة الحقيقية، وعبدالناصر كان لايشك فى إخلاصهم له، فعبدالحكيم كان مثله مثل زعيم القبيلة الذى يجد ذاته فى حماية من معه، بغض النظر عن طالب الحماية.



●● استعراض عضلات؟

ـ مجرد حمايته لأناس لجأوا إليه، كان ذلك يمثل بالنسبة له إشباعاً لرغبة بداخله.



●● هل كان عبدالناصر على علم بانحرافات عبدالحكيم الشخصية؟

ـ يحتمل نعم.. ويحتمل لا..

يحتمل «نعم» لأنه من غير المعقول ألا تصل لجمال عبدالناصر هذه المعلومات.

ويحتمل «لا» لأن المخابرات التى من المفروض أن تمده بالمعلومات كانت متورطة فى المؤامرة، لأنه ثبت بعد ذلك أن مجموعة صلاح نصر كانت متورطة فى مؤامرة مكتب المشير، كما ثبت فى المحاكمات.

حتى زواج عبدالحكيم عامر من برلنتى عبدالحميد لم نكن ندرى عنه شيئاً، والذى اكتشفت ذلك بالصدفة هو الاتحاد الاشتراكى، لأنه كتنظيم سياسى متواجد فى كل مكان عرف أن المشير تزوج من برلنتى، وبعد ذلك وصلت لنا التفاصيل، وعرفنا أن أنور السادات «اتحزم» ورقص لهم أمام الزفة.



●● سيدى النائب.. أول أن أسمع من سيادتكم تفاصيل ماجرى للمشير ليلة ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ بمنزل عبدالناصر وكيف مات المشير؟

ـ عبدالحكيم انتحر أمامنا.. والقصة تبدأ من يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٦٧، اتصل بنا مكتب الرئيس وطلبنا، وهناك أطلعنا جمال عبدالناصر على معلومات ما وصلت إليه تفيد بأن هناك تآمر بهدف الوثوب على السلطة من القوات المسلحة، وتم الاتفاق بيننا على أن نواجه عامر باكر (يوم ٢٥ أغسطس).

ودعا عبدالناصر، عبدالحكيم عامر، الذى تصور أن عبدالناصر يدعوه لمصالحته، وأنه سيعيده إلى مركزه.

وأنا أذكر أننى قلت لجمال عبدالناصر إن عبدالحكيم لو عاد إلى موقعه، فإن ذلك فى غير صالح البلاد، فاسمه أصبح مرتبطاً بهزيمة كبرى، وأبعادها خطيرة جداً، ورجوعه غلط، وإذا رجع فأنا مستقيل.

وإحساسى هذا كان إحساساً سياسياً، وليس شخصياً، لأن عودة عامر ستكون شيئاً مثيراً للشعب وطبعاً الذين حوله كانوا يريدون رجوعه، وبأى طريقة، حتى ولو بالقوة، يعنى بمؤامرة وبانقلاب.

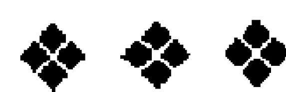
وواجهنا عامر بما علمناه يوم ٢٥ أغسطس فى منزل جمال عبدالناصر، وكان هذا أصعب موقف واجهناه، فنحن جميعاً كنا زملاء كفاح.. وزملاء ثورة،.. ونضطر للوقوف هكذا؟!.. كان هذا اليوم هو «أثقل» يوم مر فى حياتى، والمفروض أن تتحدد إقامة عبدالحكيم خارج بيته، لأن بيته كان مخزن سلاح، وكان هناك كثير من أتباعه لاجئين إليه، وتمت المفاوضات حتى تم إخلاء بيته ممن كانوا فيه، ومن الأسلحة التى كانت مخزنة.

فى هذه الأثناء توجه عبدالحكيم إلى الحمام، ثم سمعنا صوت كوب ينكسر، وعاد عبدالحكيم وهو يقول: «أنا ريحتكم.. أنا تعاطيت سيانيد».

فتأثرت جداً، وصعدت إلى جمال عبدالناصر، وكان قد صعد لغرفته لينام، وكان فى حالة أصعب ماتكون عليه، وحينما قلت له إن عبدالحكيم قد تعاطى «سماً» لم يعلق بشىء.

فنزلت مسرعاً واستدعيت طبيباً أعطى له حقنة تحت مقاومة شديدة منه، وفى النهاية - وكان الفجر طلع - صحبته أنا وزكريا محيى الدين وأوصلناه لمنزله.

ولم أره بعد ذلك، ثم توفى بعدها بأسبوعين، فهو فى تصورى كان قد تناول نسبة من السيانيد بهدف عمل لعبة أو مناورة.. لكنه مات فيها.. الله يرحمه.



الفصل السابع

أحداث ما بعد ٦٧

- إعادة البناء.
- السادات نائباً.
- رحيل الزعيم.

- هزيمة ١٩٦٧ كانت هى العملية الجراحية اللازمة لانفصال الجيش عن العمل السياسى.

- عبدالناصر قام بأعظم إنجازاته بعد هزيمة ١٩٦٧.

- قرار عبدالناصر بتهجير سكان مدن قناة السويس كان هو القرار الحقيقى للحرب.

- المحافظة على النصر تقتضى أن نتعلم كيف نبذل، وما كان النصر ليتحقق بالخيارات الساذجة، أو بالتبعية الذليلة، أو بالتفريط فى الإرادة إيثاراً للسلامة.

- لم يكن هناك مجال فى هذه المرحلة للاستحياء، أو للمجاملة، أو للمساومة، أو لأنصاف الحلول، وبقدر ماكانت ٦٧ هزيمة، بقدر مادفعت فى النفوس الهمة والعزيمة والتصميم.

- وقفة الشعب إزاء خطاب التنحى أسقطت الهدف الذى كان يسعى إليه المتآمرون وأعوانهم.

- لم يكن أمام عبدالناصر من سبيل لإكمال مهمته فى إعادة بناء القوات المسلحة، أو استكمال بناء حائط الصواريخ، إلا أن يقبل مبادرة روجرز لكى يتم البناء.

- وقائع قضية مكتب المشير ستظل هى المحور الأساسى الذى يمكن من خلال تحليله، الوقوف على الثغرات ونقط الضعف التى اعترضت طريق الثورة.

- إعادة البناء فى الداخل لم تشغل عبدالناصر عن القضايا المصيرية للأمة العربية، وآخر أيام عبدالناصر افناها فى بحث أوضاع الفلسطينيين بالأردن.

- اعترضت على علاج جمال عبدالناصر فى روسيا، لأنه المفروض كرئيس دولة يجب أن يعالج فى بلده.

- قال لى رئيس وزراء الصين: «كان عندكم رجل ثروة ولم تستطيعوا أن تحافظوا عليه».

- أتحدى أن توجد صورة لأنور السادات وهو يحلف يمين تنصيبه نائباً لرئيس الجمهورية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩.

- مجموعة على صبرى هنأت نفسها بالأحضان والقبلات فى المطار فور سماعهم نبأ تعيين السادات نائباً للرئيس.

- رغم أن الأعمار بيد الله، إلا أن تداعى الأحداث تؤكد أن عبدالناصر مات مقتولاً.

- على صبرى وأنور السادات تمارضا قبل سير جنازة عبدالناصر ولم يسيرا فيها.

لكل جواد كبوة..

ولكل لسان ذلة..

ولكل عالم هفوة..

ولكل حكيم شطحة..

ولكل حارس غفلة..

ولكل شاطر وقعة..

ولكل عزيز صفعة..

ولكل فارس سهم..

ولكل بطل حفرة..

ولكل شجاع رجفة..

ولكل أسد صياد..

ولكل.. ولكل ولكل....

تكثر الأعذار وقتما نريد، وتنعدم وقتما نريد، ونخلع الألقاب على من نريد، ونسقطها من على من نريد أيضاً.

ومع ذلك تلقى جمال عبدالناصر الطعنة «القاتلة» فى صدره يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، ولم يلتمس الأعذار، وضع يده على جرحه وقال أمام العالم «أنا المسئول»، ولما هبت الجماهير العربية تتشبث به، بقى الرجل فى موقعه تكليفاً لا تشريفاً، رغم أن الطعنة التى تلقاها كانت فى مقتل، وسمها يستشرى فى جسده يوماً بعد يوم.. ويبدأ العد التنازلى فى عمره.. إلا أن الرجل صمد صمود الثائرين، نسخة حية من هرم جده خوفو..

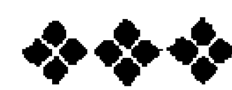
وقال «لاصوت يعلو فوق صوت المعركة»، وقال «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة»، وأعلن المعركة الحقيقية.

وسجل التاريخ للجنود المصريين أعظم البطولات فى التاريخ، تلك التى خاضوها إبان حرب الاستنزاف، فكل يوم كان هناك عبور للقناة، وكل يوم كانت هناك خسائر فى جيش العدو.. وحسبه فخراً ماقام به رجاله بأسلحتهم المتواضعة حينما شطروا المدمرة إيلات لتغوص فى قاع البحر خلال دقائق.. وحسبه ضرب ميناء إيلات، ومعارك لسان بور توفيق، وكبريت، وجزيرة شدوان..

حسبه فخراً ماقامت به مخابراته حينما دمرت الحفار كيتنج بميناء أبيدجان بساحل العاج، والذى كان فى الطريق لإسرائيل كى تستخدمه فى البحث عن البترول بخليج السويس.

حسبه فخراً بناء قواعد الصواريخ.. والمطارات الحربية الحديثة.. والطرق الممهدة لأماكن العمليات.. والمخزون الاستراتيجى لكل متطلبات المعركة..

أى جهد بذله.. وأى مكابدة كابدها.. فلقد استصلح، وحرث، وروى، ثم بذر، ونبت مابذره، ولما اطمأن قلبه.. مات مطمئناً، وإذا بالوارث يبيع الزرع بثماره، ويؤجر الأرض لمن يريدها.. وكان عقد الإجيار مؤبداً.. موثقاً.. حافلاً بالشروط الجزائية.. حتى إذا مافكر الحفيد فى إلغائه أو الإخلال ببنوده.. سيصير عقد انتقال ملكية!!



بهذا الفصل نكون قد وصلنا مع السيد حسين الشافعى فى حواراتنا معه، إلى آخر قرارات عبدالناصر، وآخر أيامه.

ويوضح لنا السيد حسين الشافعى الظروف والملابسات التى تم فيها تعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية، ولماذا قبل عبدالناصر مبادرة روجرز، وكيف وجهها لصالح مصر.

●● سيادة النائب.. أود أن يبدأ حديثى هنا أيضاً بما قلته عام ١٩٧٢ أمام طلبة جامعة اسيوط وهو أن «جمال عبدالناصر مات عام ١٩٦٧، ولكنه تشبث بالحياة ليسدل انسحابه منها عام ١٩٧٠».. فعلى أى أساس قلت هذا الكلام؟

- الله سبحانه وتعالى يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، فالموت هنا ليس بمعنى الموت، ولكنه الانتقال إلى مرحلة أكبر كان سببها حجم الهزيمة، وما أحدثته من صدمة تؤدى إلى الصدق مع النفس.

لذلك قلت هذا الكلام فى مستهل حديثى مع الطلبة فى جامعة أسيوط الذين دعونى للحديث معهم بعد ما انقضى عام ١٩٧١، والذى كان السادات قد أطلق عليه «عام الحسم» انقضى بدون حسم، ولما لم يتم الحسم قامت المظاهرات الطلابية، لأنهم كانوا يدركون مرارة الهزيمة والمعاناة التى كنا نعيشها كشعب يأبى الهزيمة، إلى أن تستعيد البلد تحركها فى الاتجاه الذى يرد لها اعتبارها، ويرد لها شرفها.

فى وسط هذه الظروف وجه طلبة الجامعة دعوة لى للحديث معهم، فأخذت القطار المتجه لأسيوط، وعندما نزلت فى محطة أسيوط كان فى انتظارى المحافظ ورئيس الجامعة ورئيس اتحاد الطلاب وعدد من الطلبة، وحينما دخلت الجامعة لفت نظرى طابور من الطلبة يحمل كل منهم صينية السرفيس لصرف وجبة الغداء، فأخذت أنا الآخر صينية وصرفت وجبة لى وجلست بينهم، وبدأنا نتحاور، وسألونى متى نسترد أرضنا واعتبارنا؟ فقلت لهم ليس قبل خمس

سنوات، وكانوا يشعرون أن مدة خمس سنوات طويلة، ولكنها مدة بناء وإعادة تأسيس، وتتطلب الجهد وتوحيد الصفوف.

فالثورة إذا كانت قد قامت سنة ١٩٥٢، فإن سنة ١٩٦٧ كانت وقفة مع النفس يجب أن تقفها الدولة لدراسة الأوضاع كما ينبغى أن تكون عليه فى ظل هذا الوضع، فالجيش فرض كعامل أساسى فى السياسة سنة ١٩٥٢، إلا أنك تريده أن يبتعد عن السياسة، وتريده أن يلتزم بواجبه المقدس، وهو التخصص فى عملية الدفاع عن البلد، وكان ذلك يتطلب إخراج الجيش من السياسة.

هذا الإخراج كان فى حاجة إلى عملية جراحية، وهذه العملية الجراحية كانت حرب ١٩٦٧.

ولذلك عندما وقفت فى أسيوط سنة ١٩٧٢، وجدت أنه إذا كان الكلام قبل ١٩٦٧ له مقاييس، فإنه بعد ١٩٦٧ يكون له مقاييس أخرى أدق، ويكون الكلام فى الصميم، بحيث يحدث الأثر المطلوب، وهو إعادة البناء بكل ماتملك الدولة من طاقات.

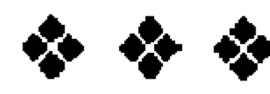
وهذا يجعلنى أتذكر أنه بعد ١٩٦٧ مباشرة، قالت الناس - وكان هذا مطلباً شعبياً - بضرورة العودة إلى الله، لماذا؟ لأن هذا أكبر مصدر قوة إذا أردت أن تواجه عدوك، فكأن المولى يقول أعد ماالديك من قوة لتستطيع أن تواجه عدوك الذى يدعى باسم الدين أنه يحتل هذه الأرض، ولكنه باسم العنصرية يحتل هذه الأرض، ويريد أن يفكك هذه المنطقة، التى مفتاحها هو الإسلام.

نعود إلى أسيوط، عندما واجهت الناس هناك قلت لهم:

«هذه أول مرة أحضر هنا فى أسيوط بعد وفاة جمال عبدالناصر، ومن حق هذا الرجل ونحن فى البلد الذى أنبته، أن نذكر ما أنجزه خلال خمسة عشر عاماً، وما أنجزه لايقع تحت حصر، ولكن لن يذكر له التاريخ فى كل ما أنجزه إلا أنه بثورة ٢٣ يوليو، استطاع أن يحرك واقع المنطقة العربية كلها، وهو مات فى سنة ١٩٦٧، ولكنه تشبث بالحياة ليسدل منها فى سنة ١٩٧٠، وفى هذه المرحلة خاض عبدالناصر أعظم معاركه، عندما أعاد بناء الجيش، وأقام حائط الصواريخ، وبدأ حرب الاستنزاف... فلما شعر بالأمان مات مطمئناً».

وفعلاً.. كان قرار عبدالناصر بتهجير سكان مدن القناة عام ١٩٦٨، كان هو القرار الحقيقى للحرب التى تمت فى سنة ١٩٧٣.. فحرب ١٩٧٣ بدأت فى واقع الأمر يوم تهجير أهل مدن القناة، ولا أحد يعلم حجم الجهد الذى بذل وراء تهجير هذه الأعداد..

ولكنها الحرب.. ومن يريد أن ينتصر ينبغى له أن يعرف أن للانتصار تكاليفه وأعباءه، والمحافظة على النصر تقتضى أن نتعلم كيف نبذل، وماكان النصر ليتحقق بالاختيارات الساذجة، أو بالتبعية الذليلة، أو بالتفريط فى الإرادة إيثاراً للسلامة، التى هى فتنة، والفتنة أشد من القتل.



●● وفتح السيد حسين الشافعى أواق مذكراته الخاصة.. وبدأ يقرأ:

- «إن الجيش الذى قامت الثورة منه وبه اعتباراً من ٢٦ يوليو ١٩٥٢، وهو اليوم الذى تنازل فيه الملك فاروق عن العرش، وغادر البلاد قبل غروب شمس هذا اليوم، أصبح منذ هذا اليوم له دور سياسى، يضاف إلى دوره الطبيعى كمؤسسة عسكرية لها تخصص، ولها اختصاص يحتاج إلى تفرغ.

إن الانتقال بالقوات المسلحة من الاعتبار السياسى الذى فرضه نجاح الثورة إلى الوضع الطبيعى لها، لم يكن من المهام السهلة، وقد أخذ عدة مراحل، وكانت حرب ١٩٦٧، هى «العملية الجراحية» الفاصلة التى وضعت نهاية لهذا التداخل.

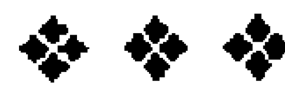
كانت لحظة المراجعة، ووقفة الصدق مع النفس التى لايصح فيها إلا الصحيح، سبحانه يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى.

لم يكن هناك مجال فى هذه المرحلة للاستحياء، أو للمجاملة، أو للمساومة، أو لأنصاف الحلول.. فبقدر ماكانت ١٩٦٧ هزيمة.. بقدر مادفعت فى النفوس الهمة والعزيمة والتصميم.

ورفعت الشعار الذى أعلنته عام ١٩٥٣، وعلق باسمى على كوبرى قصر النيل، والذى يقول:

«إن عدوكم على استعداد للتسليم بقدر مافى نفوسكم من تصميم».

ولم أشعر منذ بداية الثورة بهذا الشعور الذى شعرت به بعد سنة ١٩٦٧.. فالمرارة التى كانت تنتابنا كانت كالنار تذيب الحديد بصلابته، وأزالت الغشاوة من على أعيننا، وحررت القلب والنفس، فأصبحت أكثر انطلاقاً وصفاءً.. لا تقيدها حساسيات، ولا تحول دون اندفاعها أية اعتبارات وشكليات تراكمت مع الأيام، فتجددت فى النفس ثورياتها، وسقطت الحواجز، وانفكت القيود، وعاشت الأمة وقد أيقظتها الصدمة، فى صراع نفسى ومعنوى هائل، لكنها حزمت أمرها متشبثة بالقائد، على الرغم من حجم الهزيمة، بعد ما استمعت إلى خطاب التنحى الذى كان بمثابة استفتاء عام، وطرح للثقة، وتجديد للعزم، فأسقط الشعب بوقفته هذه الهدف الأول الذى كان يسعى المتآمرون وأعوانهم إليه، وهو إسقاط جمال عبدالناصر ونظامه، الذى أصبح وجوده واستمراره وتجديد روح الثورة هو العدو الحقيقى الذى يهدد مصالح الشرق والغرب معاً».



●● هل شهدت لحظات خطاب التنحى فى منزل جمال عبدالناصر؟

- اخترقت سيارتى بصعوبة شديدة حشود مئات الآلاف التى جاءت تبايعه حول منزله، وبمساعدة كتيبة الحرس استطعت أن أخترق الصفوف وأصل إليه.

وجدته يقف كالأسد الجريح ومعه كل المجموعة من رجال الثورة، فشددت على يده وقلت له: «شد حيلك ياريس.. اعتبر نفسك بتقوم بثورة جديدة»، فقال لى: «بعد ١٥ سنة غلب جاى تقول لى ثورة جديدة!».

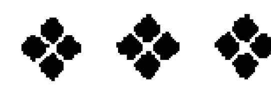
لكنه فعلاً قام بثورة ثانية بعد ٦٧ وحقق فيها أعظم إنجازاته.



●● قام عبدالناصر بأمجد معاركه ـ كما تقول ـ بعد حرب ١٩٦٧، فأعاد بناء الجيش، وبدأ حرب الاستنزاف، التى أعادت للمقاتل المصرى ثقته بنفسه، وأقام حائط

الصواريخ، ومع ذلك قبل مبادرة أو مشروع روجرز رغم روحه الحماسية فى خوض المعركة.. فلماذا قبلها رغم أن قبولها كان يعنى استسلاماً منه؟

ـ مبادرة روجرز لم تزد شيئاً عن مشروع أيزنهاور الذى تقدم به الرئيس الأمريكى سنة ١٩٥٧ لملء الفراغ[1]، ولكن هذه المرة كانت لاحتواء حرب الاستنزاف، وللقضاء عليه، لأن إنهاء حرب الاستنزاف كانت مطلباً إسرائيلياً، ولم يكن أمام عبدالناصر من سبيل لإكمال مهمته فى إعادة بناء القوات المسلحة واستكمال بناء حائط الصواريخ، إلا أن يقبل هذه المبادرة لكى يتسنى له أن يتم البناء، حتى يستطيع أن يدخل المعركة وهو على أرض ثابتة.



●● ثلاثة لاءات كان يشهرها عبدالناصر فى وجه الصهاينة: «لا مفاوضات.. لا صلح.. لا اعتراف بإسرائيل»، ومع ذلك قبل مبادرة روجرز السلامية، فهل يعد قبول عبدالناصر للمبادرة استسلاماً؟ بمعنى: هل خسر عبدالناصر بقبوله للمبادرة أية خسائر على أى مستوى؟

ـ لم تفقد مبادرة روجرز من رصيد عبدالناصر شيئاً، لأنه كان هناك ثقة فى عبدالناصر، وفى نضاله وتاريخه الشخصى، فلو كان هناك أحد غير جمال عبدالناصر لايتمتع بما كان يتمتع به جمال عبدالناصر من رصيد نضالى، لما كانت تقبل منه.

ولكن بالنسبة لعبدالناصر فالأمر مختلف، فقبول مبادرة روجرز كان فى

---

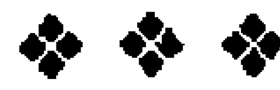
(١) أعلن مشروع أيزنهاور فى ٥ يناير سنة ١٩٥٧، ويتلخص فى عرض معونات عسكرية واقتصادية لمن ترغب من دول الشرق الأوسط، وهذه المعونات مشروطة بالانحياز إلى جانب الكتلة الغربية ضد الشيوعية الدولية، وكان هذا المشروع فى نظر رئيس الولايات المتحدة سداً للفراغ فى منطقة الشرق الأوسط بعد انهيار حلف بغداد وبعد تقلص نفوذ الإنجليز والفرنسيين، وحتى يكون حائلاً دون غزو الشيوعية لهذه المنطقة الحساسة من العالم.
وقد كان فى مقدمة الدول التى رفضته مصر وسوريا.

ظاهره بمثابة تسليم، ولكن الحقيقة هى مانقرأه فى الآية الكريمة: ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾(٢)، فعبدالناصر اغتنم هذه الفرصة، ووجهها لصالح مصر وجيشها، وبالفعل استطاع خلال هذه الفترة تعديل وتغيير أوضاع الجيش إلى الأفضل والأحسن، وأتم إنشاء حائط الصواريخ.

فالفرق شاسع جداً بين ماقام به عبدالناصر بعد الهزيمة، وما قام به السادات بعد النصر، فما قام به السادات من أفعال كانت بمثابة إجهاض لما قام به عبدالناصر.

●● مثل ماذا؟

- حسبه أنه كان بيده النصر الذى صنعته قواتنا المسلحة، ثم استسلم وسلم فى السياسية.. وسلم فى سيادة البلد.. وسلم فى الإرادة.. وفى النضال.. وتخلى عن المبادىء الثورية التى قامت من أجلها الثورة.



●● هل نستطيع أن نقول إن قبول عبدالناصر لمبادرة روجرز كان مناورة سياسية منه، حقق من ورائها مصالح ملموسة للبلد؟

- لا.. ليست مناورة، ولكنها كانت تكتيكاً..

وأذكر هنا أن عبدالناصر كان وقتها فى روسيا، وعندما عاد فوجىء بأن أنور السادات أعلن فى تصريح له أن مصر ترفض المبادرة، لأنه كان متصوراً أن ذلك هو الخط الطبيعى الذى سيسلكه عبدالناصر.

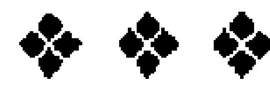
لكن الظروف السياسية هى التى اقتضت أن يقبل جمال عبدالناصر هذه المبادرة، فذلك كان يعنى مزيداً من الإعداد للحرب، ومزيداً من الإعداد للقدرات القتالية للقوات المسلحة، ويكفيه أن مصر استطاعت خلال هذه الفترة أن تتم بناء قواعد الصواريخ، وبناء هذه القواعد كان عملاً من الضخامة بحيث يحتاج لأن تكتب عنه مجلدات، فبناء هذه القواعد كان ملحمة كفاح يجب أن تخلد، ويجب

---

(٢) سورة الأنفال - آية ١٦.. والمتحرف معناه المائل مظهراً الخوف أو الهزيمة على سبيل الخداع.

أن نتذكر كيف عانى رجالنا وهم يشيدون هذه القواعد، التى كانت تضرب أولاً بأول بفعل غارات الطيران الإسرائيلى، كان الرجال يعملون تحت ضوء القمر، كانوا يستخدمون هياكل خشبية للتمويه.. آلاف الضحايا استشهدوا خلال بناء هذه القواعد، خسائر مادية تكبدوها، كل ذلك استطعنا تلافيه بعد إعلان عبدالناصر قبوله المبادرة.

وحائط الصواريخ الذى أقامه جمال عبدالناصر على القناة كان يسبب الرعب لإسرائيل، وأذكر هنا أن أول شىء طلبه موشى ديان بعد انتهاء معركة ١٩٧٣ هو إعادة افتتاح قناة السويس للملاحة، وإعادة تسكين مدن القناة بسكانها المهجرين، لأنه بعدما تعود الناس لمدن المواجهة من شأنه أن يحقق الأمن لهم، فلو تجرأنا وقمنا بأى عمل عسكرى يستطيع أن يهدم كل ما بنيناه بسهولة.



●● فى تلك الفترة شهدت مصر محاكمات رجال مكتب المشير، وشمس بدران، وصلاح نصر، وعباس رضوان، وكنت رئيساً لمحكمة الثورة التى حاكمت هؤلاء. والسؤال: هل أعادت محكمة الثورة الأمور لنصابها؟ وهل كان صلاح نصر بهذه البشاعة التى صورها أحد الكتب المتداولة؟(*)

- محكمة الثورة أعادت الأمور لنصابها، وقامت بتحقيق هدفها وتطهير الصفوف.

●● ويفتح السيد حسين الشافعى نوتة مذكراته ويقرأ:

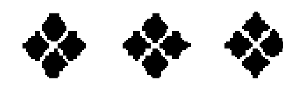
- «إن محكمة الثورة التى انعقدت عام ١٩٦٨، والتى كان مشكلة برئاستى، وعضوية كل من الفريق محمد عبدالنعم رياض، والفريق محمد على عبدالكريم،

(*) كنا نقصد كتاباً صدر عام ١٩٨٧ لإحدى الراقصات التى كان يلجأ إليها جهاز المخابرات فى بعض العمليات التى تتطلبها ظروف خاصة مثلما هو الحال فى جميع أجهزة الاستخبارات العالمية.

ثم أعيد تشكيلها بعد استبعاد الفريق عبدالمنعم رياض لانشغاله بإعادة بناء القوات المسلحة، ليصبح تشكيلها كالآتى:

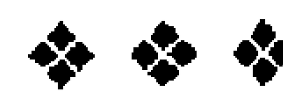
حسين الشافعى رئيساً، والفريق محمد على عبدالكريم عضو يمين، واللواء سليمان مظهر عضو يسار، وذلك للنظر فى قضية تآمر جماعة المشير عامر للعودة إلى الصفوف، وقضية انحراف المخابرات، والقضية الثالثة كانت لاتهام بعض أفراد جهاز المخابرات العامة بتعذيب الأستاذ عبدالمنعم الشرقاوى المحامى.

والقضية رقم واحد، والخاصة بتآمر مكتب المشير، كانت وستظل فى تقديرى، هى المحور الأساسى والتاريخى، الذى يمكن من خلال تحليله الوقوف على الثغرات، ونقط الضعف التى اعترضت طريق الثورة، والتى كان الصراع على السلطة يأتى على رأسها، هذا الصراع الذى كان يتخفى وراء الصلة والصداقة التى تربط جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر، لم يظهر على السطح إلا فى أعقاب انفصال سوريا عن مصر فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١.



●● ويغلق السيد حسين الشافعى نوتة مذكراته، ويعلق على صلاح نصر قائلاً:

- صلاح نصر كان ضابطاً ممتازاً، ولقد أدى خلال قيادته لجهاز المخابرات العامة أعمالاً جليلة، ولكن نحن بشر، وقد تحدث بعض الانحرافات فى مرحلة ضعف بشرى، لكنه قبل كل شىء كان أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة، وكان قائداً للكتيبة ١٣ تحت قيادتى مباشرة فى حصار قصر المنتزه، يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢، ومعظم ماقيل عنه مدسوس علينا من أعدائنا.



●● هل كانت أحكام المحكمة معدة سلفاً قبل صدورها أم صدرت منك بصفتك قاضياً ملتزماً بما لديك من وقائع؟

ـ قيل ذلك فعلاً.. قيل إن الأحكام التى أصدرتها لا حول لى ولا قوة فيها، وأنا قلت إنه لايوجد مخلوق يستطيع أن يطلب منى هذا الطلب، وإذا طُلب منى ذلك فعلاً كنت رفضت رئاسة المحكمة.

وقلت لجمال عبدالناصر تحب أن أعلن الأحكام قبل أن تصدق عليها أم تصدق عليها أولاً، فقال خلى الإعلان بعد التصديق، فارتحت لذلك.

وبعد إصدار الأحكام كان التعليق الوحيد لجمال عبدالناصر هو: «مش ١٦ واحد براءة كتير؟»، فقلت له إن كان هناك مذنب برىء أو أكثر خير من أن يدان برىء واحد مظلوم.

وبعدها ردد البعض أننى كنت أحاكم الثورة ولا أحاكم مجموعة، وكان على رأس من قالوا ذلك أنور السادات لكى يملأ نفسية جمال عبدالناصر من ناحيتى، والغريب أن عدد الذين كانوا يحاكمون ٥٢ فكأن حسين الشافعى كان يحاكم ٥٢.



●● هل شغلت أعمال إعادة البناء بالداخل جمال عبدالناصر عن القضايا العربية، كقضية فلسطين مثلاً؟ وماذا كان رد فعل جمال عبدالناصر إزاء المذابح التى تعرض لها الفلسطينيون فى الأردن عام ١٩٧٠؟

ـ إعادة البناء بالداخل لم تشغل عبدالناصر إطلاقاً عن الاهتمام بالقضايا المصيرية للأمة العربية، وآخر أيامه فى الدنيا قضاها فى مؤتمر القمة العربى الذى دعى إليه لبحث أوضاع الفلسطينيين فى الأردن بعد المذابح التى حدثت هناك.. ولقد عشت بنفسى هذه الأيام مع جمال عبدالناصر.

وأبدأ معك منذ أوائل سبتمبر عام ١٩٧٠، كان جمال عبدالناصر يشعر بإرهاق، وأثناء اتصالى به فى التليفون قال لى إنه مسافر إلى مرسى مطروح، فقلت له بمفردك؟ قال لى: «مش عايز أتعب حد معايا» فقلت له تحب أسافر معاك؟، فقال: «ياريت»..

أخذت معى ابنى أحمد، وهو كان معاه ابنه عبدالحكيم وهو من سن أحمد ابنى، وأخذنا معنا الفريق محمود فوزى، وقضينا هناك مايقرب من أسبوع.

كانت الرحلة بالقطار ذهاباً وإياباً، وفى أثناء الرحلة كان يسأل الفريق فوزى عن مواقع الرادار، ومواقع المدفعية المضادة على طول الطريق من القاهرة لمرسى مطروح، وكان لديه صورة كاملة عن كل التفاصيل، ثم تحدث معنا عن مشروعاته.

تحدث معنا عن مشروع رفع المياه فى النوبارية، والمصارف والترع التى تم شقها لتصل المياه لارتفاع ٢٤ متراً وتصل إلى الهضبة، ويتم زراعة الساحل حتى الضبعة، ورأينا هذه المشاريع أثناء ركوبنا القطار، وهذه المشاريع تركت بعد وفاته مهملة حتى طمستها الرياح.

وخلال إقامتنا بمطروح التقينا بقبائل البدو هناك، كان لهم بعض المطالب، فطلب منى أن أبحثها.

وأثناء رجوعنا نزل هو فى محطة سراى المنتزه، وكانت سيارته فى انتظاره، وعرض علىَّ البقاء معه، إلا أننى تركته ليرتاح وواصلت الرحلة إلى القاهرة.

وبمجرد عودتى للقاهرة إذا بأحداث الأردن[٣] تبدأ، وعلى إثرها تمت الدعوة لمؤتمر القمة الذى كان فى نهايته نهاية جمال عبدالناصر.

كانت جلسات المؤتمر تعقد فى فندق النيل هيلتون، وكان هو رئيس المؤتمر.. كانت إدارته للجلسات حازمة.. كان له وزنه.. وله اعتباره.. وله احترامه.. كان لايطلب أى طلب إلا ويجد استجابة كاملة لكل ما يطلبه دون مناقشة.

واقترح بالنسبة للأوضاع التى كانت تحدث للفلسطينيين فى الأردن، أن يتم تشكيل لجنة بغرض مساعدة الفلسطينيين، وإيقاف نزيف الدم الجارى فى الأردن.

وطلب أن يحضر الملك حسين الذى كان متغيباً، وذهبت أنا مع من ذهبوا للأردن لكى نأتى بالملك حسين وياسر عرفات، وأتينا بياسر عرفات فى طائرة

---

(٣) بدأت أحداث الأردن يوم ١٦ سبتمبر ووصل عدد ضحايا هذه المذابح ١٥ ألف قتيل.

مصرية متخفياً على أنه أحد أعضاء الوفد الكويتى، لأننا عندما وصلنا عمان كان ياسر عرفات فى متاهات، والوضع كان أحرج مايكون عليه، فكنا لكى نتحرك فى عمان، نركب سيارة مصفحة، لأن الرصاص كان يملأ شوارع عمان بصورة عشوائية، بل ضرب علينا الرصاص أكثر من مرة ونحن فى السفارة المصرية هناك.

عندما عدنا كان المؤتمر مستمراً فى اجتماعاته، واقترح جمال عبدالناصر فى جلسة القرارات الأخيرة، أن يتم تشكيل لجنة لمساعدة الفلسطينيين مادياً، واقترح فى نفس الوقت أن يرأس هذه اللجنة الملك؛ فيصل، فقال الملك فيصل بأسلوبه الجميل وبكل رقه: «السيد الرئيس.. يسمح لى بالأخ حسين الشافعى يعاوننى فى هذه المهمة، لأن هذه المسائل الإدارية ليس لى فيها» ووافق الحضور على طلبه.

وبعدما ودعنا الملك فيصل فى المطار، وأثناء عودتى مع عبدالناصر، قال لى: «بضاعتنا ردت إلينا»، فنحن أردنا أن نحملهم المسئولية فردوها علينا، فقلت له: ياريس أنا كفيل بأن أجعل اللجنة فعالة وتحقق غايتها.

وفعلاً.. طلبت جميع السفراء العرب بمصر، وذكرتهم بدعوة المؤتمر، وأن الملك فيصل أصدر بياناً يهيب به الدول للمساعدة، ولكن لا حياة لمن تنادى - وكان جمال عبدالناصر قد انتقل إلى جوار ربه - المهم أننى قلت للسفراء العرب اتصلوا بحكوماتكم وبلغوهم فحوى النداء لكى تصلنا التبرعات التى تمكننا من أداء مهمتنا لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين.

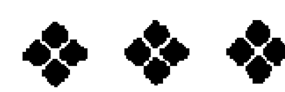
وبعد ١٥ يوماً اجتمعت بهم فلم أجد أبيض ولا أسود، فقلت لهم أنا طلبت منكم أن تتصلوا بحكوماتكم، ولكن مر ١٥ يوم ولم تفعلوا شيئاً، واحنا عندنا قصة منتشرة فى مصر، ملخصها أن واحد من الصعيد كان فى طريقه لزيارة السيد البدوى، فقابله معارفه وأهله عند محطة القطار، وأوصاه أحدهم أن يحضر له حمص، والآخر أوصاه أن يشترى له حلاوة.. وهكذا، ثم أعطى أحدهم له نقوداً وأوصاه أن يشترى لابنه «زمارة»، فرفع الرجل يده ولوح بالنقود أمام من تجمعوا قائلاً «ياجماعة أهو ده ابنه زمر».. وإذا كانت الفلوس مش هاتيجى يبقى اللجنة

مش هاتقدر تقوم بعملها، ونكون قصرنا بالشكل ده فى حق القرار، وحق النداء، وصاحب النداء، وقلت لهم أنا لن أنتظر مجهودكم كسفراء فقط، بل سأشكل لجنة لمواجهة الحكام أنفهسم.

وشكلت فعلاً لجنة برئاسة الدكتور حسن صبرى الخولى، ومعه ممثل لمظنة التحرير، وممثل لحكومة الأردن وممثل للمملكة العربية السعودية، وطلبت منهم أن يتوجهوا للملك فيصل صاحب اللجنة، ويأخذوا منه ماتبرع به، وأعلنت أن مصر تتبرع بمليون جنيه مواد عينية، وتبرع الملك فيصل بمليون ونصف مليون دولار، ثم توالت التبرعات، وتجمع لدينا ٦ مليون دولار نقداً و٦ مليون مساعدات عينية، وكان جمال الصورانى هو مندوب منظمة التحرير فى مصر، كان كلما يحتاج لمبلغ كنت أعطيه له، لأننى كنت المفوض بتحرير الشيكات.

ولكن الغريب أن الملك فيصل كلما كان يزور مصر كان يقول لى لازم نخلص بقى من اللجنة دى، وأنا عندما تركت موقعى سنة ١٩٧٥ كان قد تم صرف ٣ مليون دولار من الستة مليون دولار، والمواد العينية كان قد تم توزيعها بالكامل، لكن إصرار الملك فيصل على أننا ننتهى من اللجنة دى كان غريباً.

وأريد أن أؤكد هنا أن التضامن العربى إذا وجه لحل المشاكل بنية خالصة فلن تكون هناك مشاكل، والتضامن العربى هو أخوف ماتخاف منه الدول الكبرى التى تريد لنا أن نطلب منهم العون باستمرار.



●● فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٩ تم تعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية، وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ مات جمال عبدالناصر بعد تولى السادات منصب النائب بتسعة أشهر.. لماذا لم يعين السادات نائباً ضمن باقى أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين وصلوا إلى درجة نائب قبل عام ١٩٦٣؟ وهل هناك علاقة بين تولى أنور السادات هذا المنصب وبين موت جمال

عبدالناصر؟ وماهى الظروف التى واكبت تعيين أنور السادات نائباً لجمال عبدالنصر؟

- حينما تعين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية، كان جمال عبدالناصر فى طريقه للعلاج فى «سخلطوبو» بروسيا، وكان المفروض أنه كرئيس دولة لايعالج خارج بلده، لأن ذلك فيه خطورة عليه، وأنا لا أتهم أحداً بعينه، ولكن شخصية مثل جمال عبدالناصر كانت ثروة قومية كبرى، ولها وزنها وكان يجب أن يحاط بالرعاية والعناية الكافية داخل بلده كثروة قومية.

وأذكر هنا أننى حينما ذهبت إلى الصين فى سنة ١٩٧٣، قال لى رئيس وزراء الصين: «أنتم كان عندكم رجل ثروة ولم تستطيعوا أن تحافظوا عليه»، وكان يعنى أننا تركنا أمر علاجه خارج مصر، ولأناس قد يتفقوا عليه، لأنه من المتصور جداً أن يتفق الشرق والغرب على التخلص من شخص يقف فى طريقهم كالعقلة فى الزور.

وبالنسبة لظروف تعيين أنور السادات نائباً، فقد كان ذلك فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٩، وهو نفس اليوم الذى سافر فيه جمال عبدالناصر للعلاج فى روسيا، وأنا كنت الوحيد الذى حضر حلف السادات لليمين، وأتحدى أن تكون هناك صورة واحدة لأنور السادات وهو يحلف اليمين، وقد تم ذلك بصورة كما لو كان مفروضاً عليه، مفروضاً بالقوة، لقد حلف أنور السادات اليمين فى منزل عبدالناصر بمنشية البكرى دون حضور أى إنسان غير حسين الشافعى، وكان وقتها عبدالناصر فى شدة الخجل منى، لدرجة أنه توارى حتى لاتقع عيناه فى عينى، لأننى كنت قد فاتحته عام ٦٤ فى تعيين أنور السادات نائباً فاعترض بشدة.

ولكن مادام الشرق والغرب قد اتفقوا، فالإخراج يكون عملية روتينية، ولكنها تكون محبوكة، وأكثر الناس كانوا سعداء بذلك هم على صبرى ومجموعته، الذين كانوا يقبّلون بعضهم فى المطار حينما سمعوا الخبر، وكانت سعادتهم تأتى من اعتقادهم بأنهم سوف يسيطرون على أنور السادات، ويسيّرون المركب تبعاً لرغبتهم، ولكنها انقلبت عليهم.

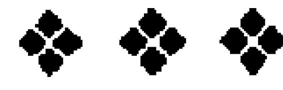


●● هل تشك فى علاج عبدالناصر الذى تم فى روسيا؟ وهل تشك فى موته؟

- رغم أن الأعمار بيد الله، إلا أن ذلك لايمنع من أن نشك فى ذلك، فتداعى الأحداث يؤكد أن عبدالناصر مات مقتولاً، ولكن لو حققت لن تجد دليلاً على ذلك، لأن أجهزة المخابرات مهمتها أن تخفى معالم جرائمها.. وجريمة كبرى مثل التخلص من عبدالناصر كان يجب أن تدبر وتنفذ على أعلى مستوى من الإتقان، بحيث لايدخل الشك فى نفس أى شخص.

والخلاصة أننا لن نجد دليلاً واحداً على أى اتهام من جانبنا لأى طرف.

لكنى دائماً كنت أردد بأن جمال عبدالناصر ستكون نهايته من الخارج، وأنور السادات ستكون نهايته من الداخل، لأن جمال عبدالناصر كان وطنياً، أما السادات فكان عميلاً وخائناً.



●● هل لك تعليق على جنازة جمال عبدالناصر؟

- جنازة جمال عبدالناصر شىء لايمكن أن يتكرر، ولن يحدث له مثيل فى العالم كله، لكن الغريب أنه حينما تحرك جثمانه من مجلس قيادة الثورة حتى وصلنا لكوبرى قصر النيل، إذا بعلى صبرى وأنور السادات يتمارضان ولم يسيرا فى الجنازة، فكل منهما كان يتربص بالآخر، وأنا الوحيد الذى سرت فى الجنازة حتى المستشفى القبطى، والذين ساروا معى من أعضاء مجلس قيادة الثورة كلهم تخلفوا عند آخر الكوبرى، لأن الجنازة سارت منتظمة على الكوبرى حتى مبنى جامعة الدول العربية، وبمجرد أن عبرت الكوبرى كانت الجماهير كالفيضان، ووجدت المنظر وكأنه يوم الحشر، والناس كادوا يختنقون، ولم أجد حولى أحداً من زملائى.. كلهم لجأوا إلى الهيلتون مع الملوك والرؤساء والضيوف، ورأيت الجموع تتجه نحو عربة المدفع التى كانت تقل الجثمان، ووجدت أنهم إذا وصلوا لعربة المدفع فسيموت عبدالحكيم ابن عبدالناصر الذى كان يحتضن جثمان أبيه، وكان النعش محاطاً بكتيبة صاعقة، فرفعت يدى لأعلى مشيراً لأفراد الصاعقة أن يرددوا ورائى «لا إله إلا الله»..

وهكذا رددت الجموع وراءنا الشهادة، وانشغلوا عن الجثمان، وظللنا نردد «لا إله إلا الله» حتى وصلنا إلى المستشفى القبطى بشارع رمسيس، وفى ذلك الوقت كان هناك من يبحث عنى ولم يجدنى، فذهبوا إلى حسن طلعت رئيس المباحث، فأخرج سيارة مدرعة واتجه بها إلى كوبرى الليمون، وعندما هممت أن أركب معه وجدت الناس سيهجمون على الجثمان، ولم أجد مفراً من البقاء حتى جاءت سيارة مدرعة حملت الجثمان واتجهت به إلى المسجد، وكانت درجة الحرارة مرتفعة جداً، فذهبت إلى المنزل مسرعاً، وغيرت ملابسى ثم عدت وحضرت مراسيم دفنه.

رحمة الله عليه...

الفصل الثامن

بطل الثغرة!!
كيف جاء؟..
وكيف حكم؟..
وكيف باع؟

● أقول للذين يأخذون علينا أية سلبيات نحن بشر، وسلبياتنا تتلاشى أمام حجم إنجازاتنا.

● أطفال الحجارة استطاعوا أن يقولوا هناك مايعجز عن قوله أى شخص فى الوطن العربى.

● صمود عبدالناصر بعد ٦٧ دفع القوى الكبرى لأن تفكر فى التخلص منه جسدياً، والإتيان بشخص يمثلهم وينفذ سياساتهم.

● كنت الوحيد الذى اعترض على تعيين أنور السادات رئيساً من بين أعضاء اللجنة المركزية العليا.

● كان كل هم على صبرى ومجموعته الإسراع فى تعيين أنور السادات رئيساً، لأنهم اعتقدوا بما لديهم من تسجيلات ضده أن فى استطاعتهم أن يحتووه.

● ادعى على صبرى للروس فى موسكو أنه الكل فى الكل عند الشعب المصرى، وكانت مفاجأة له أن كل ماقاله كان مسجلاً ووصل عبدالناصر وهو لايزال فى موسكو.

● كان اختيار السادات عضواً بمجلس قيادة الثورة، أحد أسباب الإثارة فى عملية انقلاب المدفعية عام ١٩٥٤.

● بسبب أنور السادات تأخر تحركنا من ليلة ٢١ يوليو إلى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

● اتحاد الجمهوريات العربية كانت فكرة عبدالناصر، وكان يعتزم تحقيقها لولا انقضاء أجله.

- حركة مايو كانت متوقعة من أنور السادات لكى ينفرد بالقرار.. ومن مميزاتها أن مصر تخلصت من مجموعة على صبرى.

- طرد السوفييت كان مبادرة من السادات لإرضاء الأمريكان.

- السادات هو بطل الثغرة وناشئها ومدبرها، والثغرة حدثت بأوامره المباشرة فى تطوير الهجوم خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.

- طلب السادات وقف القتال كان يعنى أنه خسر المعركة.

- انفتاح السادات الاقتصادى تم بلا ضوابط فكان كالفيضان الذى أغرق ما أغرق.

- لم يشركنى السادات فى أى عمل رغم أننى كنت نائبه، وتركنى أذبل لأتساقط كأوراق الخريف.

- عندما أوشك السادات على المرحلة الحاسمة فى الاستسلام كان لابد من خروجى.

- قال لى السادات إذا كنت بأدورع الشّعبية أجيب الإذاعة والتليفزيون وأخبط خطبة تعمل لى شعبية.

- أراد السادات توريطى فى حادث الفنية العسكرية.

- عملت مع السادات من أجل بلدى ولكى تستقر الثورة التى كنت أحد قادتها.. فالسادات لم يأت بى ولكنى صاحب بيت.

- أتحدى أن يكون هناك قرار إقالة أو استقالة تخص حسين الشافعى، وبالتالى فأنا لازلت نائباً لرئيس الجمهورية.

يقول صديقى الدكتور محمد عباس فى مؤلفه العظيم «اغتيال أمة» عن خالد الإسلامبولى: «ذلك البطل المصرى العظيم الذى أنقذ أمة، وغير تاريخاً فى عملية عبقرية لم يشهد لها التاريخ عبر كل أجياله مثيلاً».

ويتحدث الدكتور محمد عباس إلى الصحفيين قائلاً:

«إن مصر كلها مدينة له بالخلاص، وحريتكم (يقصد الصحفيين) اليوم بعضاً يسيراً مما فعله.. لقد كانت مصر وخلفها الأمة العربية والإسلامية كمركبة تهوى من قمة جبل، فكان هو البطل الذى كبح مقودها وأوقف انهيارها، ولعله الأصغر سناء لكنه الأكبر شأناً، والأعلى همة، والأكثر بطولة، والأمضى عزماً، والأعظم تضحية، فلا تنكروه كما أنكر أهل الكوفة الحسين.. وتمضى السنون حتى ندرك قيمته، فنشق الجيوب ونلطم الخدود».

ويقول الدكتور عباس فى شبه رسالة منه للرئيس حسنى مبارك كى يوصلها الصحفيون له:

«إن الذى قاد الطيران المصرى فى حرب أكتوبر باذلاً حياته عن رضا كى يهدى أمته فرصة نصر لابد أن يسمع وجيب القلوب، ويعلم إلام تهفو النفوس.. إننا نعلم أنه منا.. وأن قلبه معنا.. لكننا نرجو الله ألا يكون سيفه علينا..

اسألوه عن شعوره والسادات يبيع نصرنا ونصره..

اسألوه عن شعوره والسادات يسحب الجيش من سيناء..

اسألوه عن شعوره والسادات يضيّع أمة ويذهب إلى إسرائيل..

اسألوه عن شعوره وهو يسمع السادات يكذب فيلوث شرف الأمة وشرف أبطالها.

اسألوه عن شعوره وهو يرى بعض آل السادات لصوصاً ينهبون مصر.

اسألوه عن شعوره وهو يرى حسين الشافعى.. ذلك البطل العظيم المتصوف الذى كان نائباً لرئيس الجمهورية قبله، والذى كان رافضاً لما يفعله السادات، فمنعه تماماً من إبداء رأيه حتى اضطر وهو نائب لرئيس الجمهورية أن يذهب للمساجد يستنهض الهمم لإنقاذ مصر..

اسألوه عن رأيه فيما حاق بمصر من خراب بعد أن تحولت ثروتها إلى جيوب اللصوص والجوارى..

اسألوه عن هضبة الأهرام، وصفقة الأتوبيسات، وصفقة الحديد، ونفق أحمد حمدى، ومشروع الصالحية..

اسألوه عن الانفتاح والانذباح..

اسألوه عما نشرته الصحف الأمريكية من أن السادات كان جاسوساً للمخابرات الأمريكية منذ أوائل الستينيات، وأنه كان يتقاضى مرتباً شهرياً منها..

اسألوه عن دور السادات المشبوه فى حرب ١٩٦٧ وفى موت جمال عبدالناصر..

اسألوه لو لم يكن السادات رئيساً لمصر.. ولو أن المخابرات الأمريكية نصبت رئيساً غيره، فماذا كان يمكن أن يفعل أكثر..

اسألوه عن الجامعة العربية، والمؤتمرالإسلامى، ودول عدم الانحياز..

اسألوه عن جيهان السادات تقبّل كارتر، ويقبّلها بيجن، وبناتها يراقصن خوليوس احتفالاً بذكرى عبدالناصر..

اسألوه عن شعوره والسادات يفكر فى رهن قناة السويس، والانضمام إلى حلف الأطلنطى..

اسألوه عن شعوره إزاء الاستفتاءات المزيفة..

اسألوه عن شعوره تجاه الخطب النابية تجرح أعظم رجال مصر..

اسألوه عن شعوره والسادات يصفق طرباً لإسرائيل وهى تغزو جنوب لبنان وتذبح الفلسطينيين..

اسألوه عن سكان القبور، فإن أنكرهم فعن سكان القصور..

اسألوه عن مصر تذبح..

اسألوه عمن يسبى أمه ويبيعها لمغتصبها، وهى التى غذت آله صغاراً، فرضعوا حراماً، حتى إذا بلغوا فطاماً طاب لهم الحرام مقاماً..

اسألوه عن سليمان الحلبى.. ألو كان قاضيه.. أكان قد قتله..

اسألوه عما أعلمه وتعلمونه.. وعما تعلمونه ولا أعلمه.. وعما يعلمه ولا تعلمونه..

اسألوه.. واسألوه.. واسألوه.. حتى يظهر الحق فيدمغ الباطل فإذا هو زاهق».

وانتهت تساؤلات الدكتور محمد عباس التى طرحها فى مؤلفه «اغتيال أمة» ولعلها قدمت لى وللقارىء أمثل صورة لمصر فى عهد حكم السادات.

وكفى بتلك الصورة لمصر فى عهد السادات، مقدمة لهذا الفصل.

●● سيادة النائب.. يلاحظ أن أنور السادات بزغ نجمه كنائب لرئيس الجمهورية عام ١٩٦٩، وهو نفس العام الذى ظهر فيه جعفر نميرى إثر الانقلاب العسكرى الذى قام به فى السودان.. والسؤال هو: هل هناك علاقة تربط بين الاثنين؟

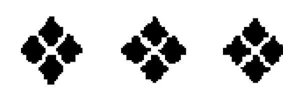
- مع احترامى للسودان كشعب يعتبر امتدادنا الطبيعى.. ولكن لكى لاتكتسب مصر هذا الامتداد الجسدى الطبيعى، فلابد أن يكون هناك تحكم فى تصرفات السودان بالنسبة لمصر، من قبل القوى الكبرى، فإذا كانت مصر قوية، فإن كل المحاولات سيكون هدفها أن تكون مصر فى و اد.. والسودان فى واد مضاد، أما إذا كانت مصر مستسلمة فلا مانع من أن يعم الاستسلام على الجيران أيضاً، ولا يزيد على كونه استمراراً للاستسلام، بمعنى أنه يجب أن ندرك أن الدول الإسلامية، والدول العربية الصغيرة، لايكون لها وزن إلا بالتجمع والاتحاد.

والاستعمار يدرك ذلك جيداً، فمن غير تجمع فإن كل كيان سيكون تابعاً للذى يستمد منه الحماية.. شرقاً كان أو غرباً، وتجاهل هذا الواقع ليس فى مصلحتنا، فالكيانات التى لاتملك إرادتها بيدها تسير فى فلك لاتستطيع أن تتجاوزه.

ومصر هى الدولة الوحيدة التى قامت فى سنة ١٩٥٢ بعمل محاولة للخروج من هذه التبعية، التى كانت مفروضة على هذه الكيانات، ولذلك.. إما أن تنتصر التجربة، وانتصارها يعنى كل القوى الكبرى التى لها مصلحة فى تحديد أفلاك الدول الصغرى، وهذا ليس معناه بالضرورة أن تنجح، ولكن هى محاولة لإثبات

الإرادة، ولذلك كان علينا بعد القيام بالثورة أن نبنى فى الداخل ونجمع من الخارج، فالدعوة إلى عدم الانحياز، والدعوة إلى تحرير الشعوب كان هدفه تكوين عزوة، والبناء بالداخل كان هدفه أن تملك قرارك بيدك، ولا تستدين من أحد، وهو الأمر الذى أزعج الاستعمار وزاد من شراسته، وهذه عملية ليست سهلة، وأصعب مما تتصور.

والذين يأخذون علينا أية سلبيات أقول لهم نحن بشر، ومعرضون للوقوع فى السلبيات، ولكن هذه السلبيات تتلاشى أمام حجم إنجازاتنا، وبكل المقاييس فإن هذه الإنجازات هى التى جعلت للعرب وزناً أمام العالم بأسره، ويكفى أن العرب جميعاً يترحمون على تلك الأيام، التى كان لهم فيها اعتبار وتقدير وثقل دولى، وإنى أتساءل: لماذا حتى هذه اللحظة تعلق صور جمال عبدالناصر فى كل مكان بالدول العربية؟.. لماذا؟ لأنهم لأول مرة وجدوا من يعبر عنهم، وقد يكون التعبير الوحيد عن العرب بعد ثورة ٢٣ يوليو، وعلى نفس خطها، هو انتفاضة الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة، فأطفال الحجارة استطاعوا أن يقولوا هناك مايعجز عن قوله أى شخص فى الوطن العربى، ولذلك فإن هذه الانتفاضة قد أضافت بُعداً جديداً لكافة القيادات العربية، ففرضت عليهم التحرك عن الهدف الحقيقى.



●● تولى أنور السادات منصب النائب فى ظروف غامضة، ومات جمال عبدالناصر فى ظروف هى الأخرى غامضة، وفجأة أصبح أنور السادات رئيساً فى ظروف أكثر غموضاً وغرابة فما هو تعليق سيادتكم على ذلك؟

- الكلام هنا يكون بحساب شديد، لأننى لا أريد أن يقول أحد عنى شيئاً ما، ومع ذلك أستطيع أن أذكر لك أننى فى عام ١٩٦٤ قلت لجمال عبدالناصر «إحنا كلنا كأعضاء مجلس قيادة الثورة حصلنا على درجة نائب ماعدا أخونا أنور.. ليه ماتعملوش نائب؟». فإذا بجمال عبدالناصر يقول لى بالحرف الواحد: «إنت

جرالك إيه ياحسين.. عايزنى أعين واحد زى ده نائب رئيس جمهورية، إنت عايز الناس تاكل وشنا، واللانت ماتعرفش سمعته شكلها إيه فى البلد».(*)

كانت أكبر صدمة للدول الكبرى هى صمود عبدالناصر بعد حرب ١٩٦٧، فقد كان هدفهم هو القضاء على عبدالناصر فى معركتهم التى اتفقوا فيها عليه عام ١٩٦٧، ولما فشلوا فى ذلك راحوا يدبرون للخلاص منه جسدياً، وتنصيب من يمثلهم فى التغيير الذى يريدونه، لأنهم لم يتصوروا أن يصمد عبدالناصر بعد هذه الصدمة النكراء، ولما استمر كان لابد أن يتخلصوا منه، ويأتوا بمن ينفذ لهم سياستهم المتفق عليها..

ويفتح السيد حسين الشافعى نوتة مذكراته ويقرأ:

وبالنسبة لتنصيب أنور السادات رئيساً، فأذكر أنه بعد وفاة جمال عبدالناصر، وفى الجلسة الأولى لاجتماع اللجنة المركزية العليا، أن تكتل جميع أعضائها فيما عدا حسين الشافعى، ومحمود فوزى، وكمال رمزى، وكان هذا التكتل بغرض الإسراع فى تعيين أنورالسادات خليفةً لعبدالناصر، ليكونوا هم الحكام الجدد من خلال الشرعية، وكنت أنا الوحيد الذى واجهت هذا التكتل، وبعد أن تكلم الجميع تأييداً للبيان الذى سبق لهم إعداده من قبل، وقفت فى اجتماع اللجنة المركزية قائلاً:

«وأنا قادم فى طريقى إلى هذه الجلسة، وهى الجلسة الأولى التى نجتمع فيها بعد وفاة جمال عبدالناصر، لم أكن أتصور للحظة واحدة - ولمواجهة الأخطار والفراغ الذى يتطلب تضافر كل الجهود المئه - أن يقتصر جدول الأعمال على الإسراع فى تعيين أنور السادات، وكنت واضعاً فى ذهنى أن الموضوع الذى يجب مناقشته، ولا يجب أن يكون هناك موضوع آخر غيره، هو ضرورة المحافظة على نظام جمال عبدالناصر، وتأكيد استمرار ثورة ٢٣ يوليو، ومن خلال هذا الموضوع ومناقشته قد يكون تعيين الرئيس أحد العوامل، والإسراع أو عدم الإسراع عامل آخر، وينبغى أن يخضع لضرورة المحافظة على نظام جمال عبدالناصر، ويجب أن يصاحب من يقع عليه الاختيار، إعلان عن المنهج والبرنامج ومجموعة المبادىء

(*) أضاف السيد حسين الشافعى فى حواراته التليفزيونية حول هذه النقطة ما نصه: «عبدالناصر قد يكون تعرض لضغط ما، فعين أنور السادات، لكنه لم يضع فى اعتباره الموت».

الأساسية التى يجب الالتزام بها، فإننا لن نختار أحداً لسواد عينيه، ولكن لما يحمله من مبادىء،وما يلتزم به من منهج».

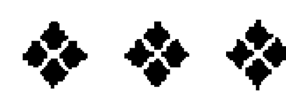
ثم طلب على صبرى الكلمة فقال:

«أنا لا أفهم معنى الإعلان عن المنهج أو البرنامج إذا كنا جميعاً موافقين على تعيين أنور السادات، فليس هناك معنى للإعلان عن البرنامج أو المنهج».

وانتهى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا فى الساعات الأولى من صباح ٢٩ سبتمبر ١٩٧٠، وكل ماقيل بعدها إننى الوحيد المعترض على تعيين أنور السادات رئيساً، ولكن اعتراضى كان اعتراضاً موضوعياً، وليس لأسباب شخصية.

وهناك تعبير أطلقته على رجال الثورة، وهو «هناك من صنعوا الثورة، وهناك من صنعتهم الثورة، أما الذين صنعوا الثورة فهم يحرصون عليها، وأما الذين صنعتهم الثورة فهم حريصون على أنفسهم».. وهذه المقولة قلتها لأول مرة فى تليفزيون السودان حينما كنت مع عبدالناصر فى آخر زيارة له للسودان.

وكان كل الحاضرين فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا من الذين صنعتهم الثورة.

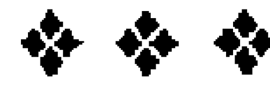


●● ماهو السر فى ترشيح على صبرى ومجموعته لأنور السادات رئيساً ومدى تمسكهم به وتأييدهم له؟

- كان فى تصورهم أنهم يستطيعون أن يحتووه ويسيطروا عليه بالتسجيلات التى كانت فى حوزتهم ضده، لكنهم لم يعرفوا التركيبة الشرعية التى تعجلوا عليها، فتعجلهم فى تنصيب أنور السادات رئيساً، كان بهدف أن يسيطروا على البلد من خلال الشرعية، وعندما استقالوا كان فى تصورهم أن لهم وزناً شعبياً، وأن استقالتهم ستهد الدنيا، وستقوم لها قائمة الشعب المصرى، ولكن الذى حدث أن استقالتهم لم يكن لها أى رد فعل.

وعلى صبرى عندما زار الاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٩، ادعى أمامهم أنه هو الكل فى الكل عند الشعب المصرى، وأنه هو المسيطر على الاتحاد الاشتراكى.. وكانت مفاجأة له أن كل ماقاله كان مسجلاً ووصل لعبدالناصر وهو مازال فى

موسكو(!!!)، وكل مافعله عبدالناصر أن أمر بأن تدخل حقائبه الدائرة الجمركية، ويعامل كمواطن عادى، وكان معه مجموعة حقائب وزنت أطناناً.



●● كان السادات عضواً بالحرس الحديدى الملكى، وعلى علاقة وثيقة بيوسف رشاد[1]، ومع ذلك اخذ وضعاً بارزاً فى تنظيم الضباط الأحرار، ثم أصبح عضواً فى مجلس قيادة الثورة.. ولابد أن نسلم بأن جمال عبدالناصر كان يعلم بذلك.. والسؤال: لماذا قبله عبدالناصر عضواً بتنظيم الضباط الأحرار؟ ولماذا اختاره فى مجلس قيادة الثورة؟

- أنور السادات بعد القضايا التى تعرض لها فى المجال السياسى قبل الثورة أصبح له اسماً، فبعد قضية تجسسه لصالح الألمان سنة ١٩٤٢، ثم قضية مقتل أمين عثمان[2].. أصبح مادة للأخبار، وأصبح ينظر له على أنه يقاوم الاستعمار بصرف النظر عن الأبعاد الحقيقية التى كانت وراء ذلك.

والذين كانوا محتكين بالسادات فى الجيش كانوا يعرفون مداخله جيداً، لدرجة أنهم رفضوا أن يكون السادات عضواً بمجلس قيادة الثورة.

وكانت صلة السادات بيوسف رشاد، وانضمامه للحرس الحديدى الملكى، علامة استفهام كبيرة، ومثار عدم اطمئنان بالنسبة للضباط الأحرار.

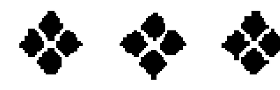
ولما حدثت قضية انقلاب المدفعية سنة ١٩٥٤، كان من ضمن عوامل الإثارة فيها هو الاعتراض على وجود أنور السادات عضواً بمجلس قيادة الثورة، ولذلك كانت قضية المدفعية هى القضية الوحيدة التى نظرها مجلس قيادة الثورة بدون أنور السادات، لأنه كان مكروهاً، وكان موضع استفهام.

---

(١) يوسف رشاد كان طبيب الملك فاروق الخاص، وهو الذى أسس الحرس الحديدى الملكى، وكان أنور السادات وحسن التهامى أعضاء به.

(٢) أمين عثمان كان وزيراً للمالية فى وزارة الوفد قبل الثورة، وكان يجاهر بعلاقته بالإنجليز وعمالته لهم إلى حد التباهى، وله مقولة شهيرة هى «ضرورة عقد زواج كاثوليكى بين مصر وإنجلترا»، وقد اغتاله شاب وطنى مصرى اسمه «حسين توفيق» فى ٥ يناير ١٩٤٦.

وبالنسبة لقبول عبدالناصر له، فعبدالناصر كرئيس للتنظيم كانت له وجهة نظر، وأنا لم أكن موجوداً فى مرحلة وجوده بالجمعية التأسيسية، لكن الأرجح أن عبدالناصر اختاره لكى يستفيد من اتصالاته، لأن السادات كان على علم بكل التنظيمات المتصلة بالملك.



●● تضاربت الأقوال حول دور أنور السادات فى الثورة ليلة بدء التحرك فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فما هو الدور الذى قام به أنور السادات فى ليلة التحرك؟

- لم يقم بأى دور.. إطلاقاً، كل مافعله هو إذاعة البيان فى الصباح بعد أن قمنا بكافة العمليات الأساسية، وهو كان السبب فى تأخير الثورة يوماً، فقد كان عبدالناصر قد قرر أن يتم التحرك ليلة ٢١ يوليو، ولكن بسبب السادات تأخرنا لليلة ٢٢ يوليو.

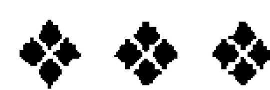
والقصة تبدأ منذ يوم ٢٠ يوليو ١٩٥٢، كنت أتناول غدائى مع ثروت عكاشة فى منزله المواجه لمنزلى بمعسكرات الجيش فى العباسية، وأثناء الغداء دق جرس التليفون، فترك ثروت الغداء وقام يرد على التليفون، وكان المتحدث هو أحمد أبو الفتح زوج شقيقته، وأبلغه أثناء المكالمة أنه حدث تشكيل وزارى جديد، وأن الوزارة الجديدة ستكون برئاسة نجيب الهلالى، وأن حسين سرى عامر سيكون هو وزير الحربية فى الوزارة الجديدة، وحسين سرى عامر كان من أعوان الملك. وكانت عملية تعيينه وزيراً للحربية تعنى القضاء على الضباط الأحرار، فلما تلقينا هذا الخبر، اتجهت أنا وثروت وذهبنا لجمال عبدالناصر فى منزله، وأبلغناه بأمر الوزارة الجديدة، ووزير الحربية الجديد، فاتخذ عبدالناصر قراره بأن يتم التحرك بأسرع مايمكن، لأن وجود حسين سرى عامر معناه عملية تصفية كاملة للضباط الأحرار، وخاصة أن بعض أسمائهم بدأت تلمع بعد انتخابات نادى الضباط، والتى فاز فيها محمد نجيب برئاسة النادى، بفضل مساندة أعضاء التنظيم له، وفعالية عناصرهم فى العملية الانتخابية.

قرر عبدالناصر أن يتم التنفيذ يوم ٢١ يوليو فوراً، وكان أنور السادات مكلفاً بدور بحكم أنه ضابط إشارة، وهو أن يقوم بتعطيل تليفونات القاهرة بحيث تتعذر عملية الاتصال بين الوحدات وبعضها، فتحول هذه العملية دون حدوث عمل مضاد يجهض الثورة، وكان حسن إبراهيم هو المكلف بأن يبلغ أنور السادات ومن معه فى رفح بالحضور إلى القاهرة، وطلب حسن إبراهيم من أنور السادات الحضور والتواجد فى القاهرة يوم ٢١ يوليو، لكنه - أنور السادات - لم يحضر.. فأجل عبدالناصر التحرك يومها بسببه.

وفى الساعة الثانية والنصف من ظهر يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢، كان عبدالناصر قد انتهى من وضع اللمسات الأخيرة فى خطة التحرك، وشاركنا فيها، وكان ذلك فى شقة خالد محيى الدين بشارع فوزى المطيعى بمصر الجديدة، ولم يكن معنا أنور السادات.

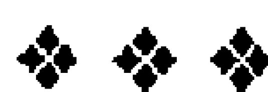
أخيراً حضر أنور فى مساء ذلك اليوم، وبدلاً من المجيء إلينا، ذهب للسينما، وهناك افتعل «خناقة»، وذهب إلى القسم وعمل محضراً ليثبت أنه كان متواجداً فى السينما.

وهذا التصرف له معنيان: فإذا أخذناه بحسن النية نقول إنه حدثت خناقة فعلاً، وإذا أخذناه على المحمل الآخر نقول إنه افتعل الخناقة وعمل المحضر ليكون دليلاً مادياً له يثبت به عدم مشاركته للضباط الأحرار إذا لم تنجح الثورة.



●● وهل قام بتعطيل التليفونات كما كان مطلوباً منه؟

- تمت السيطرة على جميع المرافق، ومداخل الطرق، ومداخل المعسكرات، كل ذلك فى ليلة ٢٢ يوليو بدونه، ولم نعد فى حاجة لتعطيل التليفونات، بل أصبحنا فى حاجة إليها، ولم نخسر شيئاً من عدم تعطليها.



●● كيف خرج اتحاد الجمهوريات العربية الثلاث. مصر وليبيا وسوريا. إلى النور فى عهد أنور السادات؟ ومن كان صاحب فكرة الاتحاد؟ وماهو دوركم فى هذا الاتحاد؟

- أنا كنت المقرر الذى قام بكل الجهد الفنى لوضع دستور هذا الاتحاد، ومناقشته مع نائبى الرئيسين الليبى والسورى، وكنت أقوم بهذه العملية بمنتهى الإخلاص، لمعرفتى بأن اتحاد الجمهوريات العربية كان هو الصيغة المثلى لأن يتجمع العرب تجمعاً لايفقد أى وحدة من الوحدات كيانها، أو وضعها الدستورى، أو شكلها العام، أو شكل رئيسها، وراعيت أن أعطى القدر الذى تسمح به الأوضاع السياسية لكل بلد بأن تساهم به وتشارك فيه. فالعالم العربى على درجات متفاوتة من التقدم الاجتماعى والصناعى والحضارى، ونحن نرى الوحدة الاقتصادية فى أوروبا أخذت زمناً طويلاً لتقريب الفوارق، وكنا نأمل بهذا الاتحاد أن تتم عملية تقريب بين الدول العربية، وتحكمها قواعد ثابتة، ولايوجد بها أى خلل يؤدى إلى انهيار دستورى كما حدث فى الوحدة الاندماجية بيننا وبين سوريا عام ١٩٥٨، وهذا الاتحاد كان أول مرحلة تقدم للاستفادة من الدروس الماضية، كما أن جمال عبدالناصر كان هو صاحب فكرة هذا الاتحاد، وهو الذى نادى به، وكان فى نواياه بعد ثورة الفاتح فى ليبيا أن يخرج من طرابلس إلى دمشق، ويدعو إلى إقامة هذه الدولة الاتحادية.

وحينما اجتمعت اللجنة المركزية فى أوائل عام ١٩٧١ برئاسة أنور السادات لمناقشة مشروع إتمام هذه الوحدة، تكلم أنور السادات فى البداية، ثم أخذ على صبرى الكلمة، وأخذ ينتقد السادات انتقادات مرة، لدرجة أن السادات كان يتصبب عرقاً ولم يحتمل، فقال له: «أظن كفاية بقى ياعلى»، فإذا بأعضاء اللجنة يطالبون مصرين على أن يستمر على صبرى فى الكلام، ولما أصروا على ذلك، قال له أنور السادات خاضعاً: «كمل ياعلى»، أخذ على صبرى فى الكلام.. وكلما ينتهى يعيد من الأول.. وعلى صبرى وشعراوى جمعة كانوا هم أصحاب السيطرة داخل اللجنة المركزية، ولاحظت أن العملية أصبحت استعراض عضلات،

ووجدتهم غير موافقين على هذه الوحدة، على أساس أن ذلك من شأنه أن يسبب حرجاً لأنور السادات الذى تقدم بمشروع الوحدة، وأنور السادات كان أصلاً غير راغب فى هذا الاتحاد، لكنه هو الذى تقدم بالمشروع!

ومعارضة على صبرى ومجموعته لمشروع الوحدة، كانت تتعارض مع أساس من الأسس التى نؤمن بها، ولها باب خاص فى الميثاق، هو الباب التاسع بعنوان «الوحدة العربية»، وبعدما انتهى على صبرى من إلقاء كلمته، طلبت الكلمة وقلت لهم:

«ماهو الموضوع؟ وماهى القضية؟..

ألأننا نطالب باتحاد عربى نلقى كل هذه المعارضة؟..

أليست الوحدة أملاً نتطلع إليه جميعاً؟..

فما هو الموضوع؟ وماهى القضية؟..

أليس فى الباب التاسع من ميثاق العمل الوطنى دعوة إلى الوحدة من التضامن البسيط إلى الوحدة الاندماجية الكاملة؟

فما هو الموضوع؟ وماهى القضية؟..».

واسترسلت فى هذا المعنى إلى أن وجدوا أنفسهم فى وضع لايحسدون عليه، فأشاروا إلى أحد أعضاء اللجنة المركزية لكى يقاطعنى، وكان هذا العضو هو ضياء الدين داود الذى كان يجلس فى أقصى اليسار، وكنت أنا أقول وقتها:

«أليست الوحدة هى انتقال من الواقع إلى الأمل؟..

فإذا كان الواقع فى سوريا فيه حزب البعث، أليس علينا أن نعترف بهذا الواقع ومواجهته لا أن نتباعد ونغفل وجوده؟..

فما هو الموضوع إذن؟ وماهى القضية؟..».

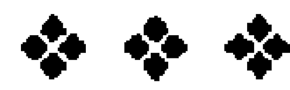
ثم قاطعنى ضياء الدين داود فوقف قائلاً:

«عشنا لنرى من يكيل المديح لحزب البعث من نفس المكان الذى كان يجلس فيه جمال عبدالناصر».

فكان كلامه كالجملة الاعتراضية تتطلب منى أن أرد عليه بكلمة حاسمة، فقلت له محتداً:

«أنا لا أسمح لمخلوق أن يعترض حسين الشافعى وهو يتكلم.. هل خوفاً من الحقيقة تصل آذان السامعين».. فسكت ضياء.

وكان كلامى من منطلق الوقوف إلى جانب الشرعية، والوقوف إلى جانب الحق، والموقف كان يستدعى ذلك منى لإتمام الوحدة المنشودة.



●● سيادة النائب.. ماذا حصدت مصر من حركة مايو ١٩٧١؟

- بالنسبة لما تم فى مايو ١٩٧١ كان أمراً متوقعاً من السادات، فهو لكى ينفرد بالقرار الذى يرضى من يعمل لحسابهم، كان لابد ألا يبقى على أحد إلا من صناعته الشخصية، ولكن نستطيع أن نقول إن مصر حصدت الآتى:

١ - تخلصت مصر من مجموعة كان وجودها لايقل خطراً عن أنور السادات.

٢ - انفراد مطلق لأنور السادات فى اتخاذ القرار.

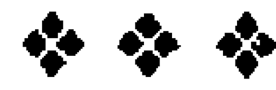
٣ - فرضت على مصر سياسات لم يكن هناك فرصة لمناقشتها، وأولها ورقة أكتوبر التى كان الغرض منها هدم الميثاق، فالميثاق أقره مؤتمر حضره ١٥٠٠ شخص، وقد لا نكون متفقين ١٠٠٪ على ماجاء فى الميثاق، ولكن لكى نعدله فلابد من مناقشته، وتكون هناك ورقة فيها فكر لنقرها، فنحن كان لنا خط هدمه أنور السادات دون وجود بديل له، فأصبحنا كالبحار الذى يسير فى البحر بدون بوصلة.



●● لماذا طرد أنور السادات الخبراء السوفييت من مصر فى وقت كانت المؤسسة العسكرية المصرية فى أشد الحاجة إليهم؟

- لينال كل الرضا ممن يشغلونه، فهو كان على تبعية مطلقة بأمريكا، وهم

وعدوه بمساعدات معينة إذا سار معهم للآخر، وعندما زار روجرز وزير الخارجية الأمريكى مصر قال له السادات متباهياً: «إنت كلمتنى فى كل حاجة وماكلمتنيش عن الروس اللى فى مصر، وأنا أقدر أستغنى عنهم»!!.



●● سيادة النائب.. ماهى الأبعاد الحقيقية لعملية الثغرة التى حدثت أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣م؟

- أولاً يجب أن تعرف أنه كانت هناك خطة فعلاً للهجوم على إسرائيل فى عهد عبدالناصر، والقوى التى تساند إسرائيل عندما وجدوا الجدية فى إخلاء مدن القناة وتهجير سكانها، وفك المصانع ونقلها للعمق، وإقامة قواعد الصواريخ على الرغم من الخسائر التى تكبدناها.. قالوا إن الذى قام بهذا الجهد من ٦٧ إلى ١٩٧٠ إذا دخل المعركة فسيكون فيها قضاء على إسرائيل، وكان لابد من قتله، والمجىء بالعميل أنور السادات بالاتفاق مع الاثنين، حتى يجهض هذا الجهد.

وقد تم فعلاً إجهاض هذا الجهد على يد أنور السادات، بطل الحرب، وبطل السلام، وهو صحيح بطل الحرب وبطل السلام، وده بحق وحقيقى.. فهو أراد الألقاب التى هو جدير بها، فهو بكل جدارة «عميلش المخابرات المركزية الأمريكية، كما نشرت الواشنطن بوست ذلك عام ١٩٧٦، وكان يأخذ راتباً ثابتاً منهم عن طريق كمال أدهم، ونشرت الواشنطن بوست ذلك عام ١٩٧٦، وهو مازال فى الرئاسة، لأنه كان قد خضع وأصبح ورقة محروقة.(●)

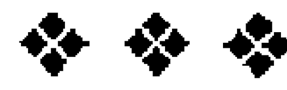
ثم ذهب يتفق على شروط «الاستسلام» عام ١٩٧٧، على أرض العدو وتحت أعلامه ونحن فى حالة حرب معه، ثم وقع كامب ديفيد، وطبّع العلاقات.. كان انتهى بالنسبة لهم، فدفعوا به لأحداث سبتمبر حينما قالوا له إنت مش قادر تحكم البلد، فكان ماكان منه فى سبتمبر (١٩٨١) حتى لقى حتفه.

(●) وفى العام التالى (١٩٧٧) نشرت صحيفة «الهيرالد تريبيون» مؤكدة على ذات الموضوع بأن السادات كان عميلاً للمخابرات الأمريكية (وموجود فى خاتمة الكتاب صورة لما نشرته الهيرالد تريبيون). وقد أضاف السيد حسين الشافعى فى حواراته التليفزيونية بأنه كان يشاركه فى العمالة رئيس عربى آخر (لم يذكر اسمه) والملك حسين، وقال إن الملك حسين اعترف بذلك وقال إنه كان يوجه مايتقاضاه من المخابرات الأمريكية لأعمال خيرية.

ومن أسماء السادات الأخرى غير ماسبق من تسميات للرئيس «المؤمن» هو أنه «بطل الإجهاَض» لكل ماقام به جمال عبدالناصر، ثم هو أخيراً «بطل الثغرة» ومدبرها.

فالثغرة حدثت بأوامره المباشرة فى تطوير الهجوم، فتطوير الهجوم ودفعه إلى الأمام، جعله يتلقى الضربة التى سبق إعدادها، بحيث أننا نخسر ٢٥٠ دبابة فى ساعات، ويعبر الإسرائيليون للضفة الغربية، ويدخلون السويس.(•)

هو كان تصوره إننا عبرنا.. واليهود كمان عبروا.. ونبقى خالصين، فيقدم القضية لمن بيدهم الحل والربط، ويعملوا إجراءات السلام وتنتهى العملية.



●● ألم يكن تطوير الهجوم بناء على طلب الرئيس حافظ الأسد لتخفيف الضغط على الجبهة الشمالية؟

- غير حقيقى.. ولا الوضع فى سوريا كان به أى شىء وهذا من «عنديات» أنور السادات، وبعد وفاة المشير أحمد إسماعيل على قال إن أحمد إسماعيل هو الذى أمر بذلك(١١)، فهو يتنصل أيضاً من العملية، فبعدما قام بإجهاض المجهود العسكرى الكبير الذى حققته القوات المسلحة يوم ٦ أكتوبر وحتى يوم ١٢ أكتوبر، بقراره دفع الاحتياط، لأن دفع الاحتياط للأمام وعدم وجود احتياط لصد أى هجوم مضاد.. هو دعوة للعدو لكى يعبر، وهذه كانت دعوة واضحة من السادات لإسرائيل لكى يعبروا للضفة الغربية، لأن هذا التصرف كان خارج الخطة، وكان غير وارد بالمرة، ولو التزم بالخطة كنا حررنا سيناء كلها.

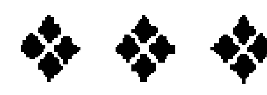
ولما جاء يوم ١٩ أكتوبر قال «إلحقونا».. أوقفوا القتال، وطلبه وقف القتال

(•) أضاف السيد حسين الشافعى فى حواراته التليفزيونية حول هذه النقطة: «قرار السادات بسحب الاحتياط ودفعه للأمام هو دعوة غير مكتوبة للعدو لكى يعبر.. قرار دفع الاحتياط للأمام لمَقْتَلَة.. يجعلنا نستنتج أن ذلك كان متفقاً عليه.. كل من له علاقة بالعسكرية كان يعلم أن هذا القرار هو دعوة غير مكتوبة لكى يعبروا.. كان ذلك فخاً، ولم يستجب لنصائح قادة العمليات فى سيناء، ولا رئيس الأركان الفريق سعد الشاذلى».

معناه أنه خسر المعركة، وخسر القضية، بعدما كان هو سيد الموقف، ثم قبل التنازلات بفك الاشتباك، ثم مباحثات الكيلو ١٠١.

وكل ذلك كان مهانة كبيرة للعمل العظيم الذى بدأ فى ٦ أكتوبر، والذى أعد له شعب مصر بكل فئاته، وأعد له الجيش بكل أفراده وجنوده، فهذا التصرف أجهض الجهد.. وأضاع الانتصار المبدئى الذى تم فيه العبور.

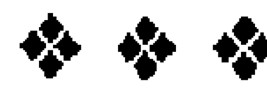
وكل ذلك لإيمانه بأن الأمريكان هم السيدالمطاع الذى يمنعه حتى من مجرد الوقوف للمطالبة بحقوقه والدفاع عنها.



●● ونحن فى سياق الحديث عن سياسات أنور السادات.. ماهو تقييمكم لسياسة الانفتاح الاقتصادى التى انتهجها السادات منذ عام ١٩٧٤؟

- سياسة الانفتاح لا يستطيع أحد أن ينتقدها إذا كانت محكومة بالأهداف القومية، وهناك سيطرة حقيقية فى السماح بما ينفع، وعدم السماح بما يضر.

لكن لو عملنا انفتاحاً بلا ضوابط فسيكون كمن يهدم السد العالى ويترك المياه بدون حواجز تصدها، ليحدث الفيضان والغرق، فانفتاح بلا ضوابط كفيضان بلا سدود، وكان هذا هو الانفتاح الذى جاء به أنور السادات، وفى ظله استدانت مصر ستين مليار دولار.

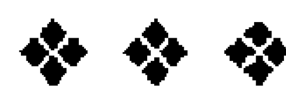


●● سيادة النائب.. لماذا لجأت إلى المساجد وهاجمت السادات فيها وأنت نائب له؟ ولماذا مسجد الشيخ كشك؟

- السادات كان يرى فى وجودى أنه لن يستطيع أن يتناقش معى مناقشة موضوعية فى تصرفاته، ولم يكن أمامه إلا أن يتجاهلنى ولا يشركنى فى أى شىء على أساس أن أذبل وأتساقط كما تتساقط أوراق الخريف، ولم يكن أمامى من سبيل سوى أن أتكلم بما ينبغى أن يقال.

وهو عندما أوشك على المرحلة الحاسمة فى الاستسلام الكامل، وتنفيذ ماتم الاتفاق عليه مسبقاً، وهو «كامب ديفيد»، وجد فى وجودى أنه لن يستطيع أن يتم ذلك، وكان لابد من خروجى.

وأنا فعلاً لجأت إلى المساجد أخطب فيها وأهاجمه، وليس فى مسجد الشيخ كشك فقط، بل فى مساجد كثيرة فى القاهرة وفى الإسكندرية.



●● ماهى أشهر خلافاتك مع أنور السادات حينما كنت نائباً له؟

- تقديرى للإنسان هو تقدير للمبادىء التى يحملها هذا الإنسان، ونحن عندما قمنا بالثورة كانت تحكمنا مبادىء وقيم، وعندما أجد أن هناك انحرافاً عن هذه المبادىء تسقط العلاقات، لأن الارتباط ليس ارتباطاً شخصياً، بل ارتباط بمبدأ وبقيم معينة، وكانت أولى خلافاتى معه هى معارضتى له عندما أسرعت مجموعة على صبرى بتعيينه رئيساً للجمهورية فى أول اجتماع للجنة المركزية بعد وفاة جمال عبدالناصر، وقد ذكرت ذلك فى حديث سابق، أما أشهر خلاف معه بعد ذلك كان عام ١٩٧٢، وكان ذلك أثناء زيارة رئيس بلغاريا فى ذلك الوقت لمصر، فيوم وداعه مررت على أنور السادات فى منزله بالقناطر وصحبته فى سيارته للمطار، وبعد انتهاء مراسم التوديع إذا به يستدعى عزيز صدقى رئيس الوزراء معه فى السيارة دون أن يستأذننى، فقمت بإزاحة عزيز صدقى فى المنتصف وجلست بجوارهم حتى وصلنا إلى مجلس الوزراء. وكان السادات فى ذلك الوقت يحاول أن يحد من سلطاتى، فكان لايدعونى فى أى اجتماع، المهم أنه كان يومها اجتماع لمجلس الوزراء، وعندما وصلت لقاعة الاجتماعات أخذت مكانى فى القاعة، وكان يريد مناقشة الوزراء فى موضوع قطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن، وكان ذلك فى أبريل سنة ١٩٧٢، وبدأ يتحدث فى شكل خطابى، وانتهى حديثه بإبلاغهم قراره دون أن يناقشهم، فطلبت الكلمة، وقلت إن الموضوع بالنسبة لى ليس ذا أهمية لكن موضوع قطع العلاقات هذا غير مجدٍ وسياسة غير مقبولة، وهل جاء قطع العلاقات اليوم لكى نجد كلاماً نقوله اليوم

فى اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى بالقاهرة بعد ظهر اليوم فى مبنى جامعة الدول العربية، وقلت إن هذه فرصة لكى نناقش سياستنا مع الدول العربية. وخاصة أنه لم تكن هناك فرصة لمقابلة الرئيس سوى فى المطار أو فى المحافل الرسمية.

قلت إننا أمام معركتين.. معركة أمام القوى الكبرى التى تريد أن تتحكم فى مصر ولا سبيل لنا فى مواجهتها إلا بوحدتنا، ومعركة فى مواجهة إسرائيل ولا سبيل لخوضها سوى بالاعتماد على الذات.

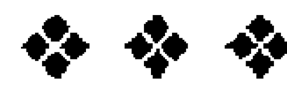
وقلت إنه بعد انقضاء سنة على عملية مايو ٧١ أصبح من الصعب أن ننفذ ماكنا نستطيع أن ننفذه عام ٧١، وإذا كان الأخ أنور السادات كانت له شعبية بعد توليه فإن شعبيته قد انحدرت كثيراً بعد ١٩٧١، وكان رد أنور السادات لى بالحرف الواحد فى مجلس الوزراء: «إذا كنت باأدور على الشعبية فأنا أجيب الإذاعة والتليفزيون وأخبط خطبة واعمل شعبية، لكن مش أنا اللى باادور على الكلام الفارغ ده.. وإذا كان النائب الأول لرئيس الجمهورية يشكك فى إمكانياتنا على القتال فلماذا عملنا وزارة للمواجهة؟». فقلت له أنا لا أسمح لمخلوق أن يقول عنى إننى أشكك، بل أنا أطرح موضوعاً للمناقشة، وهو لماذا لاتعمل مصانعنا الحربية بكامل طاقتها..وبدأت أصواتنا ترتفع فى الاجتماع..ثم خرجنا وجلسنا فى مكتب رئيس الوزراء وشربنا الشاى سوياً، ثم خرج هو بصحبة فوزى عبدالحافظ فى سيارته، فقمت وجذبت فوزى عبدالحافظ من مقعده وجلست أنا بجواره..

كان هذا أول خلاف كبير بينى وبينه بسبب عدم عمل المصانع الحربية بكل طاقتها.

وفى عام ١٩٧٤ وعندما كان عائداً من مؤتمر للقمة العربية الذى عقد فى الدار البيضاء، وأثناء عودته معى فى السيارة كان يحدثنى عن الأمجاد التى أنجزها، فقلت له ماهى وسائل الضغط التى يملكها العرب لكى ينفذوا هذه القرارات؟؟ فقال لى: كلام إيه ده؟.. إنت عايزنى أضغط على أمريكا؟.. فقلت له إذا لم يكن هناك وسائل ضغط فلا جدوى من هذه القرارات إلا بالقدر المتوافر

من قوى الضغط، فالذى لايضر ولا ينفع ليس أمامه إلا الصدقة وتلمس الرضا، ومادمت لاتقدر تفيد ولا تضر فلن يكون لك أى حساب، وكان ذلك فى السيارة ونحن فوق كوبرى العباسية فى أثناء عودتنا من المطار، فما كان منه إلا أن تغير وجهه ولم يعلق.

وعندما لم يجد السادات أى وسيلة لتطويعى حسب إرادته لم يكن أمامه إلا محاولة أن يزوج ابنته جيهان لأحمد ابنى، وفى هذه الحالة لاتكون هناك أى مشاكل، وطبعاً أنا مش ممكن كنت أناسب شخص زى ده، فهو زوّج بناته من رجال الإقطاع القديم والجديد، وعلى رأسهم عائلة عبدالغفار الذين كانوا أسياد بلدته وكان يعمل لديهم كخدام!!



●● ذكرت بعض الصحف العربية أن اسم سيادتكم ورد أثناء محاكمة صالح سرية فى الحادث المعروف باسم «الفنية العسكرية».. فما مدى صحة ذلك؟ وماهى الأبعاد الحقيقية لتلك القضية؟

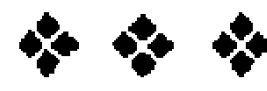
- أذكر أننى فى أحد الأيام من عام ١٩٧٤، وأثناء انعقاد محاكمة صالح سرية، وجدت شاباً تطوع خيراً أتى لمنزلى، وسمحت له بالدخول، وفاجأنى بشريط كاسيت - لازلت أحتفظ به - وكان مسجلاً عليه وقائع الجلسة الأولى لمحاكمة صالح سرية، وكان الشريط كله على لسان صالح سرية، وجاء مما قاله:

«أنا استدعيت بواسطة عميد مباحث اسمه عبدالقادر، وقال لى إذا لم تشهد فى المحاكمة بأن حسين الشافعى على رأس هذا التنظيم بشقيه المدنى والعسكرى سنفعل كذا وكذا».. ثم كشف للمحكمة ملابسه ليظهر آثار ما لاقاه من تعذيب بدنى رهيب، وفى نهاية الشريط قال صالح سرية:

«أنا عارف إنى هاألقى الله، ولايمكن ألقى الله بشهادة زور على ناس لا أعرفهم، وليس لهم أى صلة بهذا التنظيم، لأن هذا العميد أخرج لى من درج مكتبه كشفاً به ٢٤ اسماً مقسماً إلى شعبة عسكرية تضم ١٢ اسماً، وشعبة مدنية تضم ١٢ آخرين، والشعبة العسكرية كان بها ضباط من الحرس الجمهورى

والقوات والمسلحة والأمن المركزى. ولما اطلعت عليه لم أتعرف إلا على اسمين فقط هما الفريق محمد صادق والفريق سعد الشاذلى».

وقال محامى صالح سرية فى المحكمة إن الذى رتب هذه العملية هو ممدوح سالم وزير الداخلية وسيد فهمى رئيس المباحث. وطبعاً كما عرفنا أن الاثنين كافأهما السادات بعد هذه العملية فأصبح الأول رئيس وزراء والثانى وزير داخلية. المهم أن محامى صالح سرية ذكر هذا الكلام فى الجلسة، فمنعت وقائع القضية من النشر، ووضع بذلك المحكمة فى حرج، فاستدعت وزير العدل، ومدير المخابرات، والنائب العام، ولما سئل مدير المخابرات عن مصدر معلوماته أجاب بأن المخابرات لا تُسأل عن مصدرها، والمفروض ألا يقال هذا الكلام فى قضية كبيرة مثل هذه.. وتهرب من الإجابة!!



●● سيادة النائب.. هناك سؤال يطرحه الكثيرون وهو:
لماذا بقيت مع السادات خمس سنوات نائباً له رغم عدم رضائك عنه؟

- عملى مع السادات بعد وفاة عبدالناصر كان علامة استفهام كبيرة، ولكن لم تكن القضية قضية عمل مع أنور السادات، لأننى كنت أعمل من أجل بلدى، ومن أجل استمرار الثورة التى كنت أحد مؤسسيها، وقضيت حياتى فيها لتثبت دعائمها فى المجال الذى قدره الله لى فى مراحل الإعداد أو التنفيذ أو الممارسة وإرساء قواعد كل عمل شاركت فيه منذ قيام الثورة حتى وفاة قائدها جمال عبدالناصر. وقلت لنفسى إذا سار أنور السادات على المبادىء فسأكون أول من يسانده، ولكن إذا انحرف فسأكون ممثلاً لضمير الثورة، واحتملت هذه الفترة بجواره على أحر من الجمر، وعندما بدأ ينحرف ويسلك طريقاً لايريد أن يناقشه أحد فيه اعترضت عليه، ولم يكن أمامه إلا أن يتجاهلنى ولا يواجهنى، لدرجة أنه كان يعقد اجتماعاته خارج القاهرة حتى لا أشارك فيها، فهو كان يريد أن يشعرنى ويشعر غيرى بعدم فاعليتى، وبالتالى أسقط مع الوقت، ولكن لم أكن أترك أى اجتماع عام أو مناسبة إلا وأقول فيها مايجب أن يقال، وطبعاً الكلام ده

كان بيوصله كله. وكان يثير غضبه منى لدرجة لم يعد يقدر على الاحتمال، فكان أن أراد الزج بى فى قضية الفنية العسكرية.

وتفكيرى فى الاستقالة كان بمثابة هروب، فأنا صاحب بيت ولم يأت بى السادات، بل الثورة التى كنت أحد قادتها هى التى أتت بى، وتمسكى بموقفى كان من خلال إيمانى بالمبادىء الثورية التى قمنا من أجلها.

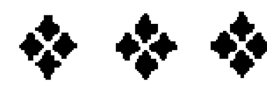


●● هل تذكر تفاصيل آخر يوم لك فى الحكم كنائب أوحد لرئيس الجمهورية؟

- كان يوم ١٤ أبريل سنة ١٩٧٥..

أذكر يومها أن وزير الداخلية ممدوح سالم كان محدد موعداً للقائى فى الساعة الواحدة، وتأخر (٥) دقائق عن موعده، فقمت أصلى الظهر، وأثناء صلاتى شعرت بأن الباب قد فتح، وكان الداخل هو ممدوح سالم وخلفه جمع غفير من رجال الصحافة والإعلام وكاميرات التليفزيون بكشافاتها القوية، وواصلت صلاتى وهو ظل واقفاً ينتظر انتهائى من الصلاة، وما إن انتهيت من الصلاة وقفت ولم أصافحه، وقلت له لن أضع يدى فى يدك إلا بعد أن تقدم لى تفسيراً عما حدث فى قضية الفنية العسكرية، وشرحت له كل ماعرفته وقصة الشريط الذى سمعته، وقلت له إن المحامى قال إنك المسئول مع سيد فهمى عما حدث، ولم أجد منه إجابة مقنعة ووجدت إنه لافائدة من الكلام معه، فقلت له إنت طالب مقابلتى ليه؟ فقال إن السيد الرئيس فى نيته تعيين نائب جديد للرئيس، وقال لى قبل أن يعرف أى أحد اذهب وبلغ هذا الكلام للسيد حسين الشافعى، فقلت له وبتبلغنى ليه؟ هو بحكم الدستور ومن سلطته، له أن يعين نائباً أو أكثر، وإذا كان يرى ضرورة تعيين نائب آخر فهذا يخضع لتقديره، جاى تبلغنى ليه؟ فارتبك وقال لى ماتكلمه فى التليفون، فقلت له هو اللى طلب منك وللا دا من عندك.. فازداد ارتباكاً.. ثم قال لى أنتم زملاء وليه هاتدخلونى فى موضوع أنا مش أده. فقلت له: ودا كل اللى عندك.. اتفضل.. ثم خرج.. وفى نشرة أخبار

الخامسة من مساء ذات اليوم سمعت خبر تعيين الفريق طيار حسنى مبارك نائباً لرئيس الجمهورية، وممدوح سالم رئيساً للوزراء، وتجاهلوا اسمى تماماً، فلم يصدر قرار ببقائى، ولم يصدر قرار بإقالتى، ولذلك أنا أسمى هذا التصرف الذى فعله السادات فى مذكراتى الخاصة «اللاقرار الجبان»، وأتحدى أن يأتى أى أحد بقرار إنهاء خدمة السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية، أو قرار إقالة، أو حتى استقالة.. ولست فى مجال قضية أرفعها إلى مجلس الدولة لأثبت أننى لازلت نائباً لرئيس الجمهورية، فقط أريد أن أثبت حقيقة، وهى أننى قانوناً لازلت النائب الأول لرئيس الجمهورية حتى هذه اللحظة.. وتلك شهادة منى للأجيال.



الفصل التاسع

صراعنا مع اليهود

- مقتل إسرائيل فى الحرب غير النظامية وانفتاحهم على العرب.
- هناك سبع جبهات لإرهاق الوجود الإسرائيلى.
- هذه هى الأبعاد الحقيقية لمؤاخاة الرسول بين الأنصار والمهاجرين، والتى لم يدركها إلا اليهود.
- هدف اليهود هو احتواء هذه المنطقة، وهم فى تقديراتهم، وتصوراتهم، وحساباتهم، وتخطيطهم لا يضعون اعتباراً لأى شىء حتى لو كان هذا الاعتبار هو قدرة الله تعالى.
- اليهود جبناء، وهناك عوامل ضعف كثيرة فى تركيبتهم.
- المظالم التى تعرض لها المسلمون مازال رد فعلها فى الطريق ينمو نمواً بطيئاً، واليهود يخشون من الصحوة الإسلامية.
- اليهود بعددهم القليل لايمكن أن يعيشوا فى سلام ولابد أن يقسموا الدنيا إلى فرق ونزاعات ويكونوا هم العنصر الممول والمستفيد.
- يهدف اليهود إلى القضاء على الأديان لأنها عقبة فى طريقهم.
- اقترب وعد الآخرة، وإن شاء الله سيقتل المسلمون اليهود ويطهرون العالم منهم.

الكاتب الروسى الشهير «ديستوفيسكى» يدلل على وجود العقيدة التى يؤمن بها كل يهودى على وجه الأرض بأنه اقتبس من التلمود هذا القول: «أيها اليهودى.. اعتزل باقى الأمم، وابق على شخصيتك بينها، واعلم أنك أنت الوحيد عند الله.. آمن بالنصر على العالم أجمع، وآمن بأن كل شىء سيخضع لك.. فاستغفل.. وعش.. وانظر.. وانتظر».

وفى سبيل تحقيق هذه المبادىء الخطيرة، جرب زعماء اليهود كل الوسائل، فجربوا القلم.. واللسان.. والجاسوسية.. والتوازن الدولى.. والهجرة إلى فلسطين.. وأخيراً استخدموا السلاح ضد من يقف أمام هذه العنصرية أو يحمى نفسه من خطرها. كما سمى هؤلاء الزعماء حركتهم بأسماء مختلفة: الصهيونية الروحية.. الصهونية الثقافية.. الوطن القومى.. الكومنولث اليهودى.. وأخيراً الدولة الإسرائيلية.

وكان القرن التاسع عشر من أهم فترات التطور التاريخى للصهيونية، حيث نشطت جمهرة الساسة والكُتّاب فى العالم يدافعون عن الصهيونية، وقامت هيئات متعددة بجمع المال لتحقيق غاياتها.

وأول من جعل لليهود قضية قومية وأمانى وطنية فى التاريخ الحديث، هو الكاتب النمسوى «تيودور هيرتزل» الذى نشر كتابه عن الدولة اليهودية عام ١٨٩٦، وكان هذا الكتاب عهداً جديداً للصهيونية، إذ جعل الأمانى القومية لليهود بعد إذاعتها ونشرها موضوعاً مدروساً، بعد أن كانت مجرد أمانى وخطوط تهفو إليها النفوس، وتهتف لها القلوب دون الألسنة.

وكان من ردود فعل هذا الكتاب، أن أثار الحماسة والاهتمام عند اليهود،

وشجعهم على عقد أول مؤتمر عام لهم فى مدينة «بازل» بسويسرا فى ٢٩ أغسطس عام ١٨٩٧، وهذا اليوم (٢٩ أغسطس) يوافق اليوم الذى شتت فيه اليهود وطردوا من فلسطين نهائياً عام ٧٠ ميلادية.

وحدد المؤتمرون الهدف الذى ترمى إليه الحركة الصهيونية، وهو السعى لإيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين، واتفقوا على الوسائل التى تتخذ لتحقيق ذلك، وهى تنمية حركة الاستعمار اليهودى فى فلسطين عن طريق إيفاد عمال الزراعة والصناعة إليها، وتنظيم العناصر اليهودية، وتوثيق الروابط بينها عن طريق إنشاء المؤسسات المحلية والدولية، وتقوية وتنمية الوعى القومى اليهودى، واتخاذ الإجراءات اللازمة للحصول على موافقة الحكومات لتحقيق أغراض الصهيونية.

وفى نهاية المؤتمر، اتفق المجتمعون على وضع شعار العلم اليهودى والنشيد القومى لليهود والمنظمات العالمية. وكان من أهم المنظمات التى تأسست فى ذلك الوقت «اللجنة التنفيذية الصهيونية العالمية» وتكونت لها لجان محلية فى جميع أنحاء العالم، كما اتفق المجتمعون على إنشاء شركات عالمية. منها الشركة اليهودية الاستعمارية برأس مال قدره مليونان من الجنيهات وتفرع عن هذه الشركة العديد من الفروع، منها «الوكالة اليهودية لشراء الأراضى فى فلسطين».

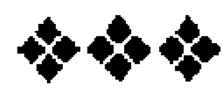
واستمر تيودور هيرتزل زعيماً للحركة الصهيونية العالمية حتى عام ١٩٠٤، وبعدها آلت زعامة الحركة إلى «حاييم وايزمان» الذى انتقل من بلده الأصلى روسيا إلى بريطانيا وأقام هناك بصفة دائمة، ومن ثم تركزت جهود الصهيونيين فى غرب أوروبا عموماً، وفى بريطانيا على وجه الخصوص نظراً لتشجيع الحكومة البريطانية لهم.

ولما كان العالم على أبواب الحرب العالمية الأولى، فقد حاول البريطانيون كسب أمريكا إلى جانبهم وإشراكها فى الحرب ضد المعسكر الألمانى، ولما كان اليهود يشكلون نسبة واضحة فى الشعب الأمريكى، فقد طلبت الحكومة الإنجليزية من وايزمان أن يوعز لليهود هناك بالضغط على الحكومة الأمريكية لإعلان الحرب، وفى مقابل ذلك أخذ الدكتور حاييم وايزمان وعداً بتبنى بريطانيا لحركته وتأييدها تأييداً كاملاً.

وعندما جاهر اليهود بمطالبهم فى الأرض الفلسطينية، وأن الوقت قد حان لحصولهم على وعد رسمى بإنشاء الوطن القومى هناك، قبل الإنجليز المطالب الصهيونية مقابل تولى اليهود حماية المواقع الاستراتيجية للإمبراطورية البريطانية فى الشرق الأوسط عموماً، وقناة السويس بصفة خاصة.

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ أرسل «بلفور» وزير خارجية بريطانيا، إلى اللورد «روتشيلد» - باسم حكومة صاحبة الجلالة - وعده بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين. وكان الوعد هو ميثاق الصهيونية الذى فتح لهم صفحة جديدة فى منطقة الشرق الأوسط.

وهكذا زرع المستعمر اليهود فى قلب الأمة العربية، لتكون بؤرة تمتص الجهد الذاتى للأمة العربية وتشغلها عن حركة البناء والتقدم.



فى هذا الفصل يطرح السيد حسين الشافعى عدة نظريات عن تصوره للطريقة المثلى للوقوف فى وجه اليهود الذين أصبح يطلق عليهم اليوم «دولة إسرائيل».

وحديث سيادة النائب هنا، كان سلسلاً، ومرتجلاً فى إحدى الجلسات، وبدون أى أسئلة من جانبى.. وهو من الأهمية بحيث يحتاج لأن تحلل عباراته جيداً، ويفهم المغزى من وراء كل كلمة فى كلام السيد حسين الشافعى هنا.

●● سيدى النائب.. فى ضوء انتفاضة الشعب الفلسطينى الباسل على أرضه فسلطين.. ماهى أشد الطرق حسماً للوقوف فى وجه إسرائيل؟

- نحن نستدرج فى معارك عسكرية لانملك التحكم فى متطلبات تسليحها منعاً أو منحاً، فنحن حين نطلب السلاح من روسيا أو أمريكا تعطينا بحساب، بحيث تظل إسرائيل هى المتفوقة دائماً، فهم لن يمكنونا من السلاح، الأمر الذى يحتم علينا اللجوء لوسائل أخرى، فلمواجهة هذا الخطر لابد أن نستدرجهم لمعركة نملك نحن فيها وسائل وأسباب النصر، ومفكروهم يقولون إن مقتلهم يكمن فى الحروب غير النظامية، أو إنهم ينفتحون على مجموعات كبيرة من العرب، لأنهم مجتمع مغلق، مثل جمعية سرية تعمل تحت الأرض على مستوى العالم كله، ومفكروهم يقولون أهون علينا أن نعود لحدود التقسيم على أن ننفتح على مجموعات كبيرة من العرب، لأنه فى ظل المجتمع المغلق يستطيعون ممارسة التعاليم اليهودية التى تجعلهم مجتمعاً قوياً، وهنا يبرز دور الانتفاضة التى كشفت المستور، وكشفت عوراتهم أمام العالم.

إذن هناك شيئان يخاف منهما اليهود، الأول هو انفتاحهم على مجموعة من العرب أو خوض حرب غير نظامية، وأنا أرى أن صراعنا مع اليهود ينقسم لجبهتين، ومع ذلك نعاملهم كجبهة واحدة، ولذلك فنحن نعجز عن مواجهة هذه أو التصدى لتلك، والجبهة الأولى هى صراع القوى الكبرى فى التحكم فى هذا المكان القائد، فمصر موقع قيادى، والمفروض أن يكون أهلها على مستوى هذا الموقع القائد، أما إذا لم يكونوا على المستوى الذى يفرضه هذا الموقع القائد على مراحل الزمن فإن ذلك يستتبعه أن تتحكم فيها الدول الكبرى، ومصر تتمتع بوحدة شعبها المتجانس الخالى من الصراعات، والخوف من مصر خوف أزلى.

والوجود الإسرائيلى قضية ليست فيها هوادة، فهى تكون أو لا تكون، حياة أو موت، وأنا رفعت فى أوائل السبعينيات شعار إرهاق الوجود الإسرائيلى سياسياً، واقتصادياً، وفكرياً، وعلمياً، وثقافياً، وإعلامياً، واجتماعياً. سبع جبهات، وسبع مجالات، يحتاج كل منها لخطة مستقلة، فمثلاً كيف يكون إرهاق الوجود الإسرائيلى اقتصادياً؟ والغريب أنهم الآن يحاربوننا بهذا الشعار الذى رفعته أنا، عن طريق إرهاق اقتصادنا، فلو بدأنا فى إرهاق الوجود الإسرائيلى اقتصادياً على مستوى الوطن العربى، ثم على مستوى العالم الإسلامى، لن يكون لهم أى وجود، فالانتفاضة الفلسطينية أثرت وتؤثر على وجودهم تأثيراً هدافاً، فما بالك لو أن هذه الانتفاضة كانت على مستوى العالم العربى؟ ثم على مستوى العالم الإسلامى؟.. لن تكون هناك إسرائيل، وقد تكون الانتفاضة هى نقطة البداية نحو إلغاء الوجود الإسرائيلى.



●● وعاد السيد حسين الشافعي بالحديث إلى الوراء أربعة عشر قرناً، وبدأ يسرد بعضاً من صراعات اليهود مع النبى ﷺ فقال:

ـ الوحيد الذى استطاع أن يضع اليهود فى مكانهم، ويكشف ألاعيبهم، ويقضى عليهم فى الجزيرة العربية، كان الرسول الخاتم محمد ﷺ، فهو لم يعتد عليهم، بل هم الذين اعتدوا عليه، وإذا كان قد تصدى لهم، فكان ذلك تصدى المدافع عن الدعوة، والمدافع عن الحق، فعندما دخل الرسول المدينة، كان أول عمل قام به هو بناء المسجد، والمسجد كان رمز القيادة والتجمع، والتعليم، ومركز الانطلاق لنشر الدعوة الإسلامية كما أنزلها الله تعالى، وثانى عمل أنه آخى بين الأنصار والمهاجرين، والجانب المعنوى لهذه المؤاخاة ـ الذى يمر الناس عليه مروراً سطحياً ـ كبير جداً، وهى من أعظم الأعمال التى قام بها الرسول ﷺ، ولم يدرك أبعادها إلا اليهود، لأنهم اعتبروا أن هذه المؤاخاة نهاية لوجودهم، فهم أدركوا أن هذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار هى أكبر خطر عليهم، لسبب بسيط، وهو أنهم لايعيشون إلا على الخلاف وإثارة النزاعات، لأنهم كأقلية لا يستطيعون أن

يعيشوا فى جو مستقر، فلابد أن يقسموا ويشتتوا، ويخلقوا أسباباً لكى تتحارب الناس مع بعضها، وفى النهاية يكسبون هم الموقف، لأنهم يكتنزون المال، وبه يساعدون هذا وذاك، وفى النهاية يكونون هم الفائزون، واعتبروا أن المؤاخاة تجريد لهم من أقوى سلاح فى أيديهم، ولذلك فكروا فى عمل اتفاق مع الرسول ﷺ، بغرض أن يكسبوا وقتاً، وأبرموا معه معاهدة حسن جوار وعدم اعتداء ولم يعارض الرسول ﷺ مع علمه بأنهم أهل غدر وخيانة، وأبرم معهم هذا الميثاق، ولكن هل كانوا جادين؟..

كانوا يريدون أن يكسبوا فرصة وقت إلى أن يتم لهم تجميع القبائل ضد الرسول ﷺ لكى يكون ظهرهم مؤمّناً مائة فى المائة من الناحية المادية، وحرضوا عليه القبائل، إلى أن تجمعت بالكامل، وأحاطوا بالرسول من كل جانب، ولم يبق إلا الجزء الذى كان يسكن فيه يهود بنى قريظة، وكان هذا هو المنفذ الوحيد الذى يأتى له منه التموين، ولما اطمأنوا إلى أن كل القبائل أحاطت بالرسول ﷺ كشروا عن أنيابهم، وأظهروا خبيئة أنفسهم، فنقضوا الاتفاق، ونقضوا العهد، ووجد الرسول ﷺ نفسه لأول مرة محاطاً من كل جانب.

هنا حدثت ثلاث مفاجآت.. مفاجأة سياسية.. ومفاجأة عسكرية.. ومفاجأة ربانية.

أما المفاجأة السياسية، فهى أن جاء نعيم بن مسعود - وكان حديث العهد بالإسلام - وذهب إلى رسول الله ﷺ وقال له: يارسول الله، أنا حديث عهد بالإسلام، ولى صداقات ومعارف بالمشركين وباليهود، فهل تأذن لى أن أتصل بهم؟ فأذن له الرسول ﷺ وقال له: يانعيم ما أنت إلا فرد فخذِّلهم، فانطلق نعيم إلى اليهود، وقال لهم كيف تعادون الرسول وهو جاركم؟ وإذا كنتم مطمئنين إلى الأحزاب التى تجمعت وأحاطت بالرسول من كل جانب تكونون واهمين، فإذا كانوا هم موجودون اليوم فلن يتواجدوا غداً، وأنتم فى النهاية ستدفعون الثمن لنقضكم الميثاق، وتخليكم عن العهد، فقالوا له: صحيح ماذا نفعل؟ فأشار عليهم بأن يطلبوا من الأحزاب رهائن، بواقع ١٠٠ رهينة من كل قبيلة، وتركهم وذهب إلى أبى سفيان وقال له إنه كان عند اليهود وسمعهم يقولون إنهم سيطلبون منكم

رهائن ليضمنوا بقاءكم، وبعد قليل وصل مندوب اليهود ليتفاوض فى طلب الرهائن، وهكذا وقعت الوقيعة بينهم، وحدثت أزمة ثقة فيما بينهم وهم على وشك الدخول للمعركة. وهذه هى المفاجأة السياسية.

أما المفاجأة العسكرية، فقد جاء سلمان الفارسى رضي الله عنه وأرضاه، وقال يارسول الله، كنا فى فارس إذا هُوجمنا تخندقنا، فأمر الرسول ﷺ بحفر الخندق، وعندما تقدمت قواتهم حدث الاضطراب بين صفوفهم لأن ذلك كان شيئاً جديداً عليهم.

وفى هذه الأثناء كانت المفاجأة الربانية، وهى الرياح العاتية التى اقتلعت خيامهم، وقلبت حالهم وطعامهم إلى أن قام أبو سفيان قائلاً: إنى راحل فارتحلوا، فانفض الجميع، وانفك الحصار وتلقى اليهود جزاء خيانتهم للعهد، ونقضهم للميثاق، وإلغائهم لما اتفقوا عليه من حُسن جوار مع رسول الله وعدم اعتداء.

ولذلك يقول الله فى كتابه العزيز:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(1)

فهذه الآية هى أول نداء فى القرآن الكريم يوجه لليهود ويكشفهم، إذ أننا نستنتج منها أن اليهود عهدوا «التضليل» و«التعتيم» فى مجال الإعلام، والآية الأخيرة تدعوهم إلى أن يكونوا كباقى عباد الله ﴿واركعوا مع الراكعين﴾، أى أن هذا توجيه لكم بأن قضية «الشعب المختار» كانت عندما كنتم حاملين للرسالة الوحيدة قبل المسيحية وقبل الإسلام، لكن بعد الرسول الخاتم فمقولة الشعب المختار انتهت إلى لا رجعة، إلا أن تكون التفرقة العنصرية التى يدعون إليها، وهى المدخل الشيطانى لكل ماتعانيه البشرية، وما فعله النازى معهم ماهو إلا رد الفعل للتفرقة العنصرية التى هم دُعاتها.

(1) سورة البقرة ـ الأيات: ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣.

ونحن اليوم.. وبعد انقضاء أربعة عشر قرناً على هذه الأحداث، فإننا نشعر أننا على أبواب وعد الآخرة، كما جاء فى سورة الإسراء:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

فهم الآن نفذوا أحلامهم وأهدافهم لإنشاء الدولة اليهودية، وهذا تم فى عام ١٩٤٨، وهدفهم الثانى هو استجلاب يهود الأرض ليسكنوا هذا المكان الذى تهيأ لهم بعد حرب ١٩٤٨، التى مكنت لهم بمساعدة الدولتين الكبيرتين أن يكون لهم موطىء قدم يتيح لهم الهجرة إلى فلسطين، والهجرة كانت هدفهم الثانى، وهم فى سبيلهم لتحقيق الهدف الثالث، وهو الانفتاح على روسيا لتهجير اليهود السوفييت[٢]، وهى أهم المراحل فى عملية التهجير التى ستدخل العملية لمراحلها الأخيرة، وهدفهم الأخير والرئيسى، وهو احتواء المنطقة اقتصادياً، ليحكموا أيديهم على مقدرات هذه المنطقة كما يتصورون، وهم فى تخطيطهم وحساباتهم، مادية مطلقة، ولا يضعون حساباً لأى اعتبار، حتى لو كان هذا الاعتبار هو قدرة الله التى ليست لها حدود، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى وصف ماحدث لهم فى خيبر وما قبلها فى المدينة، هذه الآيات فى مطلع سورة الحشر:

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ

---

(٢) يشهد الله أن السيد حسين الشافعى قد أثار معى نقطة تهجير اليهود السوفييت إلى إسرائيل خلال شهر نوفمبر ١٩٨٩، وقبل ان ينكشف للرأى العام العالمى فضيحة تهجير نصف مليون يهودى من الاتحاد السوفييتى إلى إسرائيل، وذلك فى أوائل شهر يناير عام ١٩٩٠.

حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾

وفى منتصف السورة يجىء التحليل الذى يجب أن يدركه المسلمون ليعلموا ثلاثة أمور: حقوقهم إذا التزموا بمنهج الله، والثانى: جبن اليهود وعوامل الضعف فى تركيبتهم وفى تكوينهم، والثالث: أن الذين يساندونهم ويؤيدونهم لن يستمروا، وسيتخلوا عنهم إذا ماتجمع المسلمون وعرفوا قدر أنفسهم ووزنهم الحقيقى عند الله.. والآيات هى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ * لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾

الخلاصة أنه قد اقتربت ساعتهم، وسينفذ الله وعده فيهم، ولابد أن تكون نهايتهم على يد المسلمين مصداقاً لوعد الله فى كتابه الكريم، ولحديث رسوله ﷺ الذى يقول: «لا تقوم الساعة حتى تحاربوا اليهود، فيحارب معكم الحجر والشجر والمدر[٣] حتى أن الحجر ينطق فيقول يامسلم ورائى يهودى فتعالى اقتله».

واليهود اليوم يريدون أن يكون لهم التسلط المطلق، لأن هذه المرحلة هى أخوف على اليهود من أى شىء، فلقد بدأ ظهور ردود الفعل الإسلامية تجد مكانها وتجسد اعتبارها، وتستعيد وضعها، فالمظالم التى تعرض لها المسلمون مازال رد فعلها فى الطريق ينمو نمواً بطيئاً، واليهود يخشون من الصحوة الإسلامية، لأنه لن تكون لهم نهاية إلا على يد المسلمين فقط، لأنهم مهما فعلوا

(٣) المدر: جمع مدرة، وكانت تعنى عند العرب قديماً القرية، والحديث رواه أبو هريرة وأخرجه البخارى ومسلم.

بالنصارى، فالنصارى يتهاونون معهم لأنهم امتداد واحد على الرغم من العداء الموجود، والمسلمون يفضلون التقارب مع المسيحيين كما حدثنا القرآن:

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ﴾(٤)

ولكن فى نفس الوقت يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(٥)

والمسلم الحقيقى يختلف عن المسلم المتعصب الذى يرمى إلى السيطرة، فمثلاً سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما دخل القدس أمّن كل الناس، وكل الأديان، بينما سليم الأول حينما دخل القدس شنق وذبح الآلاف، لدرجة أنه قتل ٧٠ ألفاً فى القدس، وهذه هى الدموية التركية المعروفة.

فالحرب فى الإسلام لها ثلاثة أهداف، إما أن تُسلم، وإما الجزية، وإما إقرار الحرب، فإن أسلمت يكون لك ما لنا، وعليك ما علينا، ولا فرق إطلاقاً، فلا يوجد مكان للعنصرية أو للتفرقة..

نعود إلى اليهود ومؤامراتهم، فهم يلعبون من وراء الستار على مدى طويل، وقد عبر عنهم الحق فى كتابه تعبيراً واضحاً جداً.. فقال تعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾(٦)

فاليهود، بعددهم القليل، لايمكن أن يعيشوا فى سلام، ولابد أن يقسموا الدنيا إلى فرق ونزاعات، ويكونوا هم العنصر الممول لهذه الحركات، وفى النهاية يقبضون الثمن نتيجة الحروب التى يوقدونها، وبتعبير القرآن يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾(٧)

فهم مصلحتهم فى الحروب، لأنهم هم الذين يقطفون ثمار هذه الحروب،

---

(٤) سورة المائدة ـ أية ٨٢.

(٥) سورة البقرة ـ أية ١٢٠.

(٦) سورة المائدة ـ أية ٨٢.

(٧) سورة المائدة ـ أية ٦٤.

سواء فى مجال التجارة (تجارة السلاح) أو فى مجال التصنيع، أو فى مجال الربا عن طريق إمداد الأطراف المتحاربة بالأموال التى يكتنزوها، وفى النهاية يأخذون حقهم «مشفى»، فهم يتركون الناس ليتحاربوا وفى النهاية يقبضون الثمن.. فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أخذوا نصيبهم من اللحم الحى «فلسطين» بوعد بلفور.. وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية، أخذوا قرار التقسيم.. وهكذا.

وهدفهم القضاء على الأديان، لأنها عقبة فى طريقهم، واليهودى الشهير كارل ماركس، يريد أن يبين أن الاقتصاد هو الأساس، ويقول إن الدولة المثالية هى أمريكا، لأنها دولة ليست دينية، ويقارن بينها وبين فرنسا كدولة دينية، ففرنسا رغم أنها دولة دينية إلا أن المتحكم فى اقتصادها هم اليهود، بينما أمريكا ليس لها دين رسمى، واليهود يدعون إلى ذلك، وهى الدعوة إلى «العلمانية».

ويجب أن ندرك أن اليهود عندهم مايشبه جمعية سرية، لها بروتوكولات، ولها مخططون، وهم يشتغلون تحت الأرض، ولا يحبون أن تنكشف هذه المخططات، فهم عندما يقسمون العالم قسمين، يلعبون على هذا وعلى ذاك، فاليهودى ليس له ولاء إلا لنفسه ولمصلحته فقط، فهو يريد أن يكون هو المتحكم الكلى، وذلك هو مايحدث، فعدد اليهود فى العالم كله ١٥ مليوناً، منهم ٣ مليون فى فلسطين، و٣ مليون فى نيويورك وحدها من بين ٦ مليون يهودى فى أمريكا موزعون على مراكز التجارة بها التى تسيطر على أعصاب الاقتصاد الأمريكى.

وهم كانوا يتمنون أن يسيطروا على العالم كله من خلال روسيا(*)، وليس من خلال أمريكا، فالثورة البلشفية كان على رأس قياداتها ١٤ يهودياً من بين السبعة عشر قادتها، وبعد موت لينين عام ١٩٣٢، أراد «تروتسكى» وهو يهودى أن يسيطر على الدولة، وكان وقتها وزير داخليتها، وقام بعمل انقلاب للوصول إلى ذلك، لكن ستالين كان له سيطرة داخل الحزب، فأغلق أمامه الطرق، فهرب تروتسكى إلى

(*) وحينما تم تأليف «اللجنة المركزية للحزب الشيوعى» عام ١٩١٨، وهى أعلى سلطة فى الاتحاد السوفيتى، كانت تضم تسعة من اليهود من بين أعضائها الاثنى عشر، وكان لينين متزوجاً من يهودية، وأمه يهودية أيضاً. وفى عهد ستالين تألفت «اللجنة المركزية للحزب الشيوعى» عام ١٩٣٦ من ٥٩ عضواً منهم ٥٦ يهودياً، والثلاثة الباقين كانوا متزوجين من يهوديات أيضاً بما فيهم ستالين.

أمـريكا الجنوبية، لكن سـتالين تتـبعـه وأرسل من قـتله هناك. وبعـد ذلك تجـمع اليهود وأرادوا أن يفعلوا ما لم يستطيعوا أن يفعلوه عن طريق تروتسكى، فأرادوا أن يفعلوه عن طريق «مؤامرة الأطباء» وهى عملية معروفة فى التاريخ، حينما أراد اليهـود أن يقتلوا المعـارضين لهم عن طريق الطب، لكن سـتالين اكتشف المؤامـرة، وأدرك اليـهـود أنه ليست لهم حياة فى روسـيا، رغـم أنهم فى إسـرائيل يطبـقـون نفس النظام الشيوعى كالمزارع الجماعية عندهم، لأنهم يعتبرون أن ذلك هو الحل الأمثل لتجـميع كل رؤوس الأمـوال، وكل فائض القـيمـة لعمـال الحد الأدنى للأجـر، فيكونوا متحكمين تحكماً مطلقاً، وذلك تحت تصور أنهم الشعب المختار، وأن الله قد سخر كل الناس لهم ليكونوا عبيداً لهم.

ملحق خاص

ضد الحملة «السعدهودية»

CIA Payoffs to Mideast Leaders Called a Profitable Venture

System Is Said to Yield Rich Returns in U.S. Influence, Intelligence

صورة مما نشرته صحيفة «هيرالد تريبيون» فى ٢٥ فبراير عام ١٩٧٧، وتؤكد الصحيفة بأن كمال أدهم هو الذى كان يمد السادات بدخل ثابت من المخابرات الأمريكية مقابل أن يقوم بإبلاغه بما يحتاجونه.

نقدم فى الصفحات التالية مقتطفات مما كتبته بعض الأقلام الشريفة ضد حملة «الأستاذ» إبراهيم سعدة على السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية.

ونبدأ بمقال للكاتب الكبير عبدالله إمام، نشره فى صحيفة «العربى» على ثلاث حلقات بتاريخ ٨، ٩، ١٠ فبراير عام ٢٠٠٠.

حكاية حسين الشافعى مع السادات

كنا أول من تصدى للحملة المغرضة التى اشتعلت ضد السيد حسين الشافعى، والتى بدأت فى جريدة الوفد بعد سلسلة الأحاديث التى أجرتها معه قناة الجزيرة القطرية.

ولم يكن حسين الشافعى قد تعرض للرئيس السادات بعد عندما فتحت جريدة الوفد النار عليه!

يومها قلت إن الرجل يروى وقائع شارك فيها أو شاهدها.. وأن من يملك حق الرد عليه واحد من اثنين.. إما أن يكون مشاركاً له، وشاهد نفس الأحداث، أو أنه يملك وثائق تقول العكس وماعدا ذلك فهى مجرد آراء لا قيمة لها!

وكان واضحاً من البداية أن المقصود هو استمرار حملة الوفد على ثورة ٢٣ يوليو، التى كان حسين الشافعى عضواً بمجلس قيادتها.. والذى لعب دوراً ليلة قيامها فى تحريك القوات المسلحة ثم تولى مسئوليات تنفيذية عديدة فيها.. وظل مشاركاً فى جميع مراحلها وقراراتها حتى رحيل جمال عبدالناصر، ثم أصر السادات فى البداية على استمراره معه، رغم أنه الوحيد الذى عارض اختيار السادات رئيساً خلفاً لجمال عبدالناصر.. على نحو مايذكره السادات نفسه فى كتاب «البحث عن الذات» من أن الوحيد الذى اعترض على اختياره رئيساً بعد عبدالناصر هو زميله عضو مجلس قيادة الثورة.

وقد ظلت الحملة على حسين الشافعى حزبية وفدية كجزء من تصفية حسابات الوفد مع الثورة.. حتى تعرض الشافعى لفترة السادات، ولأنور

السادات نفسه، فهاجت الدنيا .. وقامت ولم تقعد، مما يدل على أن السادات ونظامه هش يخشى عليه أن يتعرض للضوء، فتنهار الصورة التى حاول البعض أن يختلقها، ويزينها للناس، بألوان زائفة، يخشون معها، أن تتعرض للشمس فتذوب كل المساحيق، ويعرف الناس ماحجب عنهم!

لقد صدرت آلاف الكتب ضد عبدالناصر وأذيعت مئات الحوارات ضد حكم عبدالناصر، وضد الثورة، ولم ينتفض أحد دفاعاً عن زعيم عربى وطنى، ولم يهتم أحد بأن يكشف زيف هذه الحملات، أو يواجهها.

فى سنة٨٥ نشرت كتاباً عنوانه «حقيقة السادات» خصصت فيه فصلاً لعلاقة حسين الشافعى بأنور السادات، وقد رجعت إليه قبل كتابته، وتحدث عن هذه العلاقة، وقد أعيدت طباعة الكتاب أكثر من مرة، الآراء التى أبداها حسين الشافعى إذن قديمة.. وثابتة، وسبق أن نُشرت مرات عديدة، مما يدعو للعجب من هذه الحملة التى أرى أنها تستهدف ثورة يوليو، وليس حسين الشافعى وحده.

حسين الشافعى المولود فى ٨ فبراير سنة ١٩١٨ فى مدينة طنطا دخل الكلية الحربية عندما سمحت بريطانيا بزيادة عدد ضباط الجيش، وكان عام ١٩٣٦ بداية التغيير الحقيقى فى القوات المسلحة عندما التحق أبناء الشعب المصرى لأول مرة بالكلية الحربية، وكان من زملائه زكريا محيى الدين وأنور السادات.

وكان من أوائل الضباط الوطنيين الذين انضموا لتنظيم الضباط الأحرار الذى أنشأه جمال عبدالناصر، وليلة ٢٣ يوليو قاد سلاح المدرعات، ليكون دوره حاسماً فى نجاح الثورة، بينما كان أنور السادات فى سينما الروضة الصيفية، وعندما عاد منها، كما يقول حسين الشافعى: «لم نكن فى حاجة إليه، فقد كان دوره أن يعطل التليفونات باعتباره فى سلاح الإشارة، وعندما جاء كنا قد استولينا على القيادة وأصبحنا نحن فى حاجة إلى التليفونات لاستخدامها».

فهو ليس صاحب دور فى الثورة.. بينما يصف السادات بنفسه فى مذكراته

«البحث عن الذات» دوره فى الثورة بعد أن ذهب بعد انتهاء كل شىء قائلاً: «كدت أجن.. كيف تقوم الثورة.. ولم أشارك فيها». وكان حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة وزيراً للحربية، ثم وزيراً أكثر من مرة للشئون الاجتماعية، وللأوقاف وشئون الأزهر.

وهو الذى وضع أساس التأمينات الاجتماعية والمعاشات لأول مرة فى مصر، وأشرف على تطوير الأزهر، وكان نائباً لرئيس الجمهورية منذ عام ٦١ حتى أبلغه ممدوح سالم فى أوائل سنة ١٩٧٥ أن الرئيس السادات اختار نائباً له هو الفريق حسنى مبارك، ولم يصدر قراراً بتنحيته عن منصبه كنائب لرئيس الجمهورية حتى الآن.

ومنذ ذلك التاريخ وهو يجلس فى بيته لايخرج إلا للصلاة أو لبعض الزيارات العائلية، والأنشطة الاجتماعية القليلة. ولتغطية نفقاته باع جانباً من حديقة الفيللا التى تَملّكها من الجمعية التعاونية لضباط القوات المسلحة لتقام على الأرض عمارة شاهقة، وفى الأعوام الأخيرة ورثت زوجته عن والدها مساحة من الأرض فى مرسى مطروح كان عليها نزاع ودت لو خلصت منه حتى تقيم بثمن الأرض مسكناً بعيداً عن ضوضاء القاهرة!!



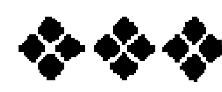
سنة ١٩٨٢ سألت السيد حسين الشافعى: لماذا انفردت دون زملائك أعضاء مجلس الثورة بعدم السير فى جنازة أنور السادات وأنا أعرف أن زملاءك أعضاء المجلس قد اتصلوا بك لتشاركهم تشييع جثمان الرجل، ولكنك لم توافق؟..

وقبل أن تجيبنى أريد أن أقول لك ما كتبته مراسلة التليفزيون الأمريكى فى القاهرة دورين كايز عن هذه الجنازة، ولا أحد يشك أنها كانت معادية للسادات، لقد قالت بالنص: «إن الرجل الذى مات ودفن الآن بطل أجنبى.. بطل بالنسبة للغرب. لقد سار فى جنازة السادات ١٨ رئيساً حالياً وسابقاً و٥ أمراء كلهم من أوروبا، وأمريكا بينهم كارتر وفورد وميتران وديستان وأمير الدانمارك والأمير تشارلز ورئيس إيطاليا وألمانيا وأيرلندا وزوج ملكة هولندا وبيجين وشارون ويوسف بورج ورئيس عربى واحد هو جعفر نميرى.

لذلك عندما سألت حسين الشافعى: لماذا رفضت الاشتراك فى الجنازة؟

قال لى: لأن الرسول ﷺ نهانا عن ذلك.. وإذا كان هذا هو موقف حسين الشافعى بعد أن اختار أعضاء اللجنة العليا السادات رئيساً، فإن موقفه بعد مقتل السادات كان مختلفاً عن الاشتراك فى جنازة أنور السادات، ليس موقفاً شخصياً، ولكنه نابع من رؤية موضوعية، كما أن له من الأسباب الجوهرية - وجهة نظر - ما دفعنى إليه وليس هناك مجال للحرج أو المجاملات فى القضايا الحيوية.

يقول الشافعى: «لقد كان رسول الله ﷺ أكثر الخلق رقة ورحمة، وعندما يصدر إليه توجيه من الله، فهو يضع الأساس للقضايا المبدئية، والموضوعية والقيادية، وعندما يقول بالنسبة للمنافقين ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.. وعندما يقول الله تعالى: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ فإن هذا يضع تحديداً للمواقف الأساسية ويعطى توجيهاً للقيادة ألا تتساهل فى مثل هذه الأمور، حيت لا يختلط الأمر على الناس.. وسوف يقول البعض إن الموت أكبر من كل شىء وعفا الله عما سلف، إذ أنه فى ذمة الله وحسابه عند الله.. إذا كان الأمر كذلك فلماذا قال الله تعالى ذلك لرسوله ﷺ؟ ولماذا أعطاه هذا التوجيه؟».



علاقة حسين الشافعى بأنور السادات طويلة ومعقدة، ومن الغريب أننى نشرت تفاصيلها منذ بدايات الثمانينيات.

لقد التقيا فى الكلية الحربية، ولكنهما لم يكونا أبداً صديقين، رغم أن الشافعى - كما قال - فوجىء بالسادات عضواً بمجلس قيادة الثورة وزميلاً له.. كان صعباً أن يلتقيا قبل ذلك.. وعندما تخرجا فى الكلية الحربية التحق حسين الشافعى بسلاح الفرسان، وذهب أنور السادات إلى سلاح الإشارة.

ولم يكن هناك أى مجال للقاء أبداً. مرة واحدة قبل الثورة ذهب حسين الشافعى إلى الوحدة المجاورة لوحدته التى كانت تعسكر فى مدينة رمسيس بامبابة.. وهناك التقى بأنور السادات.

كان حسين الشافعى مثل كل ضباط الجيش مستفزاً بما تردد عن نية بريطانيا سحب الأسلحة من الجيش المصرى الذى لن يدخل الحرب، لتستخدمه هى فى الحرب.

وكان ضباط الجيش ثائرين، دون أى تنظيم، يقاومون عملية جمع السلاح، وذهب حسين الشافعى ليستطلع رأى الوحدة المجاورة، وهناك التقى بأنور السادات ووجده لديه روحاً طيبة لهذه الفكرة!

ومضت سنوات طويلة، قبل اللقاء الثانى بينهما عندما ظهر السادات بعد نجاح الثورة، والاستيلاء على مقر قيادة الجيش.

بعدها.. كان يلتقى به كثيراً، وخاصة فى منزل خالد محيى الدين، الذى كان يحلو له أن يمضى وقتاً مع السادات لأنه كان يضحكه ويسليه.

ولم يأخذ الشافعى السادات مأخذ الجد أبداً، من تلك الجلسات التى كان يقوم فيها أنور بدور المضحك!

وخلال المسيرة، تكشف لحسين الشافعى أن السادات شديد الولاء لعبدالناصر.. شديد الولاء لعبدالحكيم عامر!

وعندما عرضت قضية مؤامرة رجال المشير على حسين الشافعى رئيس المحكمة أيقن أن عبدالناصر لو دقق لأدخل السادات القضية، كأحد رجال المشير، فإن دوره لم يختلف كثيراً عن دور عباس رضوان، كل مافى الأمر أن عباس رضوان انكشف دوره.

ولم يكن عبدالناصر راغباً فى أن تتسع القضية، حتى إن النيابة كانت قد أعدت الاتهام، ووجهته إلى ١٦٢ ضابطاً، رأى عبدالناصر اختصارهم حتى وصل إلى ٥٣ ضابطاً فقط!

وكان حسين الشافعى قد تعرض للموت صبيحة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، فقد كانت هناك طائرة تقله هو ومعه طاهر يحيى رئيس وزراء العراق إلى مطار أبو صوير.

وعندما هبطت الطائرة فى المطار ضُربت من الطيران الإسرائيلى العدو فى بداية عدوان ١٩٦٧.

ولدى حسين الشافعى اعتقاد يشبه اليقين، بأن هذا الاعتداء على طائرته، التى ضربت بعد لحظات من خروجه منها، كان مدبراً. ويعتقد أكثر أن الذى دبره هو أنور السادات، حتى تخلو له الأقدمية.. ويكون هو الرجل الثانى بعد عامر.

ويعتقد أن هذا التدبير للتخلص من حسين الشافعى تم بمعرفته وبالتعاون مع بعض رجال المشير، وكان السادات صديقاً لهم، لأنه واحد منهم!!

وربما يزيد هذا الاعتقاد، بعد أن تجرى أثناء رئاسة السادات محاولة أخرى لاغتياله.

وفشلت محاولة أغتيال حسين الشافعى عام ١٩٦٧ - كما يتصور - وبدأت محاولة السادات الثانية لاغتياله كما يقول..

المعروف أنه عندما توفى عبدالناصر كان أنور السادات نائب رئيس الجمهورية الوحيد..

ولكن حسين الشافعى ينفى ذلك قائلاً لى إن هذا غير حقيقى لقد كان السادات يخطط لها الأمر مبكراً جداً، فبعد استقالة عبدالحكيم عامر وشمس بدران، تطور السادات، وكتب استقالته، وقال إنه ذهب ليحضر استقالتى زكريا محيى الدين وحسين الشافعى.

وحصل على استقالة من زكريا محيى الدين. أما أنا، فلم يجرؤ على أن يقترب منى.. وعندما ذهب بالاستقالات لجمال عبدالناصر قال له جمال: الموضوع الخاص بعبدالحكيم انتهى وأنه بهذه الاستقالات التى ليس لها مبرر يحدث انهياراً دستورياً.

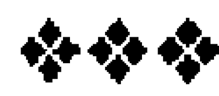
فالاستقالات إذن لم تكن قائمة.. ولم يكن السادات هو النائب الوحيد.

ويقول حسين الشافعى: أذكر أنه عندما شكل مجلس الرئاسة بعد الانفصال عام ١٩٦٢ ذهبت إلى جمال عبدالناصر، أقول له إنه لا يليق أن يكون فى مجلس

الرئاسة جميع أعضاء مجلس الثورة السابقين بدرجة نائب رئيس إلا اثنين أحدهما أنور السادات.

ويومها قال لى الرئيس عبدالناصر بالنص: انت بتقول إيه؟.. عاوز السادات يبقى نائب رئيس، والناس تاكل وشنا.. انت مش عارف سمعته فى البلد إيه؟

جمال عبدالناصر الذى قال لى ذلك عام ١٩٦٢، هو نفسه الذين عين السادات عام ١٩٦٩ فى الوقت الذى كان فيه حسين الشافعى نائباً للرئيس منذ عام ١٩٦١.



المهم أصبح السادات نائباً للرئيس.. وربما كان وراء ذلك أسباب عديدة نختلف أو نتفق فيها مع حسين الشافعى فليست هذه هى القضية الآن.

وفى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وكانت تمثل أعلى سلطة فى البلاد. عندما عرض د. لبيب شقير عضو اللجنة ورئيس مجلس الأمة أمر ترشيح السادات.. يقول السادات نفسه فى «البحث عن الذات»: إن حسين الشافعى اعترض.

وعندما يسترجع حسين الشافعى هذه الذكريات يقول لى: إننى لو كنت أحسست أن أنور السادات يمشى فى الطريق الصحيح وينهج النهج الوطنى والنضالى والقومى الذى كنا نسير عليه فى مراحل الثورة كنت أول من يضع نفسه فى خدمته. وعندما شعرت أن هذا غير موجود بالمرة، كان هو من الجانب الآخر يعمل على إبعادى، وقال فى نفسه سأتركه يسقط مثل أوراق الخريف دون معركة.

وتنبهت لذلك، لم يدعونى إلى أى اجتماع لمجلس الوزراء، كان من المفروض أن يجتمع الرئيس ونائبه بالوزراء، مرة كل خمسة عشر يوماً، كان يذهب إلى مرسى مطروح ويلتقى بالقذافى، حتى لا أحضر اللقاء.

فى أواخر عام ٧٣ و٧٤ بدأت عمليات فك الاشتباك واستقبالاته لكيسنجر،

وبعضها تم فى أسوان حتى لا أحضرها وتجاهل استدعائى، وأحمد الله أننى لم أدع إلى أى من هذه الاجتماعات.

قبل حرب ٧٣ مباشرة جاءتنى دعوة لزيارة كوريا الشمالية من نائب رئيسها، رداً على زيارته لمصر، وكان مفروضاً أن تكون زيارتى فى الربيع أو الخريف.

وأرسلت إلى السادات أسأله هل الوقت مناسب للموافقة على هذه الدعوة؟ وجاءنى الرد بعد ساعات بأنه يمكن أن أسافر فوراً، كان ذلك فى سبتمبر ١٩٧٣.

ومن سوء حظ السادات أننى عدت يوم ٣ أكتوبر ٧٣ - قبل الحرب بثلاثة أيام - والذى زاد من إزعاجه، أننى عندما علمت بالحرب بصفة شخصية، من أحد موظفى مجلس الوزراء، فوجىء بوجودى فى مركز القيادة بجواره.

وكان هذا هو اتصالى الوحيد به، وقد نزل عليه حضورى كالصاعقة.

بدأ السادات يخطط للتخلص من حسين الشافعى بعد أن تخلص من على صبرى مباشرة.

ففى يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧١، كان حسين الشافعى فى طريقه إلى منزل جمال عبدالناصر لحضور الاحتفال بالذكرى السنوية.

وفى طريق صلاح سالم فاجأته سيارة كبيرة، بمقطورة تأتى مسرعة من الجانب الآخر وتعبر الشارع فى تعمد واضح فى محاولة للاصطدام بسيارته.

ولكن سائقه كان مسرعاً فنجا الشافعى من عملية القتل وأصيبت سيارة الحراسة التى كانت خلفه.

ويقول لى حسين الشافعى إنه رأى وكيل وزارة الداخلية يقف بسيارته فى أول شارع جانبى بعد الحادث مباشرة، ومع ذلك فإنه لم يجر أى تحقيق فى الواقعة.

ومعنى رواية حسين الشافعى أن السادات، حاول اغتياله، ولكن فشل فى محاولته.

كانت العلاقة بين الرئيس ونائبه أغرب علاقة، فالنائب لايشترك فى أمور الدولة، ويسمع أخبارها من الإذاعات.

بينما يذهب كل صباح إلى مكتبه، ولا يتصل بالرئيس أو الوزراء، هو لايتصل بأحد.. ولا أحد يتصل به.

ومع ذلك فإنه عندما يأتى رؤساء أجانب، كان الشافعى يتواجد فى استقبالهم، بالمطار فقط محافظة على الشكل.

وذات مرة كان الرئيس البلغارى يزور مصر وذهب الشافعى إلى السادات وصحبه فى سيارته إلى المطار لوداع الزائر.

وبعد سفره فوجىء بأن السادات يصحب معه فى سيارته رئيس الوزراء عزيز صدقى ويتركه على أرض المطار.

غضب حسين الشافعى وأسرع إلى سيارة الرئيس، وفتح الباب ودفع عزيز صدقى إلى الداخل وجلس بجانبه وأغلق باب السيارة.

كان السادات مقرراً أن يذهب مع عزيز صدقى لحضور اجتماع مجلس الوزراء، وفرض حسين الشافعى نفسه عليهما، حتى وجد نفسه يجلس على يمين الرئيس فى اجتماع مجلس الوزراء.. وفى هذا الاجتماع قال رأيه بصراحة فى سياسة السادات.

لم يكن السادات سعيداً بحضور الشافعى الاجتماع، كما أنه لم يكن سعيداً بسماع رأيه، وتجاهل السادات حسين الشافعى بعد ذلك تماماً فى كل المناسبات الرسمية، وغير الرسمية.

ولم يلتق به أبداً بعدها، لم يجد حسين الشافعى أمامه ليقول رأيه فى سياسة السادات إلا أن يذهب إلى المساجد، بعد انتهاء صلاة الجمعة يقف خطيباً فى الناس، ويقول رأيه فى سياسة رئيس الجمهورية.

وكان غريباً أن يرى الناس نائب الرئيس كل أسبوع يوم الجمعة يهاجم سياسة الدولة فى المساجد لأنها الوسيلة الوحيدة أمامه لإعلان رأيه.

كان واضحاً أن السادات الذى يعلن باستمرار عن إيمانه بالديمقراطية لا يطيق الرأى الآخر، ويضيق به، حتى لو كان الرأى لنائبه، لذلك أبعده عن المسئولية تماماً، وانفرد بالسلطة تماماً، ولم يجد نائب رئيس الجمهورية فى ظل المناخ الديمقراطى إلا أن يخطب فى المساجد العامة ليعبر عن رأيه!

وعندما سألت حسين الشافعى عن المساجد التى تردد عليها، قال لى اسألنى عن المساجد التى لم أتردد عليها، أى أنه ألقى خطبه فى معظم مساجد القاهرة على الأقل.

ذات مرة وقف حسين الشافعى خطيباً فى أحد المساجد وقال:

«إنه لما انهارت الدولة الفاطمية، وكان يقود الخلافة فى مصر العاضد بالله، وكان طفلاً عمره ١٣ عاماً، وأصبحت القضية هى الصراع على السلطة بين ضرغام وشاور، ولما قتل شاور ضرغام، استنجد جيش مصر بسوريا، التى أرسلت جيشاً بقيادة أسد الدين شريكوه، وجاء معه ابن أخيه صلاح الدين. وكان المانع الوحيد لتطلعات شاور أن يصل للملك والسلطة، هو وجود جيش سوريا فى مصر.

فأراد شاور أن يستعين بجيش الملك «إمرى» ملك مملكة أورشليم، ليخلصه من وجود الجيش السورى فى مصر.

فأرسل رسالة اختطفها الوطنيون والمناضلون من مصر، وأحضروها لصلاح الدين الذى كان يتولى السلطة فى هذا الوقت وجاء فى الرسالة بالنص:

وبدأ حسين الشافعى يقرأ الرسالة، كما يحفظها وكانت بداية الرسالة تقول «عزيزى إمرى».. وكان السادات قبلها بيوم واحد قد قال فى مؤتمر صحفى «عزيزى هنرى»!

لذلك عندما نطق حسين الشافعى بداية الرسالة «عزيزى إمرى».. ضحك المصلون، لأنهم ربطوا بين هذه الكلمات ونداء السادات على عزيزه هنرى كيسنجر!

الرسـالة تقـول: «عـزيزى إمـرى.. تعـالى وخلصنى من الجـيش السـورى، ومكافأتى لك، ستكون أنت ملكاً على الدلتا، وأنا أميراً على الصعيد».

ويواصل حسين الشافعى قائلاً للمصلين «إنه ما كان من صلاح الدين عندما وقع فى يده دليل الخيانة إلا أن أطاح برأسه».

لم يذكر حسين الشافعى اسم السادات، ولكنه كان واضحاً مايقصده!

● تكلمت كثيراً..

ويقول لى حسين الشافعى: إنه لم يكن أمامى سوى أن أتكلم وتكلمت كثيراً جداً، فى البداية كنت أتكلم امام من سيوصلون الرأى للسادات.. ثم وجدت أنه لابد أن يصل رأيى إلى الناس، ولذلك ذهبت إلى المساجد، وكان بالطبع يصله كلامى فكان يقول فى خطبه «اللى مش عاجبه أو اللى تعبان يمشى»، وكنت أفهم أنه يوجه إلىّ هذه الكلمات..

وكنت أقول لمن أعرف أنهم سوف يبلغونه لماذا يقول السادات ذلك؟ إنه إذا كان هو تعبان يمشى هو!

كنت مصراً على الاستمرار فأنا صاحب البيت الذى يمثل ضمير الثورة!

قلت لحسين الشافعى: لماذا بقيت معه إذن؟

قال: لأنى كنت أمثل ضمير الثورة، ولذلك لم يتخذ أبداً أى قرار يخالف الثورة فى وجودى، وأنا صاحب البيت وهو الدخيل عليه، فماذا كان دوره فى الثورة؟

يوم ١٤ أبريل ١٩٧٥ فوجىء حسين الشافعى برئيس الوزراء ممدوح سالم يطلبه، ويريد تحديد موعد لمقابلته.

وطلب الشافعى من السكرتير أن يحدد له موعداً، فى نفس اليوم.. وكان الموعد فى الواحدة والنصف.. وتأخر ممدوح سالم عن الموعد خمس دقائق.

فقام الشافعى لأداء فريضة صلاة الظهر.. وعندما دخل مدوح سالم، ومعه المصورين وكاميرات التليفزيون، فوجئوا بنائب رئيس الجمهورية يصلى..

وأطال حسين الشافعى فى الصلاة متعمداً. وممدوح سالم واقف، والمصورون واقفون، وأنوار عدسات التليفزيون أطفئت.

ولما أتم الصلاة مد ممدوح سالم يده ليصافح السيد النائب، ولكن حسين الشافعى أمام الجميع قال له إننى لن أصافحك قبل أن تجيبنى على سؤال..

● **الفنية العسكرية..**

وانصرف المصورون، وجلس ممدوح سالم يسأل السيد النائب ماذا حدث؟ وأجابه الشافعى: إنه جاء فى تسجيل أول يوم من محكمة قضية الفنية العسكرية على لسان صالح سرية أمام المحكمة، أن أحد ضباط المباحث العامة، واسمه عبدالقادر قد استدعاه وعذبه، وكشف عن آثار التعذيب أمام المحكمة.

وقال الضابط إنه لن يتركه ويخفف عنه إلا بعد أن يشهد أن حسين الشافعى هو رئيس هذا التنظيم بشعبتيه المدنية والعسكرية.. وأخرج له كشفاً بأسماء ضباط من الحرس الجمهورى، والقوات المسلحة والأمن المركزى بينهم أسماء الفريق محمد أحمد صادق والفريق سعد الدين الشاذلى.

وعلل ممدوح سالم ذلك قائلاً: إن أى متهم تحيط به الأدلة، لايجد أمامه إلا أن يدعى مثل هذا الكلام لينفى التهمة عن نفسه.

وسأل حسين الشافعى ممدوح سالم: انت جاى ليه؟ ورد ممدوح سالم: كنت جاى أبلغ سيادتك إن الرئيس أنور السادات ينوى تعيين نائب رئيس.

ورد عليه الشافعى: هذه هى سلطاته الدستورية، أن يعين نائباً أو أكثر وفقاً لحجم المسئولية، ولتقديره.

وفوجىء ممدوح سالم بأن حسين الشافعى لم يبد عليه أى أثر للنبأ الذى سمعه، فلم يعرف كيف يتصرف إلا أن قال: ياافندم ممكن تتصل بالرئيس.

ورد حسين الشافعى: هل هو الذى كلفك بأن تبلغنى أن أتصل به، أم أنه اقتراح من عندك؟

وازداد ارتباك ممدوح سالم وهو يقول: أنتم زملاء يا افندم..

ورفض حسين الشافعى أن يتصل بالسادات.

وهكذا أبعد عن المسئولية فيما يسميه حسين الشافعى اللاقرار الجبان.. فلم يصدر قرار بإنهاء خدمته، ولم ينشر أى شىء عن إبعاده عن المسئولية.

ويقول حسين الشافعى: إن هذه طبيعة السادات دائماً، فهو لا يواجه أبداً.

لم يسكت حسين الشافعى.. فقد استمر يقول رأيه فى سياسات السادات التى يرفضها، والتى يعتبرها ردة عن كل المقومات الأساسية لثورة يوليو.

واستمر أيضاً يقول رأيه فى المساجد كلما أمكن ذلك.. وكان آخر ما قاله حسين الشافعى فى بداية عام ١٩٨١، وبالتأكيد فإنه استفز السادات الذى كان يسجل كل مايدور فى مساجد مصر!

كان حسين الشافعى يؤدى صلاة الجمعة فى مسجد الخلفاء الراشدين، ومن فوق المنبر طلب إمام المسجد الدكتور سليمان ربيع من المصلين عدم مغادرة المسجد، لأن بيننا رجل عظيم نريد أن نسمعه هو السيد حسين الشافعى.

● **فى المسجد..**

والحقيقة أن حسين الشافعى كا قال لى فوجىء أنه لم يكن جاهزاً للكلام، ولا مستعداً له، ومع ذلك فقد وقف ليقول:

«إننا فى سنة ١٩٨١ وقد ذهب بى الفكر إلى عام ٨١ منذ مائة سنة الذى كان مقدمة الاحتلال البريطانى، ويجب أن نعرف ماذا فعلت السلطات البريطانية بعد أن نجحت فى احتلال مصر.

أول ما فعله الاحتلال البريطانى هو أنه ذبح كل رجال الثورة العرابية، ولكنه أبقى على الرمز ليغتال معناه، أبقى عليه ليحاكمه، ويدعى أنه انهار وطلب الرحمة من جلاديه، ومن الذين يحاكمونه.

والشىء الثانى الذى فعله الاحتلال البريطانى أنه قال إن الجيش لا لزوم له.. بعد أن احتلت مصر، لابد من التخلص من الجيش فأقصوا الضباط الكبار، ووجدوا الطريقة المناسبة لإبعادهم».

كان الناس يتحدثون عن أن السادات دبر عملية قتل الفريق أحمد بدوى وعدد من الضباط الكبار الذين سقطت بهم الطائرة الهليكوبتر فى واحة سيوة.. لذلك ربط المصلون كما ظهر فى تعليقاتهم المسموعة بين الحادثين.

وواصل حسين الشافعى حديثه عن الجيش قائلاً:

«إن الإنجليز بعد ذلك أرسلوا الجيش للسودان بافتعال ثورة المهدى، وقتل جوردن الإنجليزى..!

والشىء الثالث الذى فعله الاحتلال البريطانى أنه قال إنه لم تعد هناك حاجة للمصانع الحربية، وزيادة فى المهانة، فقد جعلوا من مركز هذه المصانع مركزاً للكشف على المومسات فى الحوض المرصود.

الشىء الرابع الذى قام به الاحتلال بعد كل ذلك، أن اتجهوا إلى الاقتصاد الوطنى المصرى، فحطموا كل الصناعات الوطنية، ثم أدخلوا البنوك الأجنبية، بنوك الرهونات لترهن ماتبقى من ثروة البلد، وليرهنوا الأرض، بعد أن يغرقوها فى الديون!».

وأنهى حسين الشافعى خطابه القصير قائلاً:

«ما أشبه الليلة بالبارحة».

وكان الإسقاط واضحاً..

ولكن السادات لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً لحسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الذى لم يصدر قراراً بعزله، والذى لم يكن يحتل موقعاً رسمياً فى الوقت نفسه.

● العلاج للراقصات..

بعد أن ترك حسين الشافعى المسئولية بسنوات جاء بعض زملائه الضباط فى سلاح الفرسان.. وحكوا له قصة مؤلمة عن حال أحد زملائهم الضباط، وكان أيضاً عضواً فى تنظيم الضباط الأحرار، وكان يعانى من سرطان فى الرئة.. وقد أرهقته نفقات العلاج حتى استدان.

وكان كل زملائه السابقين يجمعون من أنفسهم مبلغاً كل شهر يذهبون به إلى زميلهم فى الفراش، ليعينه هو وأسرته على نفقات العلاج والحياة.

وضغط زملاء حسين الشافعى عليه، قائلين إنهم يسئوا من الاتصال بالرئاسة التى تنقل الفنانين والراقصات للعلاج على نفقة الدولة وأحياناً بطائرات خاصة، ولم يكن ذلك طعناً فى الفنانين، ولكنهم قالوا إن هؤلاء على كل حال فى ظل ظروف مادية، وأوضاع اقتصادية أفضل بكثير من زميلهم الذى لايملك سوى معاشه والذى ينام فى الفراش منذ سنوات.

كان رأى الزملاء أن حسين الشافعى هو القادر على حل مشكلته عن طريق كلمة واحدة منه إلى السادات.. ولم يكن حسين الشافعى يعتقد أن ذلك صحيح، كما حاول إفهامهم.. ولكنه إزاء إصرارهم، وحتى يخلص ضميره قال لى: «تحاملت على نفسى وكم كان شاقاً على نفسى، وكتب له رسالة أطلب أن تتحمل الدولة تكاليف علاج الزميل عضو الضباط الأحرار والمناضل القديم.. وأرسلت الرسالة إلى السادات.

وفى يوم ٦ ديسمبر ٧٨ الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة وجدت مظروفاً من رئاسة الجمهورية، معنوناً باسم السيد حسين الشافعى من السيد الرئيس.

وفتحت المظروف وإذا بداخله الخطاب الذى أرسلته للسادات فى مظروفه مغلقاً لم يفتح. وعلى الظرف تأشيرة بخط يد السادات نصها «يعاد للسيد حسين الشافعى كما هو».

وكان سبب إعادة الرسالة أن السادات غضب من أن حسين الشافعى كتب على المظروف السيد/ محمد أنور السادات، لذلك وضع تحتها خطاً بيده، وكان يريد أن يخاطب باسم السيد الرئيس أو على الأقل «الأخ».

وكان زكريا محيى الدين أرسل له رسالة بنفس الطريقة، إلا أنه بعد أن قرأها مزقها! وكان غاضباً جداً لما حملته الرسالة من رأى زكريا محيى الدين الواضح فى سياسته أولاً، وثانياً لأنه كتب على المظروف اسم السيد/ محمد أنور السادات دون أن يسبقه بكلمة الرئيس.

● **رفض السادات..**

وربما كانت الرؤية واضحة تماماً أمام الشافعى وهو يرفض دون كل زملائه فى اللجنة العليا الموافقة على اختيار السادات رئيساً.

وقال لى: إنه عندما قرر الجميع بالأغلبية اختياره رئيساً، قلت: «علىّ أن أحترم قضاء الله».

وكان أمامى عدة احتمالات أهمها:

■ الاحتمال الأول أن أستقيل.. وكنت أعتبر نفسى أميناً على هذه الثورة ووجودى يمثل الضمير!

وعلى كل فإنه لم يحدث أى شىء مضاد للثورة إلا بالهروب منى، وعدم مواجهتى.

■ والاحتمال الثانى أن أستمر، وفى حالة الاستمرار فإن لى دوراً لأننى مؤسس وصاحب بيت، وصاحب البيت لايهرب منه، ولا يتركه للغاصبين.

طلب أحد المؤلفين غير المعروفين من حسين الشافعى أن يكتب له مقدمة لكتابه «مصر: إلى أين؟ وكيف؟»، وترك له مسودة الكتاب أكثر من ستة شهور قرأه خلالها حسين الشافعى، وفى مثابرة كان المؤلف يطلب المقدمة ويتردد على بيت السيد النائب حتى كتب له المقدمة.

حاول المؤلف الشاب أن يطبع الكتاب فى مصر، ولكنه فشل، فلجأ إلى أحمد(*) نجل حسين الشافعى الذى تعرف عليه فى منزل النائب لكى يعاونه فى إرسال الكتاب للخارج.

وألقى القبض على أحمد نجل حسين الشافعى ومعه الكتاب، وحقق معه، ولم تكن هناك قضية فأفرج عنه.. وكانت هذه هى نهاية علاقة حسين الشافعى بأنور السادات.

● **رسائل غاضبة..**

بقى أن حسين الشافعى أرسل للسادات رسالة غاضبة عقب الإفراج عن ابنه وبمناسبتها فقط.

(*) كان أحمد وقتها ضابطاً برتبة رائد فى سلاح البحرية المصرية، وقد أجبر على الاستقالة بعد ذلك، ويعمل حالياً رباناً على السفن التجارية.

لم يأت فى الرسالة ذكر واقعة القبض على ابنه، ولكنه حدثه فيها عن اللاقرار الجبان الذى «أصدره» والديمقراطية الكاذبة التى يتحدث عنها.(*)

هذه هى قصة العلاقة المعقدة بين حسين الشافعى والسادت.. ولكن هذه الحملة الشديدة على الشافعى لها أسباب أخرى.

لقد فجر الشافعى قضايا كانوا يريدونها خافية.. قضية إدارة حرب ١٩٧٣ وقضية علاقة السادات بالمخابرات المركزية الأمريكية..

والغريب أن إدارة الحرب كانت ومازالت موضع مناقشات القادة العسكريين أنفسهم.. وأن علاقة السادات بالمخابرات الأمريكية سبق أن أثيرت بتوسع شديد أثناء محاكمة «خالد الإسلامبولى»، وسبق أن تناولتها فى كتابى «حقيقة السادات»، وسبق أن تناولها صديق السادات محمد عبدالسلام الزيات فى مذكراته.

● فرصة للهجوم..

لم يكن هناك جديد ولكن الوفد رأى فى حوار حسين الشافعى فرصة لاستمرار حملاته الحاقدة على ثورة يوليو.. ثم اندفع البعض وراءه عندما تعرض للسادات.. ليس دفاعاً عن الثورة وإنما دفاعاً عن السادات شخصياً فنسبوا إليه ما لم يقله.

إن العبور هو أمجد صفحات التاريخ العربى المعاصر.. ولا يستطيع وطنى أو عربى أن يقلل من أهمية وحجم الجهد الخارق الذى قام به جيش مصر العظيم فى تحطيم خط بارليف، وقهر أسطورة الجيش الذى حاولوا إقناعنا بأنه لا يقهر.

وهو ما اعترف به العدو نفسه حيث قال رئيس الدولة العبرية للجنود فى غرفة العمليات: «عليكم أن تدفعوا ثمن غروركم ولا أعرف كيف ستواجهون شعب إسرائيل بعدما حدث». وقالت جولدا مائير لنيكسون: «لا أعرف كيف سأواجه عائلات القتلى الكثيرين فى الحرب؟».

(*) فى أعقاب هذه الرسالة تم تخفيض المعاش المقرر للسيد حسين الشافعى إلى النصف، وسحب السيارات التى كانت مخصصة له من رئاسة الجمهورية، ثم أعاد إليه سيارة واحدة طراز قديم.

وهناك مئات الشهادات الصهيونية التى أرغمها أداء المقاتل المصرى الجسور على الاعتراف بالهزيمة أمامه.

ولكن إدارة الحرب التى قام بها السادات لابد أن تخضع للمناقشة والتقويم وهو ما قام به العسكريون أمام الإعلام فى ندوة مرور ربع قرن على حرب أكتوبر.

وكان حافظ إسماعيل مستشار السادات للأمن القومى قد التقى بهنرى كيسنجر قبل حرب أكتوبر ودفعاً لرواية السادات فى خطابه يوم ٢٨ سبتمبر ٧٣ فإن كسينجر قال له: «إنكم جثة هامدة، تحركوا حتى يمكننى أن أتدخل»، وقال السادات بالنص: «لابد أن أحرك جمود الأزمة.. وإننى لن أطالب أحداً من الدول العربية بشىء قبل أن أتحرك»!

وقد جاء فى التوجيه الاستراتيجى الذى أعطاه السادات للفريق أحمد إسماعيل على قائد الجيش:

«... وقررت تكليف القوات المسلحة بالمهام الاستراتيجية الآتية:

١ - إزالة الجمود العسكرى الحالى بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣».

وفى يوم ٧ أكتوبر أرسل السادات إلى كسينجر رسالة عن طريق مندوب المخابرات الأمريكية فى القاهرة جاء فيها بالنص: «إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع المواجهة».

وقد كشف الرسالة ونشر صورتها محمد حسنين هيكل، ويعلق عليها قائلاً: «كانت أول مرة ربما فى التاريخ كله يقول فيها طرف محارب لعدوه نواياه كاملة ويعطيه من التأكيدات ما يمنحه حرية فى الحركة السياسية والعسكرية على النحو الذى يراه ملائماً له دعم كل الجبهات».. وطبعاً وصلت الرسالة فوراً إلى إسرائيل، وتصرفت على أساسها، فبعد أن تأكدت من أن مصر لن توسع نطاق الاشتباكات بدأت تركز على الجانب السورى قبل أن يعود بعد ذلك إلى الجانب المصرى.

البعض يرى أن فى رسالة السادات إلى العدو أثناء الحرب أمراً يستوجب المحاكمة فإنه تسريب عمدى لأسرار الحرب إلى العدو..!

وأن هذه الرسالة هى التى تسببت فى الثغرة! ويقول المشير محمد عبدالغنى الجمسى:

«أفصحت مصر عن نواياها فى العمل العسكرى (لاتعتزم تعميق الاشتباكات) وهذا فيه إفشاء لنوايانا للعدو الإسرائيلى عن طريق حليفه المضمون أمريكا. ومن الطبيعى أن تتصرف إسرائيل عسكرياً على أساس أن قواتنا لن تقوم «بتعميق» وتطوير الهجوم فى سيناء اكتفاء بالخطوط التى وصلت إليها فى اليوم الثانى للقتال ٧ أكتوبر.

وقد كانت مصر ترى أن هذا الالتزام الذى قدمناه لأمريكا يهدف إلى تجنب إقحام المدنيين والأهداف الاقتصادية فى الحرب وذلك لتأمين مراكزنا السكانية ومراكزنا الاقتصادية. ولكن إسرائيل لم تلتزم بذلك حيث بدأت القصف الجوى لمدينة بورسعيد اعتباراً من اليوم التالى للبرقية يوم ٨ أكتوبر والأيام التالية. كما أنها هاجمت المراكز السكانية والأهداف الاقتصادية فى سوريا اعتباراً من يوم ٩ أكتوبر بما فى ذلك قصف العاصمة دمشق بالطائرات.

بينما كنت أظن أن هذه الساعات الحرجة التى نمر بها، هى بالضبط الظروف التى من أجلها بنى «تنظيم الأمن القومى» لكى يدعى ليتحمل مسئولياته ويعاون على اتخاذ القرارات المصيرية. لقد كان الموقف يتطلب تفويضاً.. جديداً».

ويواصل الجمسى: «وقد شد انتباهى - بعد الحرب بسنوات - ما جاء فى مذكرات الدكتور هنرى كيسنجر عن الأعمال التى قام بها خلال الحرب لتقديم المعاونة العسكرية والسياسية لإسرائيل، وكيف كان يدير السياسة الأمريكية على ضوء المعلومات التى كانت تتيسر له تباعاً من الرسائل المتبادلة مع العدو «مصر والعرب» والرسائل التى تصله أولاً بأول من الصديق والحليف إسرائيل والاتصالات الأخرى مع القوة العظمى الأخرى «الاتحاد السوفيتى».

والبعض يرى قرار الحرب على أنه تحريك للأزمة وليس تحريراً للأرض

خطأ عسكرى! والبعض يرى أن ثمة أخطاء عديدة قد وقعت فى إدارة الحرب، وأنها تستوجب المساءلة!

والكل يرى أنه لابد من فتح باب المناقشة بدون حساسيات حول قرارات إدارة الحرب.. ولا أحد أبداً يتعرض لدور الجندى المصرى وأدائه وإلى الحرب التى هزت العدو، وحطمت غطرسته».

وهذه الدراسة السريعة ليست عسكرية ولا تأخذ بآراء العسكريين، فهى منشورة حول هذه الأمور.. وهى تنتقد إدارة الحرب.. وهو مافعله حسين الشافعى!

أما علاقته بالمخابرات المركزية الأمريكية فذلك أمر آخر لم ينفه السادات نفسه عندما نشر فى حياته، وتجاهله رغم أن ملايين العرب كانوا يتحدثون عنه بعد أن نشرته الصحافة الأمريكية ذاتها.

عبدالله إمام

رئيس تحرير جريدة «العربى»

حسين الشافعى فى شارع الثورة

عندما أطل اسم «حسين الشافعى» النائب الأسبق لرئيس الجمهورية وعضو مجلس قيادة الثورة من جديد مع شهادته عن الفترة التاريخية التى عاصرها وساهم فى صنعها، وما صاحب هذه الشهادة من ضجيج، شعرت ومع بداية عام ٢٠٠٠ أن قرناً جديداً يطل، بينما نحن مازلنا نحارب معارك القرن الماضى نفسها، بالسيناريو المعتاد نفسه، فبمجرد أن يتفوه أحد بكلمة نقد ضد السادات تخرج جيوش المدافعين عنه بأسلحتها الثقيلة ضد «الشخص» الذى قال، وليس ضد «المعلومات» التى ذكرها، مستخدمة فى ذلك التجريح الشخصى، والنيل من تاريخ الذى تفوه بالكلام، وهو مايتكرر أيضاً بصورة أخرى عند ذكر اسم جمال عبدالناصر، فإذا بمن يدافع عنه كالدب الذى يقتل صاحبه.

وبينما العالم انشغل بصفرى عام ٢٠٠٠، ومايترتب عليهما من تشويه لذاكرة الكمبيوتر، فمازلنا نحن نعانى من أصفار تفسد ذاكرة الوطن لدى جيل لم يعد يعرف أين الحقيقة؟ ومن الذى خان؟ ومن الذى هان؟ ومن الذى احتفظ بنزاهته وأمانته؟

• يرفض عشرين مليون جنيه..

ولأننى مهتمة بالجانب الإنسانى فى الشخصيات العامة باعتبارها تكمل صورة الشخصية من جانبها الآخر، بل تنعكس على الجانب العام. لذلك فعندما عاد اسم «حسين الشافعى» عبر الإعلام المصرى والعربى، وجدت من الضرورى أن أنقل جانباً هاماً من شخصية الرجل، لا أقصد بهذا أن أعيد ذكر دوره فى الثورة ولا جهوده فى تهجير سكان مدن القناة مع بداية حرب الاستنزاف، ولا

مهمته الثقيلة فى محاكمة أفراد المؤامرة عقب يونيو ١٩٦٧، لكن أقصد بهذا نزاهته التى يشهد بها الجميع فى ابتعاده عن أية محاولة لاستغلال السلطة من أجل تحقيق مكاسب مادية أو مصالح شخصية. قد يقول البعض وهل كل من وصل إلى سلطة استحلها واستغلها؟ أقول: كثيرون. لذلك لابد من تسليط الضوء على الشرفاء. ليس فقط لتحية الشريف، وإنما أيضاً لإحياء قيمة الشرف.

لن أستطرد فى كلام نظرى، وإنما سأذكر مارواه لى السيد حسين الشافعى فى لقاء لى معه منذ حوالى العام، حيث تطرف الكلام إلى الحديث عن الشباب وأزمة الإسكان وتكاليف الزواج، فإذا به يحكى لى عن همومه عند زواج أبنائه، وإذا بهمومه لا تختلف عن هموم أبى وعمى وجارى وأهلى وكل مواطن عادى. فلأنه لم يستغل نفوذه يوماً ولم يحصل على ما لايستحق، ولم يهرب أموالاً إلى الخارج، فإذا به يجد نفسه مضطراً لبيع أى شىء يملكه لتغطية نفقات زواج الأبناء. قد يقول البعض وما علاقة هذا بما أريد أن أرويه عن حسين الشافعى؟ أقول بل هو فى صميم ما أريد أن أقوله عن أمانة الرجل الذى كان واحداً من الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة عام ١٩٥٢ وعضو مجلس قيادتها والذى وصل إلى منصب نائب رئيس الجمهورية فى عهد كل من عبدالناصر والسادات، والذى تقلد فى وقت من الأوقات منصب وزير الأوقاف وكانت تحت مسئوليته كل أموال الأوقاف وكل الشقق التى أقامتها وزارته. مع ذلك فإنه لم يجد شقة لابنه عندما أراد أن يتزوج، وكان الشىء الوحيد الذى يملكه كى يبيعه ويوفر بثمنه تكاليف الزواج هو «الفيللا» التى يقيم فيها. فباع جزءاً من حديقتها اشتراه رجل أعمال معروف وأقام فيه عمارة ضخمة. لم تكن أسعار الأراضى فى ذلك الوقت قد وصلت إلى ماوصلت إليه بعد ذلك. وقد عرض عليه بعد ذلك رجل أعمال أن يشترى بقية أرض الفيللا بمبلغ يصل إلى عشرين مليون جنيه. لكنه رفض. لماذا؟ لقد كان تفسيره للرفض هو أنه لايريد المساهمة فى حمى أسعار الأراضى. وأضاف قائلاً لى: طبعاً اقتصادياً هناك من يقول إن هذا المبلغ الذى يقترب من العشرين مليون جنيه يجعلنى أعيش حياة مريحة جداً. لكننى قلت إن هذه حياة مريحة على حساب من؟ على حساب الناس الذين لايجدون مسكناً والذين يؤجلون زواجهم لأنهم لايجدون ثمن شقة. فمن الذى يدفع ثمن ارتفاع الأسعار بهذا الشكل؟ إنهم أولادنا وشبابنا.

واستطرد حسين الشافعى قائلاً: إذا كنت قد اضطررت لبيع جزء من الحديقة كى أغطى التزامات لابد أن أقوم بها إلا أننى من غير الممكن أن أشارك فى جريمة البيع. صحيح هناك من يقولون: ولماذا تعتبرها جريمة؟ ويقولون إن هذه هى الأسعار. إنما أنا بضميرى الثورى وإحساسى بالمسئولية لايمكن أن أشارك فى هذه المذبحة.

عندما سمعت تلك الكلمات من الرجل شعرت تجاهه بكل التقدير والاحترام، فأين الذين مازالوا يؤمنون بمثل هذه المبادىء والأهم من ذلك أن ينفذوا فى حياتهم وعلى أنفسهم مايؤمنون به؟ لكن لم لا والرجل مؤمن ومتدين وحافظ لكتاب الله ويستشهد به وبأحاديث المصطفى ﷺ طوال كلامه معى.

لقد كان تعليق الرجل على صمتى البليغ وهو يروى لى رفضه للعشرين مليون جنيه أن ابتسم وهو يذكر لى أن شخصاً قد سأل سيدنا رسول الله ﷺ: كيف أكون مستجاب الدعاء؟ قال له ﷺ: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة». ثم أضاف السيد حسين الشافعى: إن على الإنسان ألا يسمح بأن يدخل بيته أو طعام أبنائه أو أى شىء من مستلزمات حياته ما يمكن أن تكون فيه شبهة حرام.

فكان السؤال الذى فرض نفسه على فضولى الصحفى هو: من أين جاء حسين الشافعى بالأموال التى تحصل بها على فيللا تساوى هذا المبلغ الضخم؟

فلنحك الحكاية بالتفصيل مثلما رواها لى..

● **من أين لك هذا؟..**

يقيم «حسين الشافعى» فى أول شارع «الثورة»، لا أستخدم كلمة «الثورة» هنا على طريقة الجناس اللفظى فى اللغة العربية كى أتحدث عن دوره فى الثورة، لكننى أعنى بالفعل أن الشارع الذى يقيم على ناصيته فى المهندسين يحمل اسم شارع «الثورة».

وسبب التسمية أن هذا الشارع أو تلك المنطقة كان قد تم تقسيمها فى بدايات الثورة، وبالتحديد عام ١٩٥٤ عندما أنشئت فى وزارة الحربية جمعية تعاونية شملت حوالى ١٧٦ عضواً. وقد أنشأت تلك الجمعية مجموعة من الفيللات لمن يريد من الأعضاء.

وكما يروى السيد حسين الشافعى أنه فى ذلك الوقت لم يكن يمتلك المال الذى يكفى لدفع مقدم الحجز مما اضطره إلى الاستدانة لأول مرة فى حياته. حيث اقترض مبلغ سبعة آلاف جنيه. وكان مبلغاً كبيراً جداً فى ذلك الوقت، وكان يترتب على هذا الدين كما روى لى السيد حسين الشافعى قسط شهرى قيمته سبعون جنيهاً تلتهم فى ذلك الوقت مايقرب من ثلث المرتب. كل هذا مع ألقاب عضو مجلس قيادة الثورة، ووزير، وقائد سلاح الفرسان، فكان الثلث الثانى يتم إنفاقه مابين أجور طباخ وسفرجى وجناينى وشغالة. فما الذى يتبقى؟ كان الباقى على حد تعبير حسين الشافعى يكفى بالكاد. لذلك فقد باع وقتها سيارة فولكس كان قد اشتراها عام ١٩٥٣، وكانت زوجته لديها خاتم اضطر لبيعه.

وفى ذلك الوقت جاء والده ـ رحمه الله ـ لزيارته، وكما يروى حسين الشافعى أن تلك الزيارة كانت قبل وفاة والده بحوالى أسبوعين وجلس معى ـ والكلام لحسين الشافعى ـ فى آخر حديقة المنزل وأخرج من جيبه مظروفاً أعطاه لى، فتحته، فوجدت ثلاثمائة جنيه، سألته: ماهذه الفلوس؟ قال لى: أشعر أن هذا المبلغ فى ذمتى لك لأنك لم تكلفنى شيئاً، ولم تتعبنى فى أى شىء. قلت له: أنا غير محتاج، ومن الممكن أن تعطيه لأخى «فلان». قال: لا، هو أخذ حقه. قلت له: إذن أعطه لفلان. رد: هذا أيضاً أخذ حقه. ثم أضاف أبى: لاتتعب نفسك، هذا المبلغ لن يأخذه أحد سواك. قلت له: على أية حال سوف آخذ هذا المبلغ بركة منك. وأخذته وسددته بالفعل فى بئر ذلك الدين.

ويختتم حسين الشافعى كلامه عن الدين وعن العشرين مليون جنيه بأن يشكر الله قائلاً بابتسامة رضا: الحمد لله الذى حفظنى وحفظ أولادى وبيتى وسمعتى. فالسلطة والمال هما أكبر ابتلاء من الممكن أن يبتلى به الإنسان. ومن يعبر ابتلاء السلطة والمال يكون قد عبر أصعب امتحان.

● الشهادة والتاريخ..

قد يقول البعض: لماذا كل هذا الكلام، عن براءة الذمة المالية وكأن الأصل فى الأشياء هو عدم طهارة اليد؟ أقول: هذا بالطبع ليس هو الأصل فى الأشياء.

لكن لقد انقلبت الكثير من القيم، وصار استغلال النفوذ والاستفادة من المنصب أمراً شبه مستباح. من هنا يأتى الحرص على أن نضع فى برواز قصة من يحرص على طهارة اليد، وهى فى قصة حسين الشافعى مؤشراً للأمانة بصورة عامة، ومن يتمتع بأمانة اليد يتمتع فى العادة بأمانة اللسان. لقد قال الرجل شهادته، ومن يملك وقائع مضادة فعليه أن يقدم مناقشة موضوعية وشهادة مختلفة ووثائق تؤكد ما يقول. مع الحرص على عدم اقتطاع الكلام عن سياقه على طريقة «لاتقربوا الصلاة». وأيضاً مع الحرص على ألا نلصق اسم «مصر» باسم «أنور السادات» أو «جمال عبدالناصر» فلا نقول لمن يوجه إهانة للسادات أنه يوجه إهانة لمصر.

ولنبتعد فى الخلاف عن إهدار المزيد من القيم التى أصبحنا نهدرها ببساطة من يتخلص من ورقة كلينكس بعد استخدامها، ولنحاول أن نصل إلى خلاف فى الرأى دون أن يفسد الخلاف للاحترام قضية.

لقد قدم السيد حسين الشافعى شهادته، صحيح أنه لم يقدمها بالكامل خاصة فيما يتعلق بوثائق محاكمة مابعد ٥ يونيو ١٩٦٧، إلا أنه قد قال الكثير من الوقائع التى كانت جديرة بالتسجيل، بل والتى هى جديرة بالاحتفاء بما تضمنته باعتباره واحد من ثلاثة الباقين على قيد الحياة من الرجال الذين قاموا بثورة غيّرت وجه مصر عام ١٩٥٢ . أما الثانى - أطال الله فى عمرهما - فهو «خالد محيى الدين» وقد قدم شهادته بالفعل فى كتابه «والآن أتكلم»، وفى انتظار شهادة زكريا محيى الدين. ونتمنى ألا يؤدى ماتعرض له حسين الشافعى نتيجة للشهادة إلى أن يؤثر زكريا محيى الدين الاستمرار فى التزام الصمت. فالشهادة عندما تأتى من عدة أشخاص تكمل بعضها وتصحح بعضها . والفائدة التى تتحقق من وراء كل هذا هى إعلان الحقيقة والتسجيل للتاريخ.

سهام ذهنى

مجلة «صباح الخير»

٢٠٠٠/١/١١

نص أحد الردود على سعدة الذى لم تنشره «أخبار اليوم» ونشرته جريدة «الشعب»

الأستاذ.. إبراهيم سعدة..

السلام على من اتبع الهدى..

ماذا جرى فى الدنيا؟!.. أين الحق والحقيقة؟.. أين تقوى الله؟ تعلم يقيناً أننا نعيش بعض علامات النهاية!

فهل كما قيل: «القوالب نامت والأنصاص قامت!!!».. رحمنا الله برحمته.

لذلك فإنه لم يدهشنى أسلوبك الهجومى الشاذ - وعلى مدى أسبوعين فى أخبار اليوم ١٩٩٩/١٢/٢٥، ٢٠٠٠/١/١ - على الرجل الوطنى الشريف السيد حسين الشافعى أحد كبار قادة ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ المجيدة، لأن ذلك هو أسلوبك وطبعك منذ السبعينيات!.. ولكن مستواك الاستفزازى فى اختيار الكلمات غير المهذبة والتى تحرص دائماً على انحرافها.. تدنى لمستوى بذىء وغير سوى! فمن أنت يا.. ياسعدة لتسىء الأدب مع السيد حسين الشافعى - نائب رئيس الجمهورية منذ الستينيات - وليس بتعيين الرئيس السادات له؟! وهل من أدب الحوار.. والذى علمنا الحق سبحانه وتعالى منهجه بقوله تعالى: ﴿وجادلهم بالتى هى أحسن..﴾ ما يجعلك تترك موضوع الحوار ومناقشة ماجاء فى لقاء السيد حسين الشافعى مع قناة الجزيرة الفضائية.. والذى حاولت - كعادتك - أن تلوى الحقائق وتتصيد أشياء من أوهامك.. لتصف الرجل المناضل الشريف بنعوت وأوصاف سوقية لاتليق ولا يجوز لك أو لغيرك أن يتلفظ بها على رائد عظيم من رواد ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ المجيدة؟ ثم هل تعرف أنت أكثر من السيد حسين الشافعى، الذى وضع رأسه وحياته بل وحياة كل أهله على كفيه وتقدم بكل الشهامة والنخوة والبطولة الوطنية هو ورفاقه الأبطال العظام رجال ثورة ٢٣

يوليو ٥٢ المجيدة بقيادة الزعيم الوطنى المخلص جمال عبدالناصر ـ رحمه الله ـ ليفجروا هذه الثورة العظيمة التى حولت مصر بفضل الله وقوته من ذليلة مستعمرة لبريطانيا فى ظل حكم ملكى دخيل وغير وطنى.. فبعد أن كنا فى وطننا مجاميع من الأفندية والفلاحين يتحكم فينا شراذم بغيضة من البكوات والبشاوات وقطاع الطرق من الألبان والأتراك والمماليك وغيرهم من حثالة البلدان الغاصبة وملك عابث وفاسد من بقايا جند الألبان الذين ابتلينا بهم فى حقبة هزيلة من سنوات نضال وطننا الغالى.

ذلك أنه مما لاشك فيه أن السيد حسين الشافعى يعرف عن السيد أنور السادات أكثر منك ومن غيرك منذ مايقرب من خمسين عاماً متصلة، وإذا قال شيئاً قد لا يرضى عنه البعض ـ خاصة فى التصرفات التى عاصرها هو شخصياً ـ فليس من حق أحد أن يصادر هذا القول ـ بل إنه من المنطقى ـ إذا أراد ـ أن يناقشه هذا الغير فى صلب الرأى الذى طرحه دون أن يتعرض لشخص السيد حسين الشافعى ذاته.. ولكنك تصرفت غير ذلك!

ثم إن السيد حسين الشافعى لم ينكر الانتصار العظيم لجيشنا المصرى المظفر ـ بإذن الله ـ لأن جنود مصر كما رسولنا الكريم ﷺ «خير أجناد الأرض». ولكن ماركز عليه السيد حسين الشافعى هو تدخل الرئيس أنور السادات فى العمليات العسكرية بما أخل بنصر جندنا البواسل وأوجد الثغرة العسكرية التى أحدثت هنة فى نصرنا العظيم.

وبداية، أقول لك وبصوت مسموع.. عليك يا إبراهيم سعدة ـ قبل أن تتطاول على الكبار ـ أن تسأل من هو أعلم منك فى هذه الأمور.. وعندما تناقش فعليك أن تلتزم أدب الحوار مع العظام الكبار.

ولا تنس أن ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ المجيدة بقيادة جمال عبدالناصر ـ رحمه الله ـ ورفاقه الأبطال ومنهم السيد حسين الشافعى والتى لولاها لما كنت أنت الآن ـ للأسف ـ ترتقى أعلى سلم صحفى فى إحدى الصحف المصرية الوطنية.

وسأحاول ـ بعون الله ـ فى السطور التالية دحض افتراءاتك على السيد

حسين الشافعى، فهو لم يقل إلا صدقاً وإيماناً بما كان يعرفه حق المعرفة وبما كان قريباً منه كل القرب.. والحمد لله، فلقد استمعت إلى حلقات الحوار فى الفضائية القطرية.. والحمد لله أيضاً أننى كنت أتابعه وأعاود قراءته على صفحات جريدة (التحدى) المصرية والتى نشرت نص ماجاء فى الحلقة الأخيرة من الحوار الفضائى فى عددها الصادر يوم الأربعاء ٢٩ من ديسمبر ١٩٩٩م.

فعن اهتمام السيد حسين الشافعى - نائب رئيس الجمهورية - بحرب أكتوبر العظيمة رغم الخلافات مع الرئيس أنور السادات - رحمه الله - والذى أخفى عنه الموعد، وأكثر الإجراءات والخطط.. كان رده واضحاً بقوله للمذيع: «أصل الحرب أكبر من أى خلافات.. ده مصير بلد.. ولذلك فى هذه النقطة كله يسكت لأنه بيبقى اللى قدامهم هو مصير البلد ومصلحتها الأساس».

وتأكيداً لتأييده لحرب أكتوبر ٧٣ المجيدة - والتى تم الاستعداد لها جدياً منذ أن عدل الزعيم جمال عبدالناصر عن التنحى نزولاً على رغبة الشعب المصرى العظيم فى ١٠ من يونيو ١٩٦٧ - حيث تم إعادة تنظيم القوات المسلحة على مستويات عالية من التدريب والتسليح والخطط العسكرية المتقدمة، بل إن التدريب كان يتم على العبور لأكبر مانع مائى بكل مافيه من نابالم ونيران مدفعية وطيران.. وكانت قوات استطلاعنا ترصد لحظياً بناء خط بارليف وتتدرب قواتنا على إزالته - بإذن الله - وكانت معركة رأس العش، وهجمات أبطال الطيران واعتراضهم للطيران الإسرائيلى وإسقاطه فى معارك جوية.. واستعادة جزيرة شدوان وإغراق المدمرة إيلات وتدمير ميناء إيلات.. وحرب الاستنزاف القوية التى تم خلالها بناء أقوى حائط للصواريخ فى العالم مع التدريب القوى الجاد على عبور أكبر مانع مائى بكل مافيه من نابالم وموانع متعددة وتدمير خط بارليف.

أقول - تأكيداً لذلك - فلقد ذهب السيد حسين الشافعى لصلاة الجمعة يوم ١٢ أكتوبر ٧٣ برفقة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر وقتها وأصر المصلون على أن يتحدث إليهم، وكانت خطبة السيد حسين الشافعى تحريضاً على القتال، واستنجاداً بالله وبالرسول ﷺ وشهداء بدر، ثم دعاء

بالنصر ودعاء على الأعداء لعنهم الله وأهلكهم.. وياسيد سعدة.. لقد قال السيد حسين الشافعى عن نصر أكتوبر العظيم: «النصر نصر بمعنى الكلمة.. أداء وعبور.. وبعدين لما الناس هللت وكبرت.. ربنا تجلى لدرجة أن يتم العبور بأقل من ٣٠٠ شهيد هذه معجزة».. هذا هو قول السيد النائب حسين الشافعى ياسعدة.

فهل فى ذلك أى إنقاص لنصر أبطالنا البواسل ـ بفضل الله؟ وهل هذا القول يجعلك تشن هجومك وتصوب سهامك الشاذة المسمومة لتلوى الحقيقة وتغير قول الرجل وتدعى نفاقاً وإجراماً غير ذلك؟.. وعن تلك التحولات التى يقصدها السيد حسين الشافعى بخصوص نصر أكتوبر ٧٣ المجيد قال سيادته: «فى خطاب مجلس الشعب يوم ١٦ أكتوبر ٧٣، كان كل هم السادات أن يعرض السلام وأنه مستعد يروح آخر الدنيا. وقال إنه يقول هذا الخطاب من موقع القوة.. وفى نفس اليوم ردت عليه جولدا مائير بعد الظهر.. وقالت له مركز قوة إيه وأنا باتكلم وباخطت من السويس؟!».. ويضيف الشافعى: «وأنا اعتبرت هذه بداية الانهيار لنتائج النصر الذى تحقق منذ بداية الحرب.. وبعدين ظهرت عملية الثغرة فى نفس هذا اليوم.. وأول معلومات عن الثغرة كانت فى يوم ١٦ من أكتوبر ٧٣.. وقعدوا يقولوا كلام مش راكب.. يادوب تسلل دبابات!! وطبعاً أى قائد تدخل قوات العدو وراء خطوطه الرئيسية بجنود بهذا العدد تبقى مصيبة.. وهذا فخ مقصود به مقتلك.. بس يعنى كان لازم يتطلب الأمر إعادة التشكيل وإعادة المواجهة بحيث نقضى على الثغرة.. وكان القضاء على الثغرة من الناحية العسكرية أمراً حتمياً وكان فرصة لا تعوض.. لكن بقى تقول إيه؟!».

وعندما سأله المذيع: لاتعوض فى إيه؟

رد السيد حسين الشافعى: «إنك تحقق نصر حقيقى وشبه كامل وبعده يكون السلام من موقع القوة الحقيقية.. ولكن هو اخترع عملية تطوير الهجوم ـ يقصد السادات ـ وهى ليست واردة فى أى خطة وبدعوى التخفيف عن سوريا.. وسوريا لم تكن محتاجة إلى هذا التخفيف.. ولكن هى كلمة قيلت للتغطية على الخطأ.. لأن القوات (المصرية) اندفعت كلها فى صحراء مكشوفة بدون غطاء جوى يستفيد من حائط الصواريخ.. وكان هذا خطأ فادحاً.. وكلفنا لأول مرة خسائر

فـادحـة لم يكن لها أى مـبـرر».. ويضيـف: «بالأمـانة لم يكن هـذا وارداً فى الخطة التى كـان رئيس الأركان سعـد الشاذلى مكلفا بها هى أن يعبـر القناة ويكلف العدو أفـدح خسـائـر ممكنـة بالصمـود.. إنما تطوير الهجـوم تم بدون خطة مـوضـوعـة.. وهذا ما أضـاع النصـر كله».

ويوضح السيد حسين الشافعى بأن «هذا تصور حقيقى.. لأن هو لما يسحب الاحتيـاطى اللـى مفـروض أن يتصدى لأى اختـراق ويدفعـه إلى هذه المقتلة كيف سيدافع ضد أى ثغرة أو أى هجـوم مضاد والاحتيـاطى غائب!؟.. وهذه دعوة غير مكتوبة للعدو ليبدأ الهجوم المضاد لأن هذه التصـرفات ليس لها أى مبرر ولا أى منطق.. لأنـه واحـد (السـادات) عـايـز يحل بالسـلام ومن يوم ٧ أكتوبر ٧٣ بيـقـول للأعداء وأثناء الحـرب أنا مش بعمل أى حـاجـة وباعت إشارة بهذا المعنى (يشيـر إلى رسـالـة السـادات إلى كيسنجـر بأنـه لن يتقـدم أكثـر من ذلك ولن يهـاجم!!).. ويكمل السيد حسين الشافعى: «بقى انت تبقى المنتصر وفيه حاجة اسمها تعزيز واستغلال النجاح.. لكن بالعكس القائد بدلاً من استغلال النجاح.. أضاع النجاح!! ويتحمـل المسئولية أنور السـادات طبعاً.. وبعد وفـاة المشير أحمـد إسماعيل اتهمها فى أحمد إسماعيل.. وقال إنه هو الذى اقترح تطوير الهجوم!!».

فماذا تريد أكثر من ذلك ياسيد إبراهيم.. بأن السـيد حسين الشافعى أشاد بنصـر أكتوبر العظيم وأيد الحرب منذ بدايتها ووقف مع القـادة فى نفس الخندق وسـواء المركز ١٠ أو ١٢ القيـادة أو قصـر الطاهرة، واسـتمـر مؤيداً.. ولكنه عاب على القـائد أسلوب تطوير الهـجـوم بدون خطـة مما أضـاع بهـجـة النصـر العظيم وأحدث الثغرة اللعينة والخسائر الكبيرة بلا أى مـبـرر.. ورحم الله الرئيس محمد أنور السـادات.. وبعـد كل ذلك.. أؤكـد لك يـاسـعـدة اسـتـغـرابى ودهشـتى المهولة واستنكارى الشـديد من مـراوغـة كلامك وتزييـف عبـاراتك وتلفيق مـوضـوعـاتك وإجرام اتهاماتك.. فبعد أن هاجمت وتطاولت بالسب والقذف والتجريح السقيم على السيد حسين الشافعى ـ نائب رئيس الجمهورية وأحد رجال ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ الخالدة ـ بإذن الله ـ على مدى أسبوعين.. سرعان ماتفتق فكرك (الخطر على المجتمع).. على خديعة ونفـاق رهيب مـتمـسـحـاً بـاسم الرئيس مـحـمـد حسنى مبارك..

فجاء مقالك المناور بالثناء والنفاق فى أخبار اليوم السبت ٨ من يناير ٢٠٠٠م (أول عيد الفطر المبارك) بعنوان (درس من الرئيس مبارك).. مغايراً بذلك ماحاولت بثه من سموم فى الأسبوعين السابقين!

أين المبادىء؟.. أين الحياء؟!

وأقول ألا تخجل يا ابن سعدة من زملاء المهنة؟ وألا تخجل من القراء الأفاضل أصحاب الحق فى الصحافة الوطنية؟!

ولا أقول ألا تخجل من نفسك؟!

لأن (اللى اختشوا ماتو..)

فاتق الله يا ابن.. سعدة وارحل عن الموقع فذلك أفضل.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

محمد فيصل مختار

«جريدة الشعب»

٢٠٠٠/١/٢١

حسين الشافعى

حديث السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الأسبق فى قناة الجزيرة يستحق أن يراه كل مصرى عاش لربع قرن يسمع أكاذيب عن عذابات عبدالناصر وسوءات مرحلته، وهو الأمر الواجب على المستسلمين أن يقتلعوا خيام المناضلين وأن يطاردوا نموذجهم، فإن مجرد وجود الذكرى ولو فى عقول من عاشوا مرحلته هدم لأسباب وجود الفاسدين والتابعين على كراسيهم بعد أن تسللوا إليها بليل، الرجل لا تنقصه الصراحة وهو يدرى حجم مسئوليته عن كل ماحدث وبلاده أهم مايقلقه بعد أن ثار من أجلها ووضع سلامته الشخصية رهينة لتخليصها من قيود أحاطت بها وعطلت ملكاتها. والحديث أمام محاور مستفز دائماً مايدفع إلى جهد بالغ فى إيضاح ما غاب وسط ظلام الردة وتشوهات الانفلات الانقلابى وسيادة الجشع والمادية والفظاظة على كل نواحى الحياة. ومن عجب أن توزع مؤسسة «النظائر» الكويتية شرائط فيديو تنشر على الناس كل ماجاء بالأحاديث، وبرغم وجود الجنود الأمريكان هناك فقد توافر قدر من الحرية يسمح بتوزيع أشرطة تدافع عن رجل ناصب أمريكا العداء كله، طارد مصالحها وحين أسلمناها قيادتنا اكتشفنا أننا كان يجب أن نطاردها حتى ولو أهلكت فينا الزرع والضرع. ومن عجب أن يحرم المصريون من الاستماع للرجل الثائر والمتدين يقص علينا القصة الحقيقية بعيداً عن أكاذيب ملأت الرحب كله.

لقد سمح لتشوهات وندوب واستسلامات أن تدخل علينا بيوتنا لتزيف التاريخ وتعيد كتابته وفق مصالح غابت عنها مصالحنا، سودت صحائف وانتشرت أقاويل ليست على قدر من مسئولية الحق يسمح لها بالتداول إلا إذا سمحنا للرأى الآخر بمطاولتها وإثبات عمالتها وهذا مالم يحدث.. وانفلت العيار وأصبح أنصاف الرجال يحاكون صولة الأسد «لقد خلا لك الرحب فامرحى ياجارة»

وأصبحنا نحاكم مرحلة ناضلت قدر الطاقة وماهو فوق الطاقة وحلمت أحلام الرجال. انتصرت وانكسرت بحسابنا وخلت جيوبها من حال يشترى الآن الرأى والحلم والانتماء، إن منع أحاديث حسين الشافعى من الوصول إلى البسطاء لا يدين أحداً بقدر ما يدين أوضاعاً تريد تعمية الناس بحثاً عن شرعية وجودها. للرجل كل التقدير والدعاء بأن يطيل الله عمره حتى يرى مصر التى أرادها ملء العين تمسك أقدارها بيديها وتنفى خبثها وتطول رقبتها حتى تطاول قمم السحاب.

كمال حافظ

«جريدة الأسبوع»
١٩٩٩/١٢/٢٠

الشافعى وسعدة

أن يهاجم إبراهيم سعدة السيد حسين الشافعى فهذا أمر طبيعى، فالرجلان على طرفى نقيض.. أحدهما حمل رأسه على كتفه ليخرج بلده من محنة طالته على مدى عقود فعطلت طاقاته وأوقفت إبداعاته.. ثائرٌ زاده رفض الدونية والتنطع، الكلمة عنده أمانة، يخشى الله فلا يقول إلا شهادة حق مهما كانت القوى التى سيصيبها هذا الحق.. أظنه كان يعلم جيداً أنه بشهادته قد وضع يده فى عش الدبابير حيث الأشواك تربّت فى أحضان سلطة باغية لا تقبل غير قصائد النفاق وأبيات الغزل.. فى مثل موقفه لايجوز أن يحسب المرء خطواته وكلماته بمقياس المصالح، لو فعل لما كان حسين الشافعى ولقلنا إنه تغير، كما تغير آخرون انقلبوا على معتقدات روجوا لها عمراً بكامله!!

أما الأستاذ إبراهيم سعدة فهو على الشاطىء الآخر، يكره الثورات لأنها أحياناً ما تئد التطلعات والمطامع، ويكره الثوار لأنهم يتصرفون وفق أهدافٍ كانوا قد قدموا العمر كله لتحقيقها.. قرأنا له كثيراً يهاجم كل رافض للهوان الذى نعيشه، فهذا الهوان هو منتهى أمل الأستاذ لحياته وحياة بلده!!

لو تصور أحد أن إساءة قد لحقت بالشافعى فهو خاطىء، وهجوم سعدة عليه نوطٌ على صدره إضافة إلى أنواطٍ عديدة وضعها بلده فوق هذا الصدر وصدور الأحرار الذين بقوا على معتقداتهم وولاءاتهم إلى آخر العمر، لم تغيرهم الكراسى ولم ينتقلوا بين الشاطئين ببهلوانية كانت نتيجتها قصف الرقبة!! لقد كان جمال عبدالناصر يفزع حين تتوقف إذاعات الغرب عن مهاجمته، كان يتصور أن هناك عطباً أصاب ثورته ونضاله، وهذا بالضبط مايجب أن يتعزّى به حسين الشافعى وهو يقرأ هجوم سعدة عليه.

لا تحزن يا أخى، فبلدك يعرف قيمتك وهذه الرياح الخماسينية التى تهب على كل من يكشف الحقيقة تستطيع أن تثير غباراً كثيراً، ولكنه لايزيد على كونه غباراً يصفو بعده الجو وتظهر الشمس ونستطيع أن نكتشف حينئذٍ وأن نفرق بين الأحرار والعملاء، بين الشرف وانعدامه.

كمال حافظ

«جريدة الأسبوع»

٢٠٠٠/١/١٠

لست وحدك

حالة الفزع التى أصابت هؤلاء الذين أفسدوا الحياة السياسية فى مصر بعد تصريحات السيد حسين الشافعى متوقعة. فالرجل بمثل ماضيه وبما شغله من مناصب وفى مثل سنه وتدينه لا يكن اتهامه بالكذب. فى اتصال تليفونى معى رد على من حاول اصطياده لأنه صمت لفترة طويلة قال الرجل إنه لم تتح له فرصة الرد العلنى حيث عمل النظام السابق على إبعاده عن اجتماعات حاسمة تصنع سياسات المرحلة، كما لم يكن ممكناً أن يتحدث بما لديه للصحف القومية بحالها الراهن، باعتبارها صحافة قصر، تحارب بسيف السلطة وتدافع عنها أى انتقاد حتى للتفريط، ولم يكن أمام الثائر الحر إلا المساجد يتحدث فيها عن حقوق مصر التى استولت عليها إسرائيل وأمريكا بعملية استسلام ظالمة جعلت عالى الشرف واطيه وأصابت قيمة العرب فى مقتل، وأتاحت لأمريكا حرية الحرب الدموية ضد الإسلام فى كل دياره، بحيث أصبحت دماء المسلمين متاحة وعلى جدول أعمال العنصرية الأمروإسرائيلية، لم يعد خافياً أن المسلم ذبيحة تحت ظل المقصلة أو هو فى انتظار دوره، لم يكن ممكناً أن يخجلوا ورجل كحسين الشافعى ظل لسنوات طوال نائباً لرئيس الجمهورية يكشف ببساطة خيانات وتفريطات.. لم يكن هناك وقت للخجل فقد ضبطوا والسراويل أسفل السيقان، هل يمكن أن نأتى بشاهد عليهم أقرب إلى السلطة من نائب رئيس الجمهورية؟

اندفعوا فى حملة سباب لاترد على اتهامات محددة إلا بفاحش القول، لعل الرياح التى أثاروها تغطى على الحقيقة، تدمغ ظهورهم بأختام لاتشرفهم. لم يكن حسين الشافعى وحده فقد سبقه الفريق سعد الدين الشاذلى بطل حرب أكتوبر الذى شهد اغتيال انتصاره ورجاله وسيق الانتصار إلى حالة استسلام فردى يضع على المائدة كل أمانى إسرائيل من خروج أكبر دولة عربية من الصراع

ومن نزع سلاح سيناء وتعميرها وشق الطرق داخلها حتى تصبح قطعة الحلوى التى لاتستطيع المغامرة بها وحتى تكون الطرق معدة لأى غزو إسرائيلى قادم عند أى خلاف أو نزاع وبخاصة صراعات المياه القادمة من أجل احتكار إسرائيل لكل مياه العرب. ليست المياه فيما أظن جداراً للثقة، وسبق الرجلين وزيران للخارجية ووزير دولة للشئون الخارجية أفزعتهم كمية التنازل غير المعقولة ولا المبررة، كما استقال شرفاء من السلك الدبلوماسى المصرى العريق أبوا على أنفسهم البقاء فى سلطة غاوية تبدد ولا تصون وتستسلم حيث لا توجد دواع للاستسلام.

لم يكن هناك وقت للخجل فالناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم وفضيحتهم بجلاجل، وما نعيشه اليوم ونكابده ليس إلا دليل على صدق حسين الشافعى ورجولته وهو يمتلك شجاعة القول فى مواجهة عملاء للسلطة لايعيشون إلا فى ظلالها.. الحقيقة تطل برأسها فيفزع كل الكذابين.

كمال حافظ

«جريدة الأسبوع»

٢٠٠٠/١/٣١

صفحات من تاريخ حسين الشافعى

لو أن ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كانت قد فشلت يوم قيامها.. لكان الإعدام شنقاً أو رمياً بالرصاص هو نهاية كل من شارك فى المحاولة الفاشلة، وفى المقدمة منهم الرجال الذين قادوا تنظيم الضباط الأحرار.

ولاشك أن هؤلاء الرجال كانوا يعلمون مسبقاً أن ذلك هو المصير الذى ينتظر كلا منهم لو قدر لثورتهم الفشل، ومع ذلك لم يتهيبوا هذا المصير، ولم تتسلل إلى نفوسهم رعشة الخوف من الموت، ولم تزلزل إرادتهم فكرة العواقب الوخيمة التى كان من الممكن أن تحيق بهم وبأسرهم لو لم يكتب لثورتهم النجاح.

ولكنهم على العكس من ذلك خرجوا تلك الليلة المجيدة والخالدة فى تاريخ مصر وقد تسلحوا بالتصميم على الإطاحة بالنظام الملكى الإقطاعى الذى عاث فى مصر فساداً واستغلالاً، وأصابها بالتخلف والانحطاط، وفرط فى إرادتها وكرامتها.. وأورث شعبها الثالوث الشهير: «الفقر، والجهل، والمرض».

خرجوا فى ليلة ٢٣ من يوليو.. لكى تعود مصر مصرية، وليستردوا إرادتها من أيدى الاحتلال والقوى الأجنبية التى تسلطت عليها وتحكمت فيها واستباحت ثرواتها.. وأخضعتها تابعاً لها، وكان من بين الرجال الذين قيضهم الله للاضطلاع بهذه المهمة المقدسة، والواجب الوطنى الجليل رجل اسمه حسين الشافعى.

خرج حسين الشافعى فى تلك الليلة ليقود من داخل سلاح الفرسان كوكبة من الضباط الأحرار عقدوا معه العزم على الانتفاض ضد السلطة الغاشمة التى كانت تحكم مصر فى ذلك الحين، ولم يكن حسين الشافعى - وهو يلبى هذا النداء الوطنى المقدس - يفكر فيما إذا كان سيعود إلى بيته وأسرته أم سيقع فى قبضة الذين ثار عليهم وقاد ضباطه ضدهم ويكون مصيره الاستشهاد؟

كان اشتراك حسين الشافعى فى قيادة ثورة يوليو هو نقطة بداية لتاريخ مرموق ومشرف فى خدمة قضايا وطنه ومن أجل رفعة شأنه، والانتصار لمصالح الجماهير والغالبية الغالبة لهذا الشعب. لقد قام حسين الشافعى من موقعه كوزير للشئون الاجتماعية والعمل فى عهد الثورة، بتحقيق ثلاثة إنجازات تاريخية ستظل منسوبة إليه.

أولاً: فى المجال التعاونى قام بتطوير الحركة التعاونية والخروج بها من إطارها الضيق الذى كان يقتصر على منح قروض محدودة لصغار المزارعين وتزويدهم بالمواد الأولية مثل التقاوى والسماد، والانطلاق بهذه الحركة إلى آفاق واسعة ورحبة لتسهم بفاعلية فى دفع عجلة الإنتاج والتقدم الاقتصادى من ناحية، ومن ناحية أخرى حماية صغار المنتجين خاصة الزراع من استغلال الوسطاء والسماسرة.

فأصدر قانوناً جديداً للتعاون أنشئت بموجبه لأول مرة، فى تاريخ مصر الاتحادات التعاونية النوعية للمنتجين على مستوى القطر، مثل الاتحاد التعاونى لزراع: البصل، والبطاطس، والقصب وغيرها من الاتحادات.

وكان لهذه التعاونيات فضل إنصاف صغار المنتجين وجعلهم مشاركين فى الانتفاع بثمار جهدهم، وكذلك تحفيزهم على زيادة ومضاعفة الإنتاج.

ثانياً: فى المجال العمالى، عمل على إصدار قانون العمل الموحد سنة ١٩٥٩ الذى جمع كل القوانين والتشريعات العمالية (قانون عقد العمل الفردى، قانون التوفيق والتحكيم، قانون النقابات) فى قانون واحد قام بتنظيم العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال، بما يحقق الحد من البطالة، وتحسين ظروف وشروط العمل، ورفع مستوى الأجور، وإعادة تنظيم الحركة النقابية على نحو ينهى حالة التمزق والبعثرة التى كانت تسود الحركة النقابية، وأتاح هذا القانون إدماج ١٤٠٠ نقابة فى ٥٩ نقابة عامة ثم ٢٧ نقابة عامة، الأمر الذى دعم الحركة النقابية وزاد من فاعليتها وتأثيرها.

ولعل أبرز الأحداث التى شهدتها الحركة النقابية المصرية على مدى تاريخها

هو تأسيس الاتحاد العام لعمال مصر سنة ١٩٥٧ بدعم ومؤازرة حسين الشافعى، بعد أن كانت فكرة قيام اتحاد للعمال فى مصر مرفوضة ومطاردة فى كافة العهود بدعوى أنها تمثل تهديداً للأمن.

ثالثاً: فى مجال التأمينات العمالية والاجتماعية يكفى أن ينسب إلى حسين الشافعى أنه الذى أرسى قاعدة التأمين الاجتماعى فى مصر بالعمل على إصدار أول قانون للتأمين والادخار سنة ١٩٥٥ ثم تطبيق نظام المعاشات بالنسبة لإصابات العمل سنة ١٩٥٨ ثم القانون الصادر سنة ١٩٥٩ الذى مد مظلة التأمينات على قطاعات أوسع فى المجتمع.

أما عن سلوك حسين الشافعى العام والخاص فلقد ضرب أروع الأمثلة لسلوك الرجل الوطنى الشريف العفيف.. الزاهد والمتجرد من أى أطماع أو شهوات حتى وهو فى قمة السلطة.

وأخيراً، أين كان الذين تطاولوا على حسين الشافعى يوم خرج ليجود بحياته من أجل رفعة وتقدم وطنه؟ وماذا كانوا يفعلون وهو يشارك باجتهاد وإخلاص فى بناء مصر الحديثة؟ ولو أنهم تأملوا ولو للحظة تاريخ هذا الرجل الذى وهب نفسه لمصر عملاً وسلوكاً، لسقطت من أياديهم الأقلام وتوقفت فى حلوقهم الألسنة ولأحسوا أنهم أصغر بكثير من أن يتجرءوا على ذلك التاريخ.

ولو أنهم اطلعوا على كم رسائل ومكالمات الإكبار والحب التى تلقاها حسين الشافعى عقب شهادته التى قدمها عبر قنوات التليفزيون لأدركوا سوء ما فعلوا.

السفير محمد وفاء حجازى

«جريدة الأسبوع»

٢٠٠٠/١/٣١

خوضوا السلام بروح الحرب يرحمكم الله(•)

لقد آن الأوان أن نقول مايجب أن يقال بصراحة وصدق ووضوح ولا نخشى فى الحق لومة لائم موقنين أن الله القوى العزيز أكبر من كيدهم وغدرهم.

ولقد سقطت الأقنعة وظهر الاستعمار مرة أخرى بوجهه القبيح فى تبجح وصلف وغرور.

أقول ذلك بعد ما سمعناه ونسمعه فى الإعلام الغربى والأمريكى بوجه خاص من هراء وكذب وتضليل فى قضية الطائرة الشهيدة التى أقلعت من أرضهم وسقطت أمام شواطئهم بفعل فاعل يتسترون عليه بغباء نادر وكذب فاضح وكأنهم يخاطبون من لا عقول لهم ولا إدراك مستهنين بمشاعر أصحاب الدم وأصحاب الحق فى معرفة الحقيقة التى ينبغى أن نعرفها مهما كان الجهد ومهما كان الثمن.

إن حجم المصيبة وفداحة الخسارة لا يغطيها ثمن ولا يعوضها تأمين مهما بلغت قيمته حيث إن حجم الضلال والتضليل يحتم علينا أن تقف مصر بكل أهلها وإمكاناتها لنعيد حساباتنا فى سياستنا لمواجهة أعدائنا الحقيقيين.

لقد جاء الوقت الذى يجب أن نحدد فيه بوضوح وبصراحة من هو العدو، وهذا أول الطريق إلى الفلاح والنجاح والمدخل لاستعادة العزة والكرامة والشرف، وهذا العدو مهما كان حجمه وقدره وجبروته فإن الله لا إله إلا هو الذى نؤمن به ونتوكل عليه ونثق فى قدرته واقتداره هو القوى العزيز وهو الأكبر من كل كبير فهو الأعز الأكرم.

(•) كتب السيد حسين الشافعى هذه المقالة فى أعقاب حادث إسقاط الطائرة المصرية يوم ٣١ أكتوبر ١٩٩٩، والتى كانت تضم بين ركابها ٣٣ ضابطاً من سلاح الحرب الإلكترونية.

وإنى استشهد بقوله تعالى فى سورة الحج:

﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم مابين أيديهم وما خلفهم وإلى الله تُرجع الأمور﴾.

إن العدو بكل صلفه وغروه لم يجنح للسلم مطلقاً، ولكن نحن الذين سعينا إليه ونسينا قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾.

فياقوم أفيقوا من الإذعان والاستسلام والهوان وخوضوا السلم بروح الحرب كما يفعل أعداؤكم وكفانا سلاماً نباشره بروح الاستسلام والمجاملة والمسايسة مع أعداء لا تنفع معهم إلا المواجهة والمصارحة بقانون المعاملة بالمثل الذى نص عليه قول الله عز وجل: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

وأخيراً علينا أن نسقط فى تعاملنا مع العدو ومن قاموس التعامل كل عبارات النفاق أو المساومة والاستجداء الذليل فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله.

حسين الشافعى

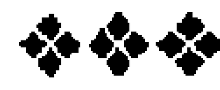
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

«جريدة الأسبوع»

٢٠٠٠/١/١٠

بيان من حسين الشافعى

نص البيان الذى أصدره السيد حسين الشافعى تعقيباً على إذاعة حواراته.. والذى نشر بجريدة «الأسبوع» بتاريخ ٢٠٠٠/١/٣١.



بخصوص حلقات «شاهد على العصر» التى أذيعت من قناة الجزيرة فى الفترة من ٢٦ سبتمبر إلى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩.

بسم الله الرحمن الرحيم.. والحمد لله رب العالمين، حمداً يتكافأ على نعمه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلاة عبد قلت حيلته وكانت إلى الله وسيلته فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر.

يقول الحق تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لايحب كل مختال فخور﴾.

وقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى﴾.

بدأت بهذه الآيات قبل أن أتناول ماذكرته فى شهادتى على العصر التى تم بثها على الحلقات الـ ١٣ من قناة الجزيرة الفضائية على مدى ثلاثة أشهر متوالية بها أحداث مايقرب من قرن من الزمان شملت ملخصاً لرؤيتى للأحداث التى عايشناها وشاهدناها من قبل قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ٥٢، وكذلك مراحل الإعداد لها وتنفيذها منذ تولى اللواء محمد نجيب ثم فترة رئاسة جمال عبدالناصر ثم مرحلة أنور السادات وحتى خروجى فى ١٤ من أبريل ٧٥.. وقد أراد الله أن يمتد بى الأجل لأشهد مطلع القرن الـ ٢١.

ومن فضل الله أن منّ علىّ بذاكرة مكنتنى أن أسجل شهادتى على العصر، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

وإذا كان قدر الله قضى أن أشهد وأشارك فى بعض هذه الأحداث وأهمها قيام ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ المجيدة لتحرير إرادة الوطن، فقد شاء سبحانه بشهادتى فى برنامج «شاهد على العصر» أن تكون سبيلاً لتحرير الآذان والعقول والقلوب مما علق بها من تضليل وتعتيم وكذب وبهتان.

ولم يكن لى من هدف من هذه الشهادة إلا أمور ثلاثة: أولاً: إسقاط الإحباط واليأس من الأجيال التى عاشت وتحملت هذا التعتيم والتضليل الإعلامى وحجب كثير من الحقائق.. ثانياً: أن يكون فى إعلان الحقائق التى خفيت أو أخفيت سبيل لاستعادة شىء من الثقة.. ثالثاً: أن يجدد الأمل فى الأجيال التى لم تشهد ولها علينا أن تعرف ما يساعدها على حمل المسئولية بوعى وإدراك للحقيقة الغائبة.

وهذه الشهادة قمت بها لوجه الله لا أبغى من ورائها شهرة أو جاهاً أو مالاً إظهاراً للحقيقة، وكم كنت أتمنى أن تكون بلدى أول من يسعى إلىّ قبل أن ينقضى العمر لأداء واجب الشهادة من خلال أجهزتها القديرة والرائدة، ولكنها لم تسع إلىّ إلا بعد أن أذيعت هذه الحلقات فى قناة الجزيرة.. جاءتنى قناة النيل للأخبار وأجرت معى ست حلقات ولكن للأسف حصل فيها من الاختصار والمونتاج ما أخرجها مبتورة وأن الأفكار فيها غير متصلة وجىء بمعلقين وسط الحديث مما جعل الحديث غير متصل بهذه التعليقات الاعتراضية مما أفقد الحديث الكثير من مضمونه، ومع كل ذلك فقد تم إيقاف البرنامج فى الحلقة الثالثة. ولكن أعيد إذاعته أكثر من مرة لطلب المشاهدين بينما فى قناة الجزيرة كانت الحلقات كما هى دون حذف أو تعديل.

وبعد أن قرأت لمن يشكك فيما قلته فى قناة الجزيرة ويختلق ويضيف ويصور ما لم أقله فى حلقات لما يشاهدوها بكاملها فليس هناك من سبيل أمام كل ذلك إلا الاحتكام إلى المشاهد صاحب الحق الأصيل فى المعرفة فى مصر

وخارجها لتكون الجماهير هى الحكم الفصل، وذلك بعرض هذه الحلقات الـ ١٢ فى قناة النيل.

وأخيراً أوجه شكرى لقناة الجزيرة على مابذلته من جهد لإخراج وإظهار هذه الشهادة فى تلك الصورة المشرفة، وأرجو لمن أساءوا لحسين الشافعى الهداية، فقد ساعدوا بهذه الإساءة إلى مزيد من التساؤل ومزيد من الاستفسار، فساعدوا دون إدراك لمزيد من الانتشار سامحهم الله.

حسين الشافعى

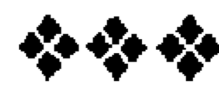
نائب رئيس الجمهورية الأسبق

«جريدة الأسبوع»

٢٠٠٠/١/٣١

الشافعى لايستحق كل هذا الهجوم

نص المقال الذى نشره إبراهيم سعدة للمؤلف فى «أخبار اليوم» بتاريخ ٢٩/١/٢٠٠٠.



تابعت - مع مئات الألوف - حملتكم الضارية على السيد حسين الشافعى عضو مجلس قيادة الثورة، ونائب رئيس الجمهورية سابقاً، إثر إذاعة حواراته فى قناة الجزيرة القطرية فى الشهر الماضى، وما تضمنته من أراء - خاصة - له عن أنور السادات وحرب أكتوبر وغيرها من القضايا الساخنة التى أثيرت أثناء الحوارات التى خرجت أنت بها على ملأ أكثر رحابة واتساعاً.

ويهمنى هنا أن أوضح لكم عدة نقاط هى أيضاً تمثل ما نسميه «النقاط فوق الحروف» لأننى أعرف مدى تأثير كتاباتكم، فهى تتميز بجاذبية من نوع خاص قد تكون محمودة أو مذمومة، المهم أنها تتميز بجاذبية كبيرة، وتحدث صدى عالياً لكنه مؤقت ولا يدوم حتى ليوم الأحد وهو اليوم التالى لصدور الجريدة.. فقلم سيادتكم أشبه بصاروخ جبار يحمل شحنة أشبه بالقنابل الارتجاجية ذات الصوت المدوى الذى يخرق الآذان، لكن شحنة قلمكم من النوع الفارغ مثل مسدسات الصوت ترعب ولا تقتل، لكن مسدسات الصوت هى فى النهاية لعبة خاصة بـ«الأطفال» والمفروض ألا يستخدمها الكبار.

أعود إلى موضوع السيد حسين الشافعى.. لأننى أول شخص استطاع أن يحصل منه على كل ما لديه، وأتحدى أن يكون هناك غيرى سبقنى إليه فيما استطعت أنا أن أحصل عليه منه من مادة - كماً ونوعاً - وكنت أنشر هذه الحوارات فى جريدة «العرب العالمية» التى تصدر فى لندن مابين الفترة من نوفمبر عام

١٩٨٨ حتى يونيو عام ١٩٩٠، ثم جمعتها فى كتاب صدر عام ١٩٩٣ «مرفق نسخة منه»، وعلقت صحف كثيرة عليه، منها «أخبار اليوم» ذاتها، حيث كتب عنه الأستاذ كمال عبدالرؤوف.. المهم هنا هو أن ما قاله السيد حسين الشافعى هو جزء يسير مما أباح لى به ونشرته فى الكتاب المرفق، بمعنى أنه لم يقل ما قاله فى قناة الجزيرة لأول مرة، وأعتقد أنه كثير جداً على الأستاذ إبراهيم سعدة الصحفى الأولى فى مصر منذ عام ١٩٧٩ ألا يكون قد أحاط علماً بمذكرات السيد حسين الشافعى التى أصدرتها منذ سبعة أعوام، وكانت مؤسسة «أخبار اليوم» هى المنوطة بتوزيعه، وتنشر إعلاناته بأخبار اليوم والأخبار، وكل صحف مصر كتبت عنه فى حينها.. أعتقد أننى استطعت أن أصل بك لما أبغى، وهذه هى النقطة الأولى.

النقطة الهامة ياسيدى التى أريد ـ منذ مايقرب من عشرين عاماً ـ أن ألفت نظرك إليها هى أسلوبكم فى النقد والهجوم.. فهو أسلوب غريب، والأغرب من ذلك أنك أرسيت هذا الأسلوب وأصبح لك تلاميذ كثيرون فى مؤسسات صحفية أخرى، بمعنى أنك أصبحت «مدرسة» لها منهج خاص فى النقد والتجريح، يتلخص هذا المنهج فى المبدأ القائل «الهجوم أفضل وسيلة للدفاع»، فلو تفوه أى مخلوق بما لايتفق ومزاجكم تطلقون عليه وابلاً من الإهانات وسيلاً من التجريح، وتجندون الصحيفة ـ التى هى ملك الدولة ـ للهجوم على من رماه حظه العاثر فى الطريق الذى لا يعجبكم ويا ألف حسرة على من يرميه حظه أو هواه أو دعوة من أمه عليه أمامكم.. نعم يا ألف حسرة على من «تضعه فى دماغك»!

عودة إلى صلب الموضوع.. ما قاله السيد حسين الشافعى يقع تحت بند «الآراء الخاصة» التى تكفلها الحرية الشخصية لأى إنسان، ولك أن تقول ما يتعارض معه مهما كان حجمه ونوعه.. لكن ماذا لو قلت مايدحض أقواله دون تجريحه؟ أليس هذا يكون أفضل؟ هو قال عن السادات كذا وكذا.. وأنت ترى أن هذا غير صحيح.. فالمنطق يقول أن تكتب ماتراه فى السادات عن أنه الذى أنقذ الأمة وطهرها من الفساد، وقاد عدة ثورات بدءاً بثورة مايو وثورة الأمن الغذائى، والثورة العمرانية، والثورة الإدارية، وثورة الضرائب.. و.. و.. حتى وصلنا لثورة

سبتمبر عام ١٩٨١، وتلك الثورات كانت منذ ٢٠ سنة هى المانشيتات الرئيسية لصحيفة أخبار اليوم.. قل ما تشاء وماتقوله قد لا يتفق معى أو مع آخرين غيرى.. فهل تقبل أن أترك جوهر الموضوع وأتجه إليك بالتجريح؟! هل تقبل ذلك ياسيدى؟ الغريب.. أو الجديد.. أو الفريد الذى يميز كتاباتكم أنها تتغير وتتلون بألوان الطيف وتسير فى خط مواز لأهواء النظام السياسى، وتفتقد تماماً الحيدة، ونحن لا ننسى أطنان الإهانات التى وجهتها لزعماء الدول العربية، ثم عدت وتغزلت فى نفس الأسماء دون أدنى اعتبار لمشاعر القراء الذين تستهين بهم وتظن أن ذاكرتهم مخرومة، وإن كنت أرى أنك تطبق المبدأ القائل بأن «الديمقراطية هى أن أقول رأيى بمنتهى الحرية وأدفع حياتى ثمناً لأن تقول رأيك».. ونحن لانريدك أن تضحى بحياتك، فقط نريدك أن تسمعنا مجرد سماع.. تسمع لرأينا وتنشره، وتضرب بذلك مثلاً رائعاً فى حرية الرأى.. إننى منذ زمن بعيد وأنا أريد أن أكتب إليك، لأننا كبشر لا نبقى ولكن تبقى مواقفنا، فالتاريخ لايذكر للبشر إلا مواقفهم وأفعالهم وأنت - كبشر - الآن فى ذهاب سواء عن منصبك أو عن الدنيا، ترى ماذا سيذكر لك القارىء؟! أريدك أن تتخيل لو أن باحثاً فى كلية الصحافة أمسك بأعداد صحيفة أخبار اليوم منذ صدورها ووقف على الأعداد التى صدرت منها وهى تحت رئاستك، ورأى كتاباتك التى تتقلب من النقيض للنقيض بزاوية ١٨٠ درجة؟! هل تستطيع أن تضع نفسك مكانه وتتخيل ماذا سيقول؟ إننا لازلنا نذكر للشاعر العظيم أبو الطيب المتنبى مدحه فى كافور الإخشيدى حتى إذا ماتيقن أنه لن يستفيد منه بات ينظم القصيدة تلو القصيدة هجاء وذماً فيه.. مازلنا نذكر ذلك له رغم رحيله عن دنيانا منذ مايزيد على ألف سنة، وكذلك البحترى، وأبو فراس الحمدانى وغيرهم وغيرهم، فما بالك بالذى يحذو حذوهم فى ظل معطيات هذا الزمان التى أتاحت أن يقف الإنسان على أفعال أى مسئول من خلال الآف المطبوعات والديسكات وشبكات المعلومات وغيرها وغيرها.. بمعنى أن أفعاله لن تسقط ولن تضيع، بل سيأتى من يفتش فيها ويضع صاحبها فى مكان لا أريدك أن تكون فيه، فلم يشفع للمتنبى أنه كان - ولازال - أعظم شعراء العرب، وهو الملقب بـ«منشد الدهر»، ومع ذلك لاننسى مدحه للسلاطين ثم هجاءه لهم بسبب أهواء شخصية محضة.

لعلك الآن تكون قد فهمت قصدى ياسيدى، وأتمنى أن تكون قد اقتنعت بما أسديه لسيادتكم، وترحم السيد حسين الشافعى االذى كان فى يوم ما يجلس مع رفاقه وهم يخططون لإنقاذ مصر مما كانت فيه واضعين أرواحهم على أكفهم.. السيد حسين الشافعى الذى قاد سلاح الفرسان «المدرعات» وحاصر سراى عابدين فجر ٢٣ من يوليو عام ١٩٥٢، ثم قاد عملية حصار قصر المنتزه بالإسكندرية يوم ٢٦ من يوليو عام ١٩٥٢، وشغل بعدها منصب وزير الدفاع، ورأس محكمة الثورة التى حاسبت الفاسدين والمتلاعبين بمصالح البلاد.. وقد يعلم الكل ذلك. لكن الذى قد لايعرفه إلا القليل أن هذا الرجل ذو ثقافة موسوعية، وأنه يقضى أيامه مابين قراءة القرآن، وقيام الليل خشوعاً وطاعة لله، وهو بحكم سنه - ٨٢ سنة - لانعتقد أنه يطمع فى شىء من حطام الدنيا، إنما يقول كلمة حق لله أولاً ثم للناس.. فإذا كان ماقاله فيه خطأ أو كان كله خطأ فأعتقد أنه لايستحق أن تمتهن كرامته على صفحات جريدتكم بهذا الشكل، بل كان هناك طريق أرقى وأفضل وهو تفنيد ماقاله والرد عليه بالحجة.

إننى لدى الكثير والكثير، ولكن أعتقد أن وقتكم لن يسمح بقراءة هذا الكثير، لذا فأنا سأكتفى بهذا الآن وأتمنى - وهذا صعب بل قد يكون مستحيلاً - أن تنشر رسالتى هذه.

صلاح الإمام

«أخبار اليوم»

٢٠٠٠/١/٢٩

رداً على إبراهيم سعدة
ودفاعاً عن حسين الشافعى

هذا المقال رفضت جريدة «أخبار اليوم» نشره، ونحن ننشره عملاً بمبدأ إتاحة الفرصة لجميع الآراء.

(الشعب)



الأستاذ: إبراهيم سعدة..

فى مقالى الذى نشر بجريدتكم يوم ٢٩ من يناير الماضى، كنت أتحسر بشدة على من يرميه حظه العاثر أمامكم، وأبديت شفقتى على من «تضعه فى دماغك»، ويبدو أن رأسك أوسع بكثير مما كنت أتصور، إذ مازال به متسع لأن تضع كثيرين جداً به، بل هو يتسع لأن تضع سكان مصر كلهم فيه، وأيضاً تضع فيه من غير المصريين كل من يقترب من الذات الأمريكانية بشكل مباشر أو غير مباشر، فاللعبة كبيرة جداً،ومداها سوف يطول إلى حين، لكن ضحاياها سيكونون أبطال الغد بإذن الله تعالى.

تحاول أن تقنع الناس بأننى الصوت الوحيد الذى انبرى للدفاع عن الشافعى، وتصورت أن القارىء من السذاجة للدرجة التى تجعله يصدق هذا الزعم، فالقضية قضيتك، والجريدة جريدتك، بمعنى أنه من المنطقى جداً ألا تنشر إلا مايصادف هواك، فتستكتب أصدقاءك لتعضد موقفك المؤسف وقضيتك الخاسرة خسراناً مبيناً، وأنت بالتأكيد تعلم أننى «متخصص » فى كتاباتك، وأستطيع أن أميز الجملة التى تكتبها من بين آلاف المقالات، ولجأت إلى استعارة اسمين، هما بالتأكيد صديقاك ـ أحدهما مستشار والآخر جنرال بوليس، ولأن الأخير رجل بوليس فأنا أعذره ولن أتطرق لمؤاخذته، لأن الكلام كلامك

واستطعت فعلاً أن تعبر عن تركيبة رجل بوليس يرى أننا «كوم زبالة» وهو وحده الواقف أعلاه - كحارس - يهش من عليه الذباب.

قلت فى تقديمك لمقالتى وما جاورها من كلمات يوم ٢٩ من يناير إنك لم تحذف أى شىء من رسالتى، والقارىء مسكين لا يعلم شيئاً، ويثق بك، فليتك كنت أميناً - ولو لمرة واحدة - وعزفت عن حذف الكلمات القليلة التى أشرت فيها إلى كتابى عنك الذى هو فى طريقه ليرى النور داخل وخارج مصر، بعدما تيقنت من ضرورة نشره، فأنت لن تتغير، وكتابى عنك أصبح كلمة حق لابد أن تقال حتى لو دفعت حياتى ثمناً لها، ومادام القراء يرون فيك أنك تغمس قلمك فى محبرة الصدق، فاعطنى فرصة لكى أوضح لهم حجم ولون هذه المحبرة - إن كان لها لون أصلاً - وأسلط الضوء على نزاهة هذا القلم.

بالتأكيد عندك فكرة عن الكتاب الذى أصدرته الـ«كى. جى. بى» منذ أكثر من ربع قرن فى بروكسل، والذى كشف النقاب عن عملاء المخابرات الأمريكية فى الشرق الأوسط ومنهم ستة صحفيين مصريين، هؤلاء الصحفيون الستة كانوا هم المقربين لأنور السادات، وأنت طبعاً تعرف خمسة منهم، هؤلاء الستة يربط بينهم قاسم مشترك، وهو الهجوم على جمال عبدالناصر بسبب وبدون.. بمناسبة وبدون.. وأنت تبرر دفاعك عن السادات بأنه «رمز وطنى» وهل جمال عبدالناصر ليس رمزاً؟ ما يقال عن عبدالناصر ويقدح فيه ثقيل جداً، لكنك لم تتصد لذلك ولو مرة.. ستقول إنك مع من يهاجمونه - بصرف النظر عن كونه رمزاً - وأنهم أحرار فيما يرون، وأنها آراء خاصة بهم تكفلها الحرية الشخصية، إذن أنت لك رأى خاص، فلماذا يضايقك ويزعجك أن تسمع أو تقرأ من ينعت السادات بكذا وكذا!؟.. المفروض أنه إذا كان لك هوى فيقدح فى نزاهتك أن تنشره فى الجريدة التى أنت رئيس لها لأنها جريدة حكومية، وعليه فيمكنك أن تنشر مايتفق وهواك - أو مصلحتك - فى جريدة أخرى أو فى كتاب خاص، لكن تجند جريدة حكومية للدفاع عن هوى شخصى محض فهذه ليست نزاهة.

أعود إلى السيد حسين الشافعى الذى اتهمنى محابيك بأننى حدت عن صلب الموضوع، لكنهم هنا كالوا القضية بمعيارين - مثل أمريكا - وأقروا برأيهم

هذا صحة ما ادعيته ضدكم، لأنك أنت الذى تخرج عن الموضوع، ونحن أمامنا قضية حية وهى «حسين الشافعى» فأنت لم تدافع عن السادات لتدحض ما قاله الشافعى، بل اتجهت - كعادتك - وصوبت سهامك نحو الشافعى، فلماذا تركوا لك ذلك ووقفوا عندها أمامى؟!

لقد افتريت كثيراً على الشافعى، ولأنك متأكد أن ٩٩٪ من القراء لم يسمعوا أو يشاهدوا ما قاله الشافعى، ادعيت عليه بما لم يقله كذباً وافتراءً، لأنه لم يقل عن حرب أكتوبر إنها «تمثيلية» والوحيد الذى نطق بهذه الكلمة كان المرحوم يوسف إدريس، وحينما قلت إن ماقاله الشافعى سبق أن قاله لى فى كتابى، فذلك لأثبت أن الشافعى لم يقل ما لصقته به عن حرب أكتوبر، على أساس أن الكتاب مطبوع وموجود فى الأسواق لمن أراد أن يطلع، أما ما تم بثه من قناة الجزيرة فصعب أن تمسك به، ومستحيل طبعاً أن تعيد بثه إحدى القنوات المصرية، وهو أيضاً لم يقل عن السادات إنه خائن، بل قال إن الواشنطن بوست نشرت عام ١٩٧٦ - وهو فى قمة سلطانه - أنه كان عميلاً للمخابرات الأمريكية وأنه كان يتقاضى راتباً منهم عن طريق كمال أدهم، وما قاله الشافعى قاله كثيرون، لأن هؤلاء الكثيرين قرأوا - مثله - ما نشرته الواشنطن بوست، ولا يخفى عليك أن هذه الجريدة بالذات على صلة وثيقة بالمخابرات الأمريكية، بل تعتبر لسان حالها.

وبالنسبة لقصة «حفنة رمال» التى ذكرتها وكأنك كنت حاضراً معهم، فأنت نشرتها من وجهة نظرك أنت، وعمدت إلى حشر الكثير من الأخطاء والافتراءات بها.. والقصة بطلتها «سارة حسن سيد مرعى» ابنة السيدة نهى محمد أنور السادات، وهى ابنة ١٧ سنة وليست ١٢ كما ادعيت، ووقائعها علمتها بصعوبة من شخص عاشها، وكان ذلك فى أغسطس من صيف عام ١٩٩٩، إذ جمعت الظروف بين السيد حسين الشافعى وأسرته والأسرة المذكورة - وهم للعلم يلتقون كثيراً - فقالت له:

سارة: انت بتهاجم جدو كتير ليه؟ هو كان غلط؟

الشافعى: أنا شايف إنه كان غلط، ويمكن غيرى شايف إنه كان غير كدا.

سارة: وممكن انت فعلاً تكون صح وهو غلط.

الشافعى: التاريخ هو اللى هايحكم بينا.

سارة: لكنه رجع لنا سينا.

الشافعى: سينا اللى رجعت دى مازالت منقوصة السيادة، يعنى شوية رمل لا نستطيع الدفاع عنها إذا ما حاولوا اغتصابها ثانياً.

وكان للدكتور مصطفى محمود يومها مقالاً منشوراً بالأهرام عن التطبيع، فطلب منها أن تقرأ المقال.

ثم تدخل فى الحوار أحد أبناء أسرة حسين الشافعى موجهاً حديثه لسارة قائلاً: انت مزعلة نفسك كدا ليه؟ احنا أهل وأصدقاء وجدتك «السيدة جيهان» أرسلت لنا تورتة بالأمس.

فقالت سارة (بمنتهى البراءة والتلقائية): هى جدتى زى جدو تمد إيدها لعدوها.

واستمرت الجلسة بينهما حتى مغيب الشمس،فلم تبك، ولم تجر، ولا شئ من الذى ذكرته.

وأنا أرسل إليك حقيقة الأمر على محمل الظن بأن القصة قد تكون وصلتك بالشكل الذى نشرته من قبل، ويمكنك الاتصال بأطرافها لتسمع الحقيقة منهم قبل أن تنزف بمداد قلمك هذا الكم الفظيع من الإهانات لرجل مازال هو الوحيد من رجال الثورة الذى يتمتع بسجل ناصع البياض ولم يتلوث إلا بعدما وضعته فى دماغك، وفتحت عليه الهاونات ذات الصوت المدوى والخالية تماماً من الذخيرة، فما تكتبه فعلاً خال تماماً من المضمون.

وللعلم ـ للذين يأخذون علىّ دفاعى عن الشافعى ـ فإن السيد حسين الشافعى معترض تماماً على أن أتصدى لهذه الحملة، لأنه لا يحتاج لدفاع، وأنا أيضاً أصبحت أجد سخافة فى التمادى فى هذا الموضوع، فالرجل تاريخه يشرف أى مصرى، وهو سيظل فى أعين الجميع الفارس النبيل الشجاع الذى قاد سلاح الفرسان فى ليلة سجلها التاريخ على أنها كانت الفيصل بين ما نعيشه الآن وما

مضى من عمر مصر على مدى ثلاثة آلاف عام تحت وطأة المستعمر الأجنبى.. سيظل فى أعين الجميع هو الفارس الزاهد.. التقى الورع.. والكبير الذى لايتعثر فى الحصى وصغائر الأمور.

وإن كنت أحب أن أضيف شيئاً، فهو أن منزل هذا الرجل مازال قبلة للأحرار من كل بقاع الأرض، وكم من مسئول كبير زار مصر فى زيارات رسمية، يحرص على زيارته والجلوس إليه، ولقد شاهدت بنفسى ذات يوم بمنزله مسئولاً صينياً كبيراً كان يزور مصر على رأس وفد رسمى وقتها، ولا كرامة لنبى بين قومه فعلاً.

وسلام على من اهتدى، وختام للموضوع على ذلك.

صلاح الإمام

«جريدة الشعب»

٢٠٠٠/٢/٨

الفهرس

حسين الشافعي

شاهد على ثلاثة عصور



في عام ٧١، عام الحسم والردة عن الثورة، كان جرح الهزيمة المروعة التي انقضت علينا في ٦٧ مايزال ينزف، وكانت المدافع قد توقفت على شواطئ القناة، فأصبح عارنا النازف بلا ثأر، ولم تكن ثقة الأمة بالسادات كثيرة، ولا حتى قليلة، كانت الأمة يتيمة، يتم الصغار الذين لم يحرص أبوهم على أن يترك بينهم كبيراً، ولم يكن في السلطة من الضباط الأحرار من يثق الناس فيهم إلا حسين الشافعي، وكان نائباً لرئيس الجمهورية، وكانت الآمال معلقة به، وكانت أصداء خلافاته مع السادات تنتقل بين الناس كالبلسم على قلب محترق بالألم والهزيمة، ووقفت الدولة بقضها وقضيضها مع الرئيس المؤمن وصاحب المقولة الشيطانية : لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين! ضد المؤمن حقاً حسين الشافعي، فمنعوا نشر أي أخبار عنه، كما منعوه من التعبير عن رأيه في وسائل إعلام الدولة، وتحت الظلال الدنسة لديمقراطية الأنياب والمفرمة لم يجد حسين الشافعي أمامه إلا منابر المساجد يهرع إليها كي يعارض ويبث في الناس الأمل والصمود والمقاومة.. وتحول في وجدان الناس إلى ما يشبه الأسطورة، لقد ظهر بعد صلاة العشاء في الأزهر، وفوجئ الناس به على منبر الإمام الحسين في السيدة نفيسة، في إمبابة، في السيد البدوي، في.. في.. في.. وتعلقت قلوب الناس به، لكن الردة استكملت حلقاتها وبيتت النية على الانبطاح الكامل أمام أمريكا وإسرائيل فاكتملت حلقات الحصار حول حسين الشافعي لكنهم لم يجرءوا على إعفائه من منصب نائب رئيس الجمهورية.. حتى اليوم..!!

وفي هذا الكتاب يقدم الكاتب صلاح الإمام تفاصيل كثيرة عن قصة واحد من أكثر الوجوه المضيئة في تاريخ الأمة في الحقب الأخيرة.. يقدم الوجه الحقيقي للثائر المؤمن.. لحسين الشافعي.

د. محمد عباس

KAMEL GRAPHICS